

مركز القانون العربي والإسلامي  
Centre de droit arabe et musulman  
Zentrum für arabisches und islamisches Recht  
Centro di diritto arabo e musulmano  
Centre of Arab and Islamic Law

# لا اكراه في الدين

تفسير الآية 256 من سورة البقرة خلال العصور

الدكتور سامي عوض الذيب أبو ساحلية  
مدير مركز القانون العربي والإسلامي

[www.amazon.com](http://www.amazon.com)  
2016

## الدكتور سامي عوض الذيب أبو ساحلية

مسيحي من أصل فلسطيني. مواطن سويسري. دكتور في القانون من جامعة فريبورغ. مؤهل لإدارة الأبحاث من جامعة بوردو. أستاذ جامعات (الاستشارية القومية للجامعات – فرنسا). مسؤول عن القانون العربي والشريعة الإسلامية في المعهد السويسري للقانون المقارن من عام 1980 إلى عام 2009. مدير مركز القانون العربي والإسلامي. علم الشريعة الإسلامية والقانون العربي في عدة جامعات سويسرية وفرنسية وإيطالية. ترجم الدستور السويسري إلى العربية، كما أعد طبعة عربية للقرآن وترجمه بالتسلسل التاريخي إلى الفرنسية والإنكليزية والإيطالية.

### الناشر

مركز القانون العربي والإسلامي

Centre de droit arabe et musulman

Ochettaz 17, Ch-1025 St-Sulpice

Tél. fixe: 0041 [0]21 6916585 Tél. portable: 0041 [0]78 9246196

Site: [www.sami-aldeeb.com](http://www.sami-aldeeb.com) - Email: [sami.aldeeb@yahoo.fr](mailto:sami.aldeeb@yahoo.fr)

© Tous droits réservés

**Ce livre est disponible en deux autres langues auprès d'Amazon**

هذا الكتاب متوفر في لغتين أخريين من مواقع امازون

Nulle contrainte dans la religion

No compulsion in the religion

## الفهرس

5	المقدمة
7	القسم الأول: عرض لأية لا اكراه في الدين
7	(1) نص الآية لا اكراه في الدين والتعليق عليها
9	(2) التسلسل التاريخي للقرآن ونظرية الناسخ والمنسوخ
13	(3) تفسير الآية لا اكراه في الدين على ضوء القرآن والسنة
13	(4) الأحاديث النبوية ذات الصلة مع الآية لا اكراه في الدين وأسباب النزول
14	(5) الآيات القرآنية ذات الصلة مع الآية لا اكراه في الدين
18	(6) معنى الآية لا اكراه في الدين وحدودها
19	(7) التناقضات مع الأحكام الدستورية والدولية
21	القسم الثاني: المفسرون بالتسلسل التاريخي



## المقدمة

في كتاب سابق عنوانه "الفتاحة وثقافة الكراهية" تعرضنا لتفسير الآيتين السادسة والسابعة من سورة الفاتحة: **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**، في 88 تفسير قديم ومعاصر.

وفي هذا الكتاب سو نتعرض للآية 256 من سورة البقرة التي تقول:

**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.**

فالمسلمون يلجؤون كثيرا جدا لهذه الآية للبرهنة على تسامح الإسلام واعترافه بحرية العقيدة. ولكن هذه الآية مخالفة لحديث نبوي يقول: من بدل دينه فاقتلوه. وقتل المرتد، أي من يترك الإسلام، تم النص عليه مثلا في القانون الجزائري العربي الموحد الذي وافق عليه بالإجماع مجلس وزراء العدل العرب وموجود على موقع الجامعة العربية. يقول هذا القانون:

المادة 162 - المرتد هو المسلم الراجع عن دين الإسلام ذكرا كان أم أنثى بقول صريح أو فعل قاطع الدلالة أو سب الله أو رسله أو الدين الإسلامي أو حرف القرآن عن قصد.

المادة 163 - يعاقب المرتد بالإعدام إذا ثبت تعمده وأصر بعد استنابته وإمهاله ثلاثة أيام.

المادة 164 - تتحقق توبة المرتد بالعدول عما كفر به ولا تقبل توبة من تكررت رده أكثر من مرتين.

المادة 165 - تعتبر جميع تصرفات المرتد بعد رده باطلة بطلانا مطلقا وتوول الأموال التي كسبها من هذه التصرفات لخزينة الدولة<sup>1</sup>.

وقد خلقت حرية العقيدة مشاكل لكل الأديان. وقد تم التأكيد عليها في الفقرة الأولى من المادة الثانية، والمادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

المادة الثانية الفقرة 1 - لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان، دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر.

المادة 18 - لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين، ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته، وحرية الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر ومراعاتها سواء أكان ذلك سرا أم مع الجماعة.

وقد لاقت عبارة "ويشمل هذا الحق حرية تغيير ديانته أو عقيدته" معارضة شديدة من قبل الدول الإسلامية. ويمكن اعتبارها من أهم التحديات التي يواجهها المسلمون، لأنهم يرون في هذه الحرية انتهاء الإسلام، كما أعرب عن ذلك بكل صراحة القرضاوي: "لو تركوا الردة لما كان هناك اسلام. لكان انتهى الإسلام منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام. فالوقوف امام الردة هو الذي أبقى الإسلام"<sup>2</sup>. ويستشهد بالآية 5: 33 لتبرير قتل المرتد:

1 <http://carjj.org/node/237>

2 <http://goo.gl/bu1PcG>

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ  
أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ  
عَظِيمٌ.

وليس هدفنا هنا دراسة حرية العقيدة في الدول العربية والإسلامية من جميع جوانبها، ولا المعنى الذي  
أعطاه الفقهاء المسلمون القدامى والمعاصرون<sup>1</sup>. وسوف نكتفي هنا، كما فعلنا في كتابنا "الفاحة وثقافة  
الكرامية"، بذكر ما جاء في كتب التفسير بخصوص الآية 256 من سورة البقرة.  
هذا الكتاب متوفر في لغتين أخريين من موقع امازون: اللغة الفرنسية والإنكليزية، ويمكن البحث عنه  
تحت العنوانين التاليين:

Nulle contrainte dans la religion

No compulsion in the religion

ونحن نعتمد في ترجمتنا هذه على الأصل الفرنسي الذي وضعناه بداية.  
ويقسم هذا الكتاب إلى قسمين. القسم الأول يقدم دراسة عامة عن الآية 256. أما الجزء الثاني، فيعرض  
نصوص المفسرين المتعلقة بها عبر العصور مرتبين وفقًا لتاريخ وفاتهم.

---

1 نحيل إلى كتابنا <http://goo.gl/TfZ4dR> Le changement de religion en Egypte, 2014:

## القسم الأول عرض لآية لا اكره في الدين

### 1 نص الآية لا اكره في الدين والتعليق عليها

تقول هذه الآية بالرسم العثماني والرسم الإملائي:

هـ2\87: 256 لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ  
مِنَ الْعَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ  
وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ  
عَلِيمٌ

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ  
الْعَيِّ. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ،  
فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ  
لَهَا. ~ وَاللَّهُ سَمِيعٌ، عَلِيمٌ.

وتشير المصادر إلى بيت مشابه لهذه الآية في شعر أمية بن أبي الصلت:

وياك لا تجعل مع الله غيره \ فان سبيل الرشد أصبح باديا!

ولكن لا يمكن معرفة ان كان القرآن قد استلهم آيته من هذا البيت، أم العكس لعدم ثبوت الأسبقية التاريخية لهما. ويرى عمر سنخاري أن عبارة لا اكره في الدين مستوحاة من لاكتانس Lactance، وهو مدافع عن المسيحية من شمال افريقيا توفي حوالي عام 325. ففي كتابه "النظم الإلهية" يقول بأنه ليست هناك حاجة للعنف للإقناع، لأن الدين لا يمكن له أن ينتج عن الإكراه. ولذلك يجب استعمال الكلمة بدلاً من العصا<sup>2</sup>.

### معاني الكلمات

لَا إِكْرَاهَ هذه العبارة تعني عدم استعمال التهديد الجسدي، وبصورة خاصة التهديد بالقتل. فمثلا المشركون خيروا فقط بين الإسلام والسيف، وفقاً

1 <http://goo.gl/Y0rAem>. يرى البعض ان أمية بن أبي الصلت الذي توفي عام 626 من أهم الشعراء الذين أخذ القرآن من شعرهم. وكان هذا الشاعر محباً للسفر والترحال، فأتصل بالفرس في اليمن وسمع منهم قصصهم، ورحل إلى الشام في رحلات تجارية وقصد الكهان والقسيسين والأخبار، وكان كثير الاطلاع على كتب الأديان والكتب القديمة. ويرى البعض أن القرآن على لسان محمد كان ترديداً لما جاء في شعر أمية، إن صحت نسبة تلك الأشعار له، وهو ما جعل سهام المنكرين مصوبة بكثرة نحوه. وأمية أحسن الحنفاء حظاً في بقاء الذكر، بقي كثير من شعره بسبب اتصاله بتاريخ النبوة والإسلام اتصالاً مباشراً، فقد عاش حتى السنة التاسعة للهجرة، وكانت أشعاره وما فيها من قصص منتشرة، وكان محمد يحب سماع شعره ويطلب المزيد، ولم يذم أو يرفض ما كان يسمعه وقال فيه: «لقد آمن شعره وكفر قلبه»، بمعنى أنه لم يشهد نبوة محمد. وقد جاءت الأخبار أنه قصد محمداً ليؤمن به ولكنه عندما عرف أن بين قتلى وقعة بدر ابنا خاله عتبة وشيبة ابنا ربيعة، قفل راجعاً إلى الطائف. فالحنيفية التي يؤمن بها أمية ليست دعوة عنيفة ولا تقتل. ويرى البعض أن رفض أمية للإسلام كان بسبب اعتقاده أنه النبي الذي بشرت به الديانات، إلا أنه كان يقول ما يعتقد شعراً، ولم يقل إن ما ذكره في أشعاره من قصص الأقوام الغابرين كان وحياً أو رؤياً، وكان يغلب على أشعاره الصوفية وذكر الآخرة. أما النبي محمد، فكان لا يحفظ الشعر وإنما يتفكر في معانيه ويحب سماعه. ويعلن ما يعتقد به نثراً مسجوعاً، ويدعي أن هذه الأفكار هي من الوحي أو الرؤيا، ثم ينقلها للكتابة، الذين يطلق عليهم اسم كتبة الوحي. وهذان هما الفرقان بين محمد وقرآنه وما جاء في شعر أمية. انظر: عيسى: الحنفاء مسلمون موحدون بلا وحي، ص 47-48 و60-61 <http://goo.gl/pJr17S>. وقد استشهدنا في طبعتنا العربية للقرآن بآيات من شعر أمية تشبه آيات القرآن في هوامش تلك الآيات.

2 أنظر Sankharé, Omar: Le Coran et la culture grecque, L'Harmattan, Paris, 2014 ص 98.

للمصطلح الذي يستعمله المفسرون. ونادرا ما يستعمل المفسرون التهديد المادي أو القانوني أو الأخلاقي

الدين هنا يعني الإسلام.

السرائر المستقيم، الحقيقة، الاستقامة

الضلال

في الدين

الرُّشْدُ

الغَيِّ

الطاغوت

كل ما عبد من دون الله. ووفقاً لموسوعة معاني القرآن: الطاغوت: صيغة مبالغة في الطغيان، وتاؤه زائدة، مشتق من «طغى» واستعمله القرآن إشارة إلى الأصنام وسدنتها وكهنتها وأكابر المجرمين والمشركين ومن إليهم. وقد استعملت ثماني مرات في القرآن. وفي اللغة الحبشية تشير إلى الوثنية أو الخرافة. وفي السريانية تعني الخطأ، أو الوثنية، أو الإثم. ولكن Sawma يرى ان الكلمة تعني الضلال والخطيئة، مستشهدا بالآية: «لأنَّهم أَضَلُّوا ۖ لَمَّا شَعَبِي» (حزقيال 13: 10) 1. كما جاءت في هذا المعنى في سفر نشيد الأناشيد 1: 7. وقد أضاف إليها القرآن كلمة جبت في الآية 4: 51: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. وقد تكون هذه الآية صورة من الآية الأولى في الفصل 26 في سفر اللاويين: "لا تَصْنَعُوا لَكُمْ أُوتَانًا، وَلَا تُقِيمُوا تِمْنَالًا أَوْ نُصْبًا، وَلَا تَجْعَلُوا فِي أَرْضِكُمْ حَجْرًا مِّنْحوتًا لِتَسْجُدُوا لَهُ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ".

الحبل الوثيق المحكم

الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

هذه العبارة تذييلية، تستعمل للحفاظ على السجع. أي انها حشو ولغو. ولكن بما ان الله يرفع عن اللغو في نظر المفسرين، فقد اجتهدوا في ايجاد تفسير لها وربطها بمضمون الآية. وفيها قولان:

القول الأول: أنه تعالى يسمع قول من يتكلم بالشهادتين، وقول من يتكلم بالكفر، ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر، وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث.

والقول الثاني: كان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة، وكان يسأل الله تعالى ذلك سرًا وعلانية، فمعنى قوله وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يريد لدعائك يا محمد بحرصك عليه واجتهادك.

تتنمي هذه الآية إلى سورة البقرة. وعنوان هذه السورة مأخوذ من الآيتين 67 و73، وتشيران إلى نصين في سفر التثنية (21: 1-9) وسفر العدد (19: 1-10) 2. وتسمى ايضًا: فسطاط القرآن وسنام القرآن.

1 أنظر Sawma, Gabriel: The Qur'an: Misinterpreted, Mistranslated, and Misread, The Aramaic Language of the Qur'an, Plainsboro NJ, third reprint, 2009 ص 218.

2 تقول الآية 2: 67: وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا اتَّخَذْنَا هَؤُلَاءِ آعُودٌ بِإِلَهِهِمْ أَن كُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ. وتضيف الآية 73: فَلَمَّا اضْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَّبَ كَذِّبًا يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. تخلط الآيات 67 إلى 73 بين نصين في سفر التثنية وسفر العدد نذكرهما هنا: «إِذَا وَجِدَ قَتِيلًا فِي الْأَرْضِ تُغَطِّيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِإِيَّاهُ لِتَرْتُهَا



ويذكر عكرمة أنها اول سورة نزلت في المدينة، أي في بداية الهجرة. ورغم ذلك وضعت مباشرة بعد الفاتحة، وتحمل الرقم 87 بالتسلسل التاريخي. مما يقودنا للكلام عن التسلسل التاريخي للقرآن ونظرية الناسخ والمنسوخ، وهو ما يتعرض له المفسرون في تفسيرهم لأية لا اكراه في الدين.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود رابط بين الآية 256 والآية 257، ولكنهما لا علاقة لهما بالآية السابقة أو اللاحقة. ونذكر هذه الآيات الأربع سوية حتى يوضح الأمر:

هـ 2\87: 255 - اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

هـ 2\87: 256 - لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

هـ 2\87: 257 - اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

هـ 2\87: 258 - أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمَلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

وهذا مثال بين مئات الأمثلة من الآيات الدخيلة التي تبين ان النص القرآني مقطع الأوصال.

## (2) التسلسل التاريخي للقرآن ونظرية الناسخ والمنسوخ

وفقا للمصادر الإسلامية، امتد الوحي ما بين عامي 610 و632 - عام وفاة محمد. وقد شهدت هذه السنين تحولاً عند محمد من تاجر بسيط إلى رئيس دولة. وقد قام الخليفة أبو بكر (الذي توفى عام

مطروحا في الحقل، لا يُعرف من قتل، فليخرج شيوخك وفُضاتك وقيسوا المسافة منه إلى المُنن التي حول القنبل. فأية مدينة كانت أقرب إليه، يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يُحرث عليها ولم تُجر بالخير، وينزل بها شيوخ تلك المدينة إلى وادٍ لا ينضب ولم يفلح ولم يزرع، ويكسرون عنقها على الوادي. ثم يتقدم الكهنة بنو لاي، لأن الرب إلهك أختارهم ليختموه ويباركوا باسم الرب، وبكلامهم تُفصل كل خصومة وكل ضريبة. وأما جميع شيوخ تلك المدينة القريبة من القنبل، فإنهم يغسلون أيديهم على العجلة المكسورة العنق على الوادي. ويجيبون قائلين: أيدينا لم تسفك هذا الدم، وعيوننا لم تر شيئا. اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديته يا رب، ولا تجعل دما بريئا في وسط شعبك إسرائيل. فيغفر لهم الدم. فانت تزيل الدم البريء من وسطك، لأنك صنعت القويم في عيني الرب» (تنثية 21: 9-1)؛ «وكلم الرب موسى وهارون قائلًا: هذه فريضة من فرائض الشريعة التي أمر الرب بها قائلًا: مُر بني إسرائيل أن يأتوك ببقرة صهباء تامة لا عيب فيها ولم يُرفع عليها نير. فستلمونها إلى العازار الكاهن، فيخرجها إلى خارج المخيم وتذبح أمامه. فيأخذ العازار الكاهن من دمه بإصبعه ويضعه ويضع من دمه سبع مرات إلى أمام خيمة المועد. وتحرق البقرة أمام عيني، جلدها ولحمها ودمها وروثها. فيأخذ الكاهن غود أزر وروفي وقرمزا ويُلقى ذلك في وسط النار حيث تحرق البقرة. ثم يغسل الكاهن ثيابه ويستحم في الماء، وبعد ذلك يعود إلى المخيم، ويكون الكاهن نجسا إلى المساء. والذي يحرق البقرة يغسل ثيابه بالماء ويستحم في الماء ويكون نجسا إلى المساء. ويجمع رجل طاهر رماد البقرة ويضعه خارج المخيم في موضع طاهر، فيكون محفوظا لجماعة بني إسرائيل لأجل ماء الرتن: إنها ذبيحة خطيئة. والذي يجمع رماد البقرة يغسل ثيابه ويكون نجسا إلى المساء. فيكون ذلك فريضة أبدية لبني إسرائيل وللتراب في وسطهم» (العدد 19: 10-1).

(634) بجمع أولي للقرآن. ولكن بسبب ظهور مجموعات خاصة متضاربة قرر الخليفة عثمان (الذي توفي عام 656) بإعادة جمع القرآن وحرق المجموعات الأخرى. وهذا الجمع هو الذي يستعمله المسلمون حتى يومنا هذا تحت مسمى مصحف عثمان، علما بأن عثمان تم قتله من أقرب المقربين للنبي محمد بتهمة تحريفه للقرآن، ودفن في مقابر اليهود<sup>1</sup>.

ومصحف عثمان مكون من 114 سورة منها 86 سورة تنتمي للعصر المكي (610-622)، أي قبل الهجرة، و28 سورة تنتمي للعصر المدني (622-632).

وقد رافق نزول الوحي في مدة 22 سنة مجتمعا في تحول، وكما هو الأمر مع كل نظام قانوني، تم ادخال تعديلات على آيات الأحكام. ولإيجاد حل للتناقض بين الآيات القرآنية، وضع الفقهاء، اعتماداً على آيات قرآنية، نظرية النسخ. وقد عرفه بأنه "رفع الشارع حكماً شرعياً بدليل شرعي متأخر. وهذا يحدث عندما يتعارض نصين وعُرف تاريخ كل منهما فالمتأخر ينسخ المتقدم"<sup>2</sup>. وقد أثار موضوع النسخ خلافات في زمن النبي. واتهمه البعض بتغيير آيات القرآن لتماشى مع هواه ونزعاته كما حدث مع إلغاء نظام التبني حتى يتمكن من الزواج من زينب امرأة زيد. ونذكر هنا قولاً شهيراً لعائشة: «ما أرى ربك إلا يسارع في هواك». ولكن آيات قرآنية صرحت بأن هذا التغيير كان بإرادة الله:

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا نُنزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (70\16): (101).

مَا نُنسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (87\2): (106)

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (96\13): (39).

ويميز الفقهاء المسلمون بين أشكال مختلفة من النسخ نذكر منها:

- قد تنسخ آية آية أخرى مع بقائها في القرآن. فيقال هنا: نسخ الحكم وبقاء التلاوة. ونذكر في هذا المجال نسخ حكم الآية 2\87: 115 بواسطة الآية 2\87: 144 التي حددت القبلة في الصلاة إلى الكعبة.
- قد تنسخ آية حكماً في آية أخرى ولكن كليهما رفعت من القرآن مع بقاء حكم الآية الأخيرة. فوفقاً لشهادة عائشة كانت هناك آية تمنع الزواج بسبب الرضاعة إن كانت عشر رضعات، فنزلت آية خفضت هذا العدد إلى خمس رضعات وبقي هذا الحكم نافذاً ولكن اختلفت الآياتان من القرآن. فيقال هنا: نسخ التلاوة مع بقاء الحكم. وتروي عائشة أن آية الرضاعة كانت تقرأ في القرآن حتى وفاة النبي وكانت مكتوبة عندها على ورقة موضوعة تحت سريرها، ولكنها انشغلت بوفاة النبي فدخلت سحلة وأكلت الورقة. وفي رواية أخرى عن عائشة أنها قالت: لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير. ولقد كانت في صحيفة تحت سريرها، فلما مات النبي وتشاغلت بموته دخل داجن فأكلها. والداجن هنا الحيوان الذي يربى في المنزل، وكان السائد منه في المدينة الماعز. وإن صحت هذه الرواية، فلماذا لم تضاف إلى القرآن لاحقاً؟
- قد تنسخ آية حكماً في آية أخرى ولكن الآية المنسوخة تبقى في القرآن بينما الآية الناسخة اختلفت منه. فهكذا ما زالت الآية 24\102: 2 تسن على 100 جلد في حالة الزنا ولكن هذا الحكم تم نسخه من آية اختلفت من القرآن تسن على الرجم وفقاً للخليفة عمر.
- هناك آيات أوحيت إلى النبي ولكن نسيها من حفظها ومحيت مما كتبه كتبه النبي بأعجوبة. ونجد صدى لهذه الظاهرة في الآيتين 87\8: 6-7 و2\87: 106.

1 مصطفى راشد: الآيات المفقودة (<http://goo.gl/mp49hv>). بخصوص دفن عثمان في مقابر اليهود انظر عدة مصادر إسلامية هنا: <http://goo.gl/ngMpNH>

2 ابو زهرة، محمد: أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958، ص 184-185..

- هناك آيات أوحى بها الشيطان للنبي ونسخها الله لاحقاً كما تذكر الآية 103\22: 52. وهذا ما حدث لما يدعى بالآيات الشيطانية والتي نجد لها صدى في الآيات 23\53: 19-23.
- هناك آيات قرآنية نسختها السنة. فمثلاً سن القرآن على الوصية في الآية 2\87: 180 ولكن هذه الآية نسخها الحديث «لا وصية لوارث».
- هناك أحاديث نبوية نسختها آيات قرآنية. فمثلاً هناك حديث عن معاهدة تفرض إعادة كل من أسلم إلى المشركين وذلك قبل فتح مكة. ولكن تم نسخ هذا الحديث بالآية 60\91: 10.
- نسخ متعدد: ففي موضوع الخمر تم منعه تدريجياً في ثلاث آيات متوالية وهي الآية 2\87: 219 التي نسختها الآية 4\92: 43 التي نسختها الأيتان 5\90: 91 ولكن دون ذكر عقاب عليه. وقد جاء حديث يقول بأن النبي قد جلد شارب الخمر فيكون قد نسخ الآيات السابقة.
- يؤدي هذا الجدل حول النسخ إلى عواقب وخيمة في بعض الأحيان. ففي عام 1975 صرح الرئيس الصومالي زياد بري في خطاب علني أن القرآن نصفه منسوخ أو متناقض ولذلك لا يمكن تطبيقه. وقد أدى ذلك إلى إدانته من الأزهر<sup>1</sup>. وقد أودى هذا الجدل بحياة المفكر السوداني محمود محمد طه الذي شنقه النميري عام 1985 لأنه انتقد تطبيق الشريعة الإسلامية معتبراً أن القرآن المكي قد نسخ القرآن المدني الذي يتضمن الأحكام الشرعية<sup>2</sup>. ومن يدعمون فكرة النسخ في الإسلام يقولون بأن العهد القديم<sup>3</sup> والعهد الجديد<sup>4</sup> يتضمنان أيضاً مفهوماً موازياً.
- ورغم الأهمية التي يعطيها الفقهاء القدامى لمعرفة الناسخ والمنسوخ، فإن الكتاب المسلمين القدامى والمعاصرين غير متفقين على عدد الآيات القرآنية المنسوخة. فابن الجوزي (توفي عام 1200) يذكر 247 آية منسوخة<sup>5</sup> بينما السيوطي (توفي عام 1505) لا يعترف إلا بـ 22 آية منسوخة هي 73\3-1-3\* و2\87: 180 و2\87: 183 و2\87: 184 و2\87: 240 و2\87: 284 و8\88: 65\* و3\89: 102\* و33\90: 52 و60\91: 11 و4\92: 8 و4\92: 15\* و4\92: 16\* و92\4: 33\* و102\24: 2 و24\102: 58 و58\105: 12\* و5\112: 2 و5\112: 42 و5\112: 106 و9\113: 41. وبعد فحص كل هذه الآيات اعتبرت موسوعة قرآنية نشرتها وزارة الأوقاف المصرية عام 2003 أن

- 1 السقا، أحمد حجازي: لا نسخ في القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص 5-6 وص 96-98 (<http://goo.gl/Y2JmCz>).
- 2 تجد كتب وأعمال هذا المفكر السوداني في هذا الموقع <http://goo.gl/bA5hwb>. انظر خاصة كتابه الرسالة الثانية من الإسلام.
- 3 نقرأ في العهد القديم أن الزواج مع الأقارب كان مسموحاً به ثم مُنع. فمثلاً كان الزواج بين الإخوة والأخوات مسموحاً قبل موسى كما بيّنه زواج إبراهيم من سارة (تكوين 20: 10-12) ولكنه مُنع لاحقاً (لاويين 18: 9) وأصبح معاقباً عليه بالإعدام (لاويين 20: 7). وقد تزوج يعقوب شقيقتين هما ليا وراحيل (تكوين 29: 21-30) ثم مُنع مثل هذا الزواج (لاويين 18: 18). وعمران والد موسى تزوج من عمته (خروج 6: 20) ثم مُنع مثل هذا الزواج (لاويين 18: 12). وقد أخبر الله نوحاً وأولاده: «كُلَّ حَيٍّ يَدْبُ يَكُونُ لَكُمْ مَأْكَلًا» (تكوين 9: 3). ثم قيد الله الأكل ببعض الحيوانات دون غيرها (مثلاً لاويين الفصل 11).
- 4 جاء في الإنجيل قول للمسيح: «لا تظنُّوا أنَّي جئتُ لأبطلَ الشريعةَ أو الأتِّباءَ ما جئتُ لأبطلَ، بل لأكمِّلَ» (متى 5: 17). إلا أن المسيح وتلاميذه غيروا شرع موسى. فقد تم حذف بعض موانع الطعام (أعمال 10: 12-16، ورومية 14: 14). وكان السبت وأعياد يهودية أخرى أيام راحة يُمنع فيها العمل (لاويين فصل 23) ويعاقب بالإعدام من يعمل يوم السبت (خروج 31: 12-16؛ بخصوص السبت انظر أيضاً هامش الآية 7\39: 163). وقد ألغى المسيح وتلاميذه راحة يوم السبت والأعياد الأخرى (متى 12: 1-12؛ يوحنا 5: 16، 9؛ 16؛ كولوسي 2: 16). وقد فرضت التوراة الختان على إبراهيم ونسله (تكوين 17: 9-14) ولكن ألغى الرسل هذه الفريضة (أعمال فصل 15؛ غلاطية 5: 6-6؛ 6: 15). وقد سنت التوراة على عقوبة الرجم (لاويين 20: 10؛ تثنية 22: 22-23) ولكن المسيح رفض تطبيق هذه العقوبة (يوحنا 8: 11-4). وسنت التوراة على عقوبة العين بالعين والسن بالسن (خروج 21: 24) ولكن المسيح قرر عكس ذلك: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ 39 مَآ أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَاعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ» (متى 5: 38-39).
- 5 ابن الجوزي: نواسخ القرآن، مع مناقشة الآيات التي اعتبرها منسوخة في موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف <http://goo.gl/36Yu3A>.

فقط الآيات السابقة مع إشارة \* يمكن اعتبارها منسوخة<sup>1</sup>. وقد جمع مصطفى زيد كل الآيات التي اعتبرت منسوخة في تسعة مصادر قديمة فوجد عددها 293 آية ولم يقر إلا بنسخ ستة نصوص هي 73\3: 1-3 و 8\88: 65 و 4\92: 15 و 4\92: 16 و 4\92: 43 و 58\105: 212. وأما مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، فإنه يقول إن المتفق عليه مما قيل بنسخه لا يزيد عن النصين الآتين فقط، هما: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ» (58\105: 12) و «يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ مَلُ، ثُمَّ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا. نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا» (73\3: 1-3). وما عدا ذلك فهو موضع اختلاف بينهم<sup>3</sup>. ويقول ولي الله الدهلوي عن سعة النسخ عند المتقدمين: «اتسع باب النسخ عندهم وتوسعوا في موضوعه، وكان للعقل فيه مجال فسيح، وللإختلاف فيه مكان واسع. ولذلك بلغت الآيات المنسوخة إلى خمسمائة آية، بل إذا حققت النظر تجدها غير محصورة بعدد». وهو يرى انه «لا يتعين النسخ إلا في خمس آيات»<sup>4</sup>.

والإختلاف الشاسع بين مواقف المؤلفين المسلمين في هذا المجال دليل على عدم وضوح نص القرآن حتى للمتبحرين في علومه، وهذا يناقض ما يقوله القرآن عن نفسه: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» (5\112: 15)؛ «تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ» (27\48: 1)؛ «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» (26\47: 195). وهذا الإختلاف في تحديد الناسخ والمنسوخ يدعو إلى الحذر قبل أن نحكم على آية بأنها منسوخة أم لا.

وقد تكون أكثر النقاط حساسية في مجال النسخ الآية التي تسمى آية السيف وهي الآتية وفقاً للرأي الغالب:

فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (9\113: 5).

ويرى السيد الخوئي أن آية السيف هي الآية التالية التي يطلق عليها آية الجزية:

قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (9\113: 29)<sup>5</sup>.

فقد اعتبر فقهاء قدامى أن آية السيف نسخت 6124 أو 7140 آية متسامحة من القرآن ومن بينها الآية الشهيرة لا اكره في الدين (2\87: 256) التي ندرسها في كتابنا هذا. وهو ما يثير جدلاً واسعاً في عصرنا. فهناك من يعتبرها منسوخة، وهناك مع يعتبرها باقية، محاولين التوليف بينها وبين آيات أخرى وأحاديث نبوية متناقضة.

- 1 الموسوعة القرآنية المتخصصة، وزارة الأوقاف، القاهرة، 2003 http://goo.gl/g51HYK، ص 632-650.
- 2 زيد، مصطفى: النسخ في القرآن، دراسة تشريعية تاريخية نقدية، دار وفاء، المنصورة، طبعة 3، 1987 http://goo.gl/NgTtui، الجزء الأول ص 388-398 والجزء الثاني ص 336.
- 3 انظر ما يقوله موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف: http://goo.gl/4QhfrT
- 4 الدهلوي، ولي الله: الفوز الكبير في أصول التفسير، عربه عن الفارسية سلمان الحسيني الثدوي، دار الصحوة، القاهرة، طبعة 2، 1986 http://goo.gl/TYAE1u، ص 84 و 93.
- 5 السيد الخوئي: مناقشة الآيات المدعى نسخها (http://goo.gl/aHw0No). حول تحديد آية السيف انظر القرضاوي، يوسف: الجدل حول آية السيف: وقاتلوه حتى لا تكون فتنة مقال http://goo.gl/48Zi0z.
- 6 الأبياري، إبراهيم: الموسوعة القرآنية، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1984 http://goo.gl/e2PNM9، الجزء 2، ص 540.
- 7 زيد، مصطفى: النسخ في القرآن، دراسة تشريعية تاريخية نقدية، دار وفاء، المنصورة، طبعة 3، 1987 http://goo.gl/NgTtui، الجزء الثاني، ص 9.

### 3) تفسير الآية لا اكراه في الدين على ضوء القرآن والسنة

يلاحظ القارئ لنصوص التفسير في الجزء الثاني بأن هناك من يكتفي بذكر آية لا اكراه في الدين بصيغة أخرى. وعلى العكس من ذلك، هناك من يتطرق للمصدرين الرئيسيين للشريعة الإسلامية، أي القرآن والسنة، لتحديد معنى هذه الآية ومدى تطبيقها ومن تطبق عليهم ومدى صلاحيتها في الزمان والمكان، خاصة لمعرفة ان كانت منسوخة أم لا. فعند المسلمين تحديد ما هو حسن وما هو سيء، وما هو حلال وما هو حرام، يعتمد بالضرورة على هذين المصدرين، إما سوية او منفصلين، إما بصورة مباشرة أو بصورة غير مباشرة من خلال القياس. ولا مكان لإرادة الشعب كما في النظام الديمقراطي. ونكتفي هنا بذكر ثلاثة نصوص قرآنية للاستدلال على ذلك:

م 16:70: 116: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ

لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ

هـ 8:88: 20: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنتُمْ تَسْمَعُونَ

هـ 4:92: 59: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن

تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

ونشير هنا إلى ان حرف م يدل على الآيات المكية، وحرف هـ يشير إلى الآيات الهجرية (المدنية)، يتبعها رقم السورة بالتسلسل التاريخي، ثم رقم السورة في المصحف العثماني المتداول، ثم رقم الآية وفقاً لمصحف الملك فواد.

### 4) الأحاديث النبوية ذات الصلة مع الآية لا اكراه في الدين وأسباب النزول

بصورة عامة يبدأ المسلم بالبحث في القرآن الذي هو في نظره كلام الله والذي يبقى قطعي الثبوت رغم اختلاف التفسير. فلا يلجأ المسلم عامة للسنة إلا إذا لم يتضمن القرآن جواباً دقيقاً ومفصلاً لما ينشده. وفيما يخص موضوع هذا الكتاب، فإن المفسرين يتبعون طريقاً معكوساً. فهم يبدؤون بالآية لا اكراه في الدين (2: 256) ثم يلجؤون إلى تفسير لهذه الآية من خلال ما يطلق عليه أسباب النزول. والهدف من ذلك معرفة حيثيات نزول الآية واستخراج النتائج لحيثيات مماثلة اعتماداً على القاعدة الفقهية "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

وأسباب النزول أحد العلوم المرتبطة بالقرآن التي بدونها لا يمكن فهمه. والمفسرون يبدؤون بذكر هذه الأسباب إن عرفت. فلا تعرف أسباب النزول إلا لـ 888 آية من بين 6236 آية يتضمنها القرآن. وهذه الأسباب موجودة في كتب السيرة النبوية وكتب الحديث وكتب التفسير. وقد تم تجميعها في كتب متخصصة، وينشر بعضها في هوامش القرآن باللغة العربية، ولكن تلك الأسباب ليست موحدة، ونفس الآية يمكن ان يكون لها عدة أسباب متناقضة كما هو الأمر فيما يخص آية لا اكراه في الدين. وكما هو الأمر مع السنة، هناك جدل حول مدى صحتها.

ونشير هنا إلى ان للحديث شقان: السند (ويتضمن ذكر الرواة) والمتن (الذي يتضمن ما قاله النبي محمد، وفقاً لهؤلاء الرواة). وسوف نكتفي هنا بذكر السند، دون المتن.

ونعطي هنا أسباب النزول التي ذكرتها كتب التفسير المختلفة، علماً بأن بعض تلك التفسير تذكر السبب مطولاً، وبعضها يذكره مختصراً.

## 1) نذر الأنصارية إن ولدت ولدًا ان تجعله في اليهود

نزلت هذه في الأنصار: كانت المرأة في الجاهلية تنذر إن ولدت ولدًا أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه. فجاء الإسلام وفيهم منهم؛ فلما أجليت النضير، قالوا: يا رسول الله، أبناؤنا وإخواننا فيهم. فسكت عنهم رسول الله، فأنزل الله تعالى ذكره: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. فقال رسول الله: قَدْ خَيْرَ أَصْحَابِكُمْ، فَإِنْ اخْتَارُوكُمْ فَهُمْ مِنْكُمْ، وَإِنْ اخْتَارَوْهُمْ فَهُمْ مِنْهُمْ قَالَ: فأجلوهم معهم.

## 2) أولاد المسترضعين في اليهود من الأوس

كان ناسٌ مسترضعين في اليهود من الأوس، فلما أمر النبي بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلهم وأكرهوهم على الإسلام فنزلت لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

## 3) ابنان تحولوا للمسيحية مع تجار من الشام

رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين، كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت؛ فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين، فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا، فرجعا إلى الشام معهم. فأتى أبوهما إلى رسول الله، فقال: إن ابني تنصرا وخرجا، فأطلبهما؟ فقال: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب. وقال: أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما. فنزلت: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. ثم إنه نسخ: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بن سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأنزل الله تعالى لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ فخلى سبيلهما.

## 4) مملوك عمر

وروى شريك عن عبد الله بن أبي هلال عن وسق قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكنت نصرانياً وكان يقول: يا وسق أسلم فإنك لو أسلمت لوليتك بعض أعمال المسلمين فإنه ليس يصلح أن يلي أمرهم من ليس على دينهم، فأبيت عليه فقال: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

## 5) عمر والعجوز النصرانية

سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمى أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت أنا عجوز كبيرة والموت إلى قريب. فقال عمر: اللهم اشهد وتلا: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

## 6) رفض محمد إكراه الناس على الإسلام

عن علي بن أبي طالب، قال: إن المسلمين قالوا لرسول الله: لو أكرهت - يا رسول الله - من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثرت عدونا وقوينا على عدونا. فقال رسول الله: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث لي فيها شيناً، وما أنا من المتكلفين. فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: يا محمد ولَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً عَلَى سَبِيلِ الْإِلْجَاءِ وَالْإِضْطْرَارِ فِي الدُّنْيَا، كما يؤمنون عند المعاناة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً، لكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين، ليستحقوا مني الزلفي والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد أفأنت تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ.

## 5) الآيات القرآنية ذات الصلة مع الآية لا إكراه في الدين

القرآن ليس كتاباً منهجياً، بل كتاب مقطوع الأوصال، حيث الآيات التي تحكم موضوعاً ما موزعة بصورة عشوائية في سوره. فمن يريد معرفة كيفية تنظيم القرآن للميراث والوصية على سبيل المثال،

عليه أن ينتقل بين عدة سور، إذ إن هذا الموضوع تم تقنينه في الآيات التالية: 10\89: 19؛ 2\87؛ 182-180 و240؛ 8\88؛ 75؛ 33\90؛ 6؛ 60\91؛ 8-9؛ 4\92؛ 7-9 و11-12 و19 و33 و176؛ 5\112؛ 106-108. ونفس الأمر ينطبق على احكام الزواج والعقوبات وموانع الطعام وتحريم الربي، وعلى الشخصيات التي يذكرها مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومريم الخ. وهذه الظاهرة نجدها في الآيات المتعلقة بحرية العقيدة التي تتلحم عنها الآية لا اكراه في الدين. فهناك عدد من الآيات ذات الصلة يرجع إليها المفسرون لتحديد معنى تلك الآية. ونعطي هنا قائمة بتلك الآيات، علمًا بأن المفسرين يكتفون ببعض كلمات من هذه الآيات، ظانين ان القراء يعرفون الآية بالكامل:

م 26\47: 3 - لَعَلَّكَ بَنِعُ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

م 26\47: 4 - إِنْ دَسَّأْنَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَقُهُمْ لَهَا خَضِيعِينَ

م 10\51: 99 - وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

م 10\51: 100 - وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِجَعْلِ الرَّجْسِ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

م 41\61: 34 - وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ

م 42\62: 48 - فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ

م 18\69: 29 - وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا

م 16\70: 116 - وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَفَتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ

هـ 2\87: 64 - ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ

هـ 2\87: 193 - وَقَتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ

هـ 2:187: 194 - الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

هـ 2:187: 256 - لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

هـ 2:187: 257 - اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

هـ 8:88: 20 - يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ  
هـ 8:88: 39 - وَقَتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنَّ آتَتْهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

هـ 4:92: 59 - يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۗ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

هـ 4:92: 94 - يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ ۚ فَمَنْ بَرَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

هـ 4:95: 4 - فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَخْنَتُمْوَهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِذَا مَاتَ مِتًّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ

هـ 13:96: 31 - وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سِيرَتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَأْتِئْسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

هـ 22:103: 17 - إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصْرَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ



هـ 107\66: 9 - يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
وَبئْسَ الْمَصِيرُ

هـ 111\48: 16 - قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعَةٌ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ  
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ  
قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

هـ 105\5: 105 - يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ  
إِلَى اللَّهِ مَرَجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

هـ 113\9: 5 - فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ  
وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ  
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

هـ 113\9: 7 - كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ  
عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا هُمْ إِنْ اللَّهُ تُحِبُّ  
الْمُتَّقِينَ

هـ 113\9: 29 - قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا  
حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا  
الْحِزْبَ عَنِ يَدِهِ وَهُمْ صَغِيرُونَ

هـ 113\9: 36 - إِنْ عِدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ  
أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ  
الْمُتَّقِينَ

هـ 113\9: 73 - يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ  
وَبئْسَ الْمَصِيرُ

هـ 113\9: 113 - مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ  
كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

هـ 113\9: 123 - يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا  
فِيكُمْ غُلَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

## 6) معنى آية لا اكراه في الدين وحدودها

يمكن اختصار معنى الآية لا اكراه في الدين وفقاً للتفاسير المذكورة في القسم الثاني من هذا الكتاب كما يلي:

- 1) لا تسامح مع عبدة الأوثان لأنهم ليسوا أهل كتاب منزل. فهم مخيرون فقط بين الإسلام والسيوف مع ما يتبع ذلك من سبي نسائهم واسترقاق أطفالهم وسلب أموالهم. وعامة يطلق عليهم صفة المشركين، أي يشركون مع الله آلهة أخرى.
- 2) أهل الكتاب، أي اليهود والنصارى، مخيرون بين الإسلام، أو الاحتفاظ بدينهم مع دفع الجزية وهم صاغرون والخضوع لأحكام تنتقص من حقوقهم مقارنة بالمسلمين، أو السيوف مع ما يتبع ذلك من سبي نسائهم واسترقاق أطفالهم وسلب أموالهم. فمن يرفض الإسلام أو دفع الجزية يجب قتله. ويُشبّه المجوس والصابون باليهود والنصارى.
- 3) الوثنيون الذين يتحولون لليهودية أو للنصرانية يعاملون معاملة الوثنيين، فيخيرون بين الإسلام والسيوف مع ما يتبع ذلك من سبي نسائهم واسترقاق أطفالهم وسلب أموالهم.
- 4) السبايا وأسرى اليهود والنصارى والذين يتم استرقاقهم لا يفرض عليهم الإسلام، ولكن سبايا وأسرى الوثنيين والصابين والمجوس يفرض عليهم الإسلام، لأن سيادهم لا يمكنهم الزواج من نسائهم ولا يستطيعون أكل ذبيحتهم. وأما القاصرون من الفنتين فيفرض عليهم الإسلام فرضاً حتى لا يتبعوا ديناً فاسداً.
- 5) كلمة اكراه تعني عامة الإكراه الجسدي، أو بصورة أدق القتل. ولم نجد إلا مفسراً واحداً يفسر كلمة الإكراه بالقتل والسجن والحرمان من الأموال. ولم نجد أي مفسر يعتبر انتقاص حقوق غير المسلمين والتشديد عليهم بهدف تحويلهم للإسلام نوعاً من الإكراه. فمثلاً منع غير المسلمين من الزواج من مسلمة إلا إذا أسلم، بينما يسمح للمسلم من الزواج من كتابية لا يعتبر اكراها.
- 6) لم نجد أي مفسر اعتبر آية لا اكراه في الدين بأنها تعني حق المسلم بترك الإسلام أو ترك الواجبات الدينية مثل الصلاة والصوم. ووفقاً للشعراوي، أحد المفسرين المعاصرين، المسلم الذي يرفض الصلاة يحق عقابه اعتماداً على آية لا اكراه في الدين.
- 7) بعض المفسرين، خاصة المعاصرين، يرفضون الاتهام بأن الإسلام انتشر بالسيوف، معتبرين اللجوء للحرب وسيلة لحماية حقهم في نشر الإسلام. ولم نجد مفسراً واحداً يعترف بحق غير المسلم في تبشير المسلمين وتحويلهم لدين غير الإسلام أو نشر ديانتهم.
- 8) لم نجد أي مفسر يعطي الحق لأطفال المسلمين الذين لم يختاروا ديانتهم في ترك الإسلام عندما يبلغون سن الرشد.
- 9) يعتبر المفسرون أن كل شخص عاقل يجب عليه أن يختار الإسلام، ولكنه يترك حراً في فعل ذلك. وفي نفس الوقت يعتبرون أن التحول للإسلام لا يتم إلا بإرادة الله، ولكن لا يعطون حرية الاختيار للوثنيين: "لأنَّ الإسلام لا يعتبر عبادة الأصنام ديناً من الأديان، بل يراها انحرفاً ومرضاً وخرافة، ويعتقد أنه لا يجوز مطلقاً أن يسمح لجمع من الناس أن يسيروا في طريق الضلال والخرافة، بل يجب إيقافهم عند حدِّهم؛ لذلك دعا الإسلام عبدة الأصنام إلى التوحيد، وإذا قاوموه توسل بالقوة وحطم الأصنام وهدم معابدها، وحال دون بروز أي مظهر من مظاهر عبادة الأصنام، لكي يقضي تماماً على منشأ هذا المرض الروحي والفكري"، كما يقول القماش، أحد المفسرين المعاصرين. وهذا يفسر لماذا لا يبالي المسلمون بإبادة 80 مليون هندوسي لأنهم يعتبرون وثنيين.
- 10) يعتبر المفسرون المعاصرون الإسلام أول دين والدين الوحيد الذي يعترف بمبدأ لا اكراه في الدين - الذي يعتبرونه مساوياً لمبدأ حرية الاعتقاد. ولا يتعرض أي منهم للمفارقات المذكورة

أعلاه بين مبدأ لا اكراه في الدين وحدوده وبين مبدأ حرية الاعتقاد كما تنص عليه الوثائق الدولية.

(11) كثيرًا ما تثار قضية النسخ فيما يخص آية لا اكراه في الدين. فحتى لا يتم فهم هذا المبدأ في جميع الحالات، اعتبر المفسرون ان المعنى العام تم نسخه بالآيات التي تنص على القتال بحيث لا يطبق مبدأ لا اكراه في الدين إلا في حدود أهل الكتاب الذين يقبلون بدفع الجزية وهم صاغرون.

#### 7) التناقضات مع الأحكام الدستورية والدولية

لا شك في انه يمكن اعتبار مبدأ لا اكراه في الدين، حتى في المعنى الناقص المذكور أعلاه، مرحلة مهمة نحو الاعتراف بحرية العقيدة. وفي هذا المضمار، يمكن القول بأن الاعتراف بهذا المبدأ يعتبر تقدمًا لما كان الوضع عليه في مسيحية القرن السابع الميلادي. ولكنه يعتبر تراجعًا مقارنة لما كان متعارف عليه بين العرب قبل الإسلام وفقًا للمصادر الإسلامية ذاتها. فالمجتمع الوثني العربي كان يعترف بجميع الأديان. ولذلك تعتبر اخلاقيات المجتمع الوثني اعلى من اخلاقيات الإسلام كما جاء بها القرآن الذي لا يعترف إلا بأهل الكتاب وفي حدود ضيقة جدًا. وبدعم إعطاء محمد الوثنيين إلا الخيار بين الإسلام والسيوف فإنه خالف المبادئ التي كانت متعارف عليها في المجتمع العربي في ذلك الزمان. وإذا تركنا جانبًا التاريخ العربي، فإن مبدأ لا اكراه في الدين كما جاء في القرآن لا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنته بمبدأ حرية العقيدة المنصوص عليه في الدساتير والوثائق الدولية الخاصة بحقوق الإنسان.

وإذا نحن اكتفينا بالوضع في سويسرا، يمكننا القول بأن الشريعة الإسلامية القائمة على القرآن والسنة تخالف الدستور السويسري.

- فالقانون السويسري يرفض أي تفريق بين أهل كتاب ومن لا ينتمون لأهل كتاب.
  - ويرفض كل اكراه وكل تمييز مبني على الانتماء الديني، إن كان هذا التمييز مادي، أو عائلي، أو متعلق بالميراث والإجراءات (خاصة الشهادة) والعقوبات.
  - ويعطي لكل شخص الحق في تغيير الدين بداية من عمر 16 سنة.
  - ويعطي لكل شخص الحق في الانتماء أو عدم الانتماء لأي دين كان.
- وهذه الأحكام السويسرية تجد مثيل لها في وثائق حقوق الإنسان الدولية.



## القسم الثاني المفسرون بالتسلسل التاريخي

- قبل ان نعرض تفسيرات الآية 256 من سورة البقرة، علينا ان نبين المنهج المتبع:
- (1) اعتمدنا خاصة على التفاسير الموجودة في الموقع [www.altafsir.com](http://www.altafsir.com) الذي تديره مؤسسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي التابع للعائلة المالكة الأردنية. وقد كملنا هذه التفاسير بتفاسير متواجدة في موقع [www.islamport.com](http://www.islamport.com). ولكل تفسير وضعنا رابطاً يسمح بالرجوع للمصدر.
  - (2) تم ترتيب التفاسير وفقاً لسنة وفاة المفسر. ووضعنا رابط للتعريف بكل مفسر على قدر الإمكان، كما ذكرنا المدرسة التي ينتمي لها: سني، شيعي، زيدي، اباضي، صوفي، معتزلي، سلفي.
  - (3) لتبرير المعنى الخاص بالآية لا اكراه في الدين، يرجع المفسرون إلى حديث نبوي أو آية قرآنية. وفيما يخص الآيات، يكتفي المفسر بذكر بعض كلماتها، معتبراً ان القارئ يعرف الباقي. ولكي لا نتقل على القارئ ذكرنا أعلاه الأحاديث والآيات كاملة.
- ويجب ان نعلم هنا ان كتب التفسير هي جزء من مناهج التعليم لرجال الدين المسلمين. ومن هنا تأتي أهميتها. وبعض تلك التفاسير القصيرة تُنشر مع هوامش القرآن، خاصة تفسير الجلالين. وقد تم ترجمة بعض تلك التفاسير إلى اللغات الغربية، كما هو الأمر مع تفسير ابن كثير.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ لِأَحَدٍ بَعْدَ إِسْلَامِ الْعَرَبِ إِذَا أَقْرَأُوا بِالْجِزْيَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ كَانَ لَا يَقْبَلُ الْجِزْيَةَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلَمَّا أَسْلَمَتِ الْعَرَبُ طَوْعاً وَكَرْهاً قَبْلَ الْخُرَاجِ، مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَكَتَبَ النَّبِيُّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى، وَأَهْلِ هَجْرٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَكَتَبَ: مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ هَجْرٍ، سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ: إِنْ مِنْ شَهِدَ شَهَادَتَنَا، وَأَكَلَ مِنْ ذَبِيحَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قَبْلَتَنَا، وَدَانَ بِدِينِنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، وَذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مَا أَسْلَمْتُمْ عَلَيْهِ، وَلَكُمْ عَشْرُ التَّمْرِ، وَلَكُمْ نِصْفُ عَشْرِ الْحَبِّ، فَمَنْ أَبِي الْإِسْلَامِ، فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ. فَكَتَبَ الْمُنْذِرُ إِلَى النَّبِيِّ: إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ إِلَى أَهْلِ هَجْرٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَبِي، فَأَمَّا الْيَهُودُ وَالْمَجُوسُ، فَأَقْرَأُوا بِالْجِزْيَةِ، وَكَرْهُوا الْإِسْلَامَ، فَقَبِلَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ بِالْجِزْيَةِ. فَقَالَ مَنَافِقُو أَهْلِ الْمَدِينَةِ: زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ لَمْ يَوْمَرْ أَنْ يَأْخُذَ الْجِزْيَةَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَمَا بَالُهُ قَبِلَ مِنْ مَجُوسِ أَهْلِ هَجْرٍ، وَقَدْ أَبِي ذَلِكَ عَلَيَّ أَبَائِنَا وَإِخْوَانِنَا حَتَّى قَاتَلَهُمْ عَلَيْهِ، فَشَقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ قَوْلَهُمْ، فَذَكَرُوهُ لِلنَّبِيِّ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْنَا أَنْفُسَكُمْ أَمَّا الْآيَةُ الْمَائِدَةُ: 105، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ بَعْدَ إِسْلَامِ الْعَرَبِ.

<http://goo.gl/rb3pqE> 1

<http://goo.gl/2mVEEK> 2

همام الصنعاني<sup>1</sup>  
توفى عام 825 - سنّي  
تفسير عبد الرزاق الصنعاني<sup>2</sup>

#### فقرات من التفسير

حدثنا معمر عن قتادة في قوله تعالى لا إكراه في الدين قال كانت العرب ليس لها دين فأكرهوا على الدين بالسيف قال ولا يكره اليهودي ولا النصراني ولا المجوسي إذا أعطوا الجزية.  
عبد الرزاق قال حدثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصراني يا جرير أسلم ثم قال هكذا كان يقال لهم.

---

1 <https://goo.gl/pfmd5x>

2 <http://goo.gl/OCGfzt>

### فقرات من التفسير

قوله عَزَّ وَجَلَّ: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ؛ الآية، اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة أقوال؛ قال السدي والضحاك: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ الْأَمْرِ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَصَلَتْ: 34، وَكَانَ الْقِتَالُ غَيْرَ مُبَاحٍ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ إِلَى أَنْ قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ الصَّحِيحَةُ بِصَحَّةِ نُبُوَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمَّا عَانَدُوا بَعْدَ الْبَيَانِ أَمَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِقِتَالِهِمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ التوبة: 5 وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقِتَالِ.

وقال الحسن وقتادة: (إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ خَاصَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ لَا يُكْرَهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ، وَأَمَّا مُشْرِكُو الْعَرَبِ فَلَا يُقْرُونَ بِالْجِزْيَةِ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامُ أَوْ السِّيْفُ).

والقول الثالث: أن معناه: مَنْ دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ بِمَحَارِبَةِ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ رَضِيَ بَعْدَ الْحَرْبِ فَلَيْسَ بِمُكْرَهٍ؛ أَي لَا يَقُولُوا لَهُمْ: إِنَّمَا أَسْلَمْتُمْ كَرْهًا؛ فَلَا إِسْلَامَ لَكُمْ.

ومعنى الآية: لَا إِكْرَاهَ فِي الْإِسْلَامِ؛ أَي لَا تُكْرَهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ، قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْعِيِّ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ؛ أَي قَدْ وَصَحَ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْتَقِيمٍ بِمَا أَعْطَاهُ اللَّهُ أَنْبِيَائِهِ مِنَ الْمِعْجَزَاتِ، فَلَا تُكْرَهُوا عَلَى الدِّينِ. ودخول الألف واللام في (الدِّين) لتعريف المعهود.

قَوْلُهُ تَعَالَى: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا؛ أَي فَمَنْ يَكْفُرُ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يَكْفَرَ بِهِ، وَيَصِدِّقَ بِاللَّهِ وَبِمَا أَمَرَ بِهِ، فَقَدْ عَقَدَ لِنَفْسِهِ مِنَ الدِّينِ عَقْدًا وَثِيقًا لَا تَحُلُهُ حُجَّةٌ مِنَ الْحُجَجِ لَا انْقِطَاعَ لَهَا بِالشَّبْهِةِ وَالشُّكُوكِ. قَوْلُهُ تَعَالَى: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ؛ أَي سَمِيعٌ لِمَا يَعْقِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي أَمْرِ الدِّينِ، عَالِمٌ بِنَيْتِهِ فِي ذَلِكَ.

والعِيُّ: نَقِيضُ الرَّشْدِ. وَالطَّاغُوتُ: مَا خُوذَ مِنَ الطُّغْيَانِ، وَالطَّاغُوتُ اسْمٌ لِلْأَصْنَامِ وَالشَّيَاطِينِ وَكُلُّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى.

1 <http://goo.gl/OLkQax>

2 <http://goo.gl/IsY2H6>



### فقرات من التفسير

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في قوم من الأنصار، أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هودوهم أو نصرورهم؛ فلما جاء الله بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم الله عن ذلك، حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الإسلام. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلتاً، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده؛ فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا فنأزل الله تعالى ذكره: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: كانت المرأة تكون مقلتاً ولا يعيش لها ولد - قال شعبة: وإنما هو مقلات - فتجعل عليها إن بقي لها ولد لتهودنه. قال: فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: من شاء أن يقيم أقام، ومن شاء أن يذهب ذهب.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا داود، وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علي، عن داود، عن عامر، قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلتاً لا يعيش لها ولد، فتنذر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم. فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم، فقالوا: إنما جعلناهم على دينهم، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وإذا جاء الله بالإسلام فلنكرههم فنزلت: لا إكراه في الدين فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والإسلام، فمن لحق بهم اختار اليهودية، ومن أقام اختار الإسلام. ولفظ الحديث لحميد.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت داود، عن عامر، بنحو معناه، إلا أنه قال: فكان فصل ما بينهم إجماع رسول الله بني النضير، فلحق بهم من كان يهودياً ولم يسلم منهم، وبقي من أسلم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر بنحوه، إلا أنه قال: إجماع النضير إلى خير، فمن اختار الإسلام أقام، ومن كره لحق بخير.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن أبي إسحاق، عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة، أو عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين؛ كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك.

حدثني المثنى قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، قال: سألت سعيد بن جبير عن قوله: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: نزلت هذه في الأنصار. قال: قلت خاصة؟ قال: خاصة. قال: كانت المرأة في الجاهلية تنذر إن ولدت ولداً أن تجعله في اليهود

1 <http://goo.gl/AiIrmD>

2 <http://goo.gl/X7HgOm>

تلتمس بذلك طول بقائه. قال: ف جاء الإسلام وفيهم منهم؛ فلما أجليت النضير، قالوا: يا رسول الله، أبناؤنا وإخواننا فيهم، قال: فسكت عنهم رسول الله، فأنزل الله تعالى ذكره: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: فقال رسول الله: قد خير أصحابكم، فإن اختاروكم فمهممكم، وإن اختاروهم فمهممهم قال: فأجلوهم معهم.

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي إلى: لا أنفصام لها قال: نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين: كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت؛ فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين، فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا، فرجعا إلى الشام معهم. فأتى أبوهما إلى رسول الله، فقال: إن ابني تنصرا وخرجا، فأطلبهما؟ فقال: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب. وقال: أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما، فنزلت:

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

ثم إنه نسخ: لا إكراه في الدين فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: لا إكراه في الدين قال: كانت في اليهود يهود أرضعوا رجالاً من الأوس، فلما أمر النبي بإجلانهم، قال أبناؤهم من الأوس: لنذهب معهم، ولندين بدينهم فمنعهم أهلهم، وأكرهوهم على الإسلام، ففيهم نزلت هذه الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، وحدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد جميعاً، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد: لا إكراه في الدين قال: كان ناس من الأنصار مسترضعين في بني قريظة، فأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني الحجاج، عن ابن جريج، قال: قال مجاهد: كانت النضير يهوداً فأرضعوا. ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو، عن أبي عاصم. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الكريم، عن مجاهد أنهم كانوا قد دان بدينهم أبناؤ الأوس، دانوا بدين النضير.

حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي: أن المرأة من الأنصار كانت تنذر إن عاش ولدها لتجعلته في أهل الكتاب فلما جاء الإسلام قالت الأنصار: يا رسول الله ألا نكره أولادنا الذين هم في يهود على الإسلام، فإنما إنما جعلناهم فيها ونحن نرى أن اليهودية أفضل الأديان؟ فلما إذ جاء الله بالإسلام، أفلا نكرههم على الإسلام؟ فأنزل الله تعالى ذكره: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.

حدثت عن عمار، قال: ثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن داود، عن الشعبي مثله، وزاد: قال: كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الإسلام، إجلاء بني النضير؛ فمن خرج مع بني النضير كان منهم، ومن تركهم اختار الإسلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: لا إكراه في الدين إلى قوله: بالعرورة أوثقتي قال: هذا منسوخ.

حدثني سعيد بن الربيع الرازي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ووائل، عن الحسن: أن أناساً من الأنصار كانوا مسترضعين في بني النضير، فلما أجلوا، أراد أهلهم أن يلحقوهم بدينهم، فنزلت: لا إكراه في الدين.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يكره أهل الكتاب على الدين إذا بذلوا الجزية، ولكنهم يقرّون على دينهم. وقالوا: الآية في خاص من الكفار، ولم ينسخ منها شيء. ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: أكره عليه هذا الحي من العرب، لأنهم كانوا أمة أمية، ليس لهم كتاب يعرفونه، فلم يقبل منهم غير الإسلام، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقرّوا بالجزية أو بالخراج، ولم يفتنوا عن دينهم، فيخلى عنهم.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: ثنا قتادة في قوله: لا إكراه في الدين قال: هو هذا الحي من العرب أكرهوا على الدين، لم يقبل منهم إلا القتل أو الإسلام، وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن جوير، عن الضحاک في قوله: لا إكراه في الدين قال: أمر رسول الله أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان، فلم يقبل منهم إلا لا إله إلا الله، أو السيف. ثم أمر فيمن سواهم بأن يقبل منهم الجزية؛ فقال: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله: لا إكراه في الدين قال: كانت العرب ليس لها دين، فأكرهوا على الدين بالسيف، قال: ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس إذا أعطوا الجزية.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن ابن أبي نجيح، قال: سمعت مجاهداً يقول لغلام له نصراني: يا جريير أسلم ثم قال: هكذا كان يقال لهم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: وذلك لما دخل الناس في الإسلام، وأعطى أهل الكتاب الجزية.

وقال آخرون: هذه الآية منسوخة، وإنما نزلت قبل أن يفرض القتال. ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري قال: سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره: لا إكراه في الدين قال: كان رسول الله بمكة عشر سنين لا يكره أحداً في الدين، فأبى المشركون إلا أن يقاتلوه، فاستأذن الله في قتالهم، فأذن له.

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: نزلت هذه الآية في خاص من الناس، وقال: عنى بقوله تعالى ذكره: لا إكراه في الدين أهل الكتابين والمجوس، وكل من جاء إقراره على دينه المخالف دين الحق، وأخذ الجزية منه. وأنكروا أن يكون شيء منها منسوخاً.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه في كتابنا كتاب اللطيف من البيان عن أصول الأحكام من أن الناسخ غير كائن ناسخاً إلا ما نفي حكم المنسوخ، فلم يجز اجتماعهما. فأما ما كان ظاهره العموم من الأمر والنهي وباطنه الخصوص، فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل. وإذا كان ذلك كذلك، وكان غير مستحيل أن يقال: لا إكراه لأحد ممن أخذت منه الجزية في الدين، ولم يكن في الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك، وكان المسلمون جميعاً قد نقلوا عن نبيهم أنه أكره على الإسلام قوماً، فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين، ومن أشبههم؛ كان بيتاً بذلك أن معنى قوله: لا إكراه في الدين إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية، ورضاه بحكم الإسلام.

ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة بالحكم بالإذن بالمحاربة.

فإن قال قائل: فما أنت قائل فيما روي عن ابن عباس وعن روي عنه: من أنها نزلت في قوم من الأنصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام؟ قلنا: ذلك غير مدفوعه صحته، ولكن الآية

قد تنزل في خاص من الأمر، ثم يكون حكمها عاماً في كل ما جانس المعنى الذي أنزلت فيه. فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره، إنما كانوا قوماً دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الإسلام لهم، فنهى الله تعالى ذكره عن إكراههم على الإسلام، وأنزل بالنهي عن ذلك آية يعمّ حكمها كل من كان في مثل معناهم ممن كان على دين من الأديان التي يجوز أخذ الجزية من أهلها، وإقرارهم عليها على النحو الذي قلنا في ذلك.

ومعنى قوله: لا إكراه في الدين لا يكره أحد في دين الإسلام عليه، وإنما أدخلت الألف واللام في الدين تعريفاً للدين الذي عنى الله بقوله: لا إكراه فيه، وأنه هو الإسلام. وقد يحتمل أن يكون أدخلنا عقيباً من الهاء المنوية في الدين، فيكون معنى الكلام حينئذ: وهو العليّ العظيم لا إكراه في دينه، قد تبين الرشد من الغي. وكان هذا القول أشبه بتأويل الآية عندي.

وأما قوله: قد تبين الرشد فإنه مصدر من قول القائل: رشدت فأنا أرشدُ ورشداً ورشاداً، وذلك إذا أصاب الحق والصواب. وأما الغي، فإنه مصدر من قول القائل: قد غوى فلان فهو يغوى غياً وغوايةً. وبعض العرب يقول: غوى فلان يغوى. والذي عليه قراءة القراء: ما ضلّ صحتكم وما غوى بالفتح، وهي أفصح اللغتين، وذلك إذا عدا الحق وتجاوزته فضلاً.

فتأويل الكلام إذاً: قد وضح الحق من الباطل، واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه، فتميز من الضلالة والغواية، فلا تكرر هو من أهل الكتابين، ومن أبحث لكم أخذ الجزية منه، على دينكم، دين الحق؛ فإن من حاد عن الرشاد بعد استبانت له، فإلى ربه أمره، وهو وليّ عقوبته في معاده. اختلف أهل التأويل في معنى الطاغوت، فقال بعضهم: هو الشيطان. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد العنسي قال: قال عمر بن الخطاب: الطاغوت: الشيطان.

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثني ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن حسان بن فائد، عن عمر، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عبد الملك، عن حدثه، عن مجاهد، قال: الطاغوت: الشيطان.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا زكريا، عن الشعبي، قال: الطاغوت: الشيطان. حدثنا المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا أبو زهير، عن جوير، عن الضحاك في قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ قال: الشيطان.

حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، الطاغوت: الشيطان. حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ بالشيطان. وقال آخرون: الطاغوت: هو الساحر. ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى قال: ثنا داود، عن أبي العافية، أنه قال: الطاغوت: الساحر. وقد خولف عبد الأعلى في هذه الرواية، وأنا أذكر الخلاف بعد.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا عوف، عن محمد، قال: الطاغوت: الساحر. وقال آخرون: بل الطاغوت: هو الكاهن. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا سعيد، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، قال: الطاغوت: الكاهن.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن رفيع، قال: الطاغوت: الكاهن. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ قال: كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم. أخبرني أبو الزبير عن جابر بن عبد الله، أنه

سمعه يقول: وسئل عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، فقال: كان في جبهة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، وهي كهان ينزل عليها الشيطان.

والصواب من القول عندي في الطاغوت: أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود، أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً، أو كائناً ما كان من شيء. وأرى أن أصل الطاغوت: الطَّغَوْتُ، من قول القائل: طغا فلان يطغو: إذا عدا قدره فتجاوز حدّه، كالجبروت من التجبر، والخلبوت من الخلب، ونحو ذلك من الأسماء التي تأتي على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء. ثم نقلت لأمه أعني لام الطغوت، فجعلت له عيناً، وحوّلت عينه فجعلت مكان لأمه، كما قيل جذب وجبد وجاذب وجاذب وصاعقة وصاقعة، وما أشبه ذلك من الأسماء التي على هذا المثال.

فتأويل الكلام إذاً: فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به؛ ويؤمن بالله يقول: ويصدق بالله أنه إلهه وربّه ومعبوده، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى يَقُولُ: فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه.

كما:

حدثني أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندي، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا ابن أبي مريم، عن حميد بن عقبة، عن أبي الدرداء: أنه عاد مريضاً من جبرته فوجده في السُّوق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد، فسألهم: يريد أن ينطق؟ قالوا: نعم يريد أن يقول: أمنت بالله وكفرت بالطاغوت. قال أبو الدرداء: وما علمكم بذلك؟ قالوا: لم يزل يرددنا حتى انكسر لسانه، فنحن نعلم أنه إنما يريد أن ينطق بها. فقال أبو الدرداء: أفلح صاحبكم، إن الله يقول: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

القول في تأويل قوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة في هذا المكان مثل للإيمان الذي اعتم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها إذا كان كل ذي عروة فإنما يتعلق من أراده بعروته وجعل تعالى ذكره الإيمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله، من أوثق عرى الأشياء بقوله الوثقى والوثقى فعل من الوثاقه يقال في الذكر هو الأوثق وفي الانثى هي الوثقى كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى.

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك.

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بالعروة الوثقى قال الإيمان.

حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.

حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال العروة الوثقى هو الإسلام.

حدثنا أحمد بن إسحاق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي السوداء عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال: لا إله إلا الله ثنا ابن بشار، قال ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي السوداء النهدي، عن سعيد بن جبير مثله.

حدثني المثنى، قال ثنا إسحاق قال: ثنا أبو زهير، عن جوبير، عن الضحاك فقد استمسك بالعروة الوثقى مثله.

القول في تأويل قوله (لا انفصام لها) يعني تعالى ذكره بقوله لا انفصام لها لا انكسار لها، والهاء والألف في قوله لها عائدة على العروة.

ومعنى الكلام فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه إياه، وإسلامه عند حاجته إليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها، وأصل الفصم: الكسر، ومنه قول أعشى بني ثعلبة:

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك.  
حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا انفصام لها قال: لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.  
حدثني المثنى قال: ثنا أبو حذيفة قال: ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.  
حدثني موسى بن هارون قال: ثنا عمرو قال: ثنا أسباط عن السدي لا انفصام لها قال لا انقطاع لها.  
القول في تأويل قوله (والله سميعٌ عليمٌ).  
يعني تعالى ذكره والله سميع إيمان المؤمن بالله وحده، الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحداية الله وتبرئة من الأنداد والأوثان التي تعبد من دون الله، عليم بما عزم عليه من توحيد الله وإخلاص ربوبيته قلبه، وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والأصنام والطواغيت ضميره، وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفي عليه أمر حتى يجازى كلاً يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضرته نفسه إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرراً.

### فقرات من التفسير

قيل: لا إكْرَاءَ فِي الدِّينِ، أي: لا يكره على الدين. فإن كان التأويل هذا فهو على بعض دون بعض. وقال بعضهم: نزلت في المجوس، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى، أنه يقبل منهم الجزية، ولا يكرهون على الإسلام. ليس كمشركي العرب ألا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ولا يقبل منهم الجزية، فإن أسلموا وإلا قتلوا. وعلى ذلك روي عن رسول الله، أنه كتب إلى المنذر بن فلان: أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وعلى ذلك نطق به الكتاب ثَقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوا الفتح: 16.

وقال قوم: لا إكْرَاءَ فِي الدِّينِ أي: لا دين يقبل بإكراه، بل ليس ذلك بإيمان. والثاني: أن الرُّشْدُ قد تبين من الغي، وبين ذلك لكل أحد حتى إذا قبل الدين قبل عن بيان وظهور، لا عن إكراه.

وقال آخرون: قوله: لا إكْرَاءَ فِي الدِّينِ، أي: لا إكراه على هذه الطاعات بعد الإسلام؛ لأن الله تعالى حبب هذه الطاعات في قلوب المؤمنين فلا يكرهون على ذلك. ومعناه: أن في الأمم المتقدمة الشدائد والمشقة، ورفع الله عز وجل تلك الشدائد عن هذه الأمة وخففها عليهم، دليله قوله تعالى: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ البقرة: 286، وقوله: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمُ الأعراف: 157، ومثل ذلك كثير، كانت على الأمم السالفة ثقيلة وعلى هذه الأمة مخففة، فإذا كانت مخففة عليهم لا يكرهون على ذلك. وقال آخرون: هو منسوخ بقوله: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله.

وقال آخرون: إن قوماً من الأنصار كانت ترضع لهم اليهود، فلما جاء الإسلام أسلم الأنصار، وبقي من عند اليهود من ولد الأنصار على دينهم، فأرادوا أن يكرهوهم، فنزل الآية لا إكْرَاءَ فِي الدِّينِ. قال الشيخ - رحمه الله تعالى - ويحتمل لا إكْرَاءَ فِي الدِّينِ ما قال في قوله تعالى: وَمَا جَعَلْ عَلَيْنَا فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ الحج: 78.

وقوله تعالى: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. يعني قد تبين الإسلام من الكفر بالله فلا تكرهون على ذلك. وقوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ. اختلف فيه:

قيل: بِالطَّاغُوتِ، الشياطين.

وقيل: كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت من الأصنام والأوثان التي تعبد من دون الله.

وقيل: بِالطَّاغُوتِ، الكهنة الذين يدعون الناس إلى عبادة غير الله بكفر هؤلاء وتكذيبهم.

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - ومن جملته: ومن يكفر بالذي يدعو إلى عبادة غير الله، ويكذبه في ذلك، ويؤمن بالذي يدعو إلى عبادة الله، ويصدقه، أنه داع إلى حق.

وقوله تعالى: وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فِيهِ دَلَالَةٌ: أن الإيمان بالله هو إيمان بالأنبياء والرسل والكتب جميعاً، إذ لم يذكر معه غيره، والكفر بالذي ذكرت يمنع حقيقة الإيمان بالله؛ لأنه في آخر السورة ذكر وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ البقرة: 285، على طريق التفضيل - من آمن بالله آمن به وبأمره

1 <https://goo.gl/3jDPKy>

2 <http://goo.gl/dCnZyF>

ونهيهِ وشرائعهِ - لكن الذي قال: لا تُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ البقرة: 285، لقول قوم حيث قالوا :  
تُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَتُكْفِرُ بِبَعْضٍ النِّسَاء: 150، وإلا لكان في الإيمان بالله إيمان بجميع ذلك.  
وقوله تعالى: فَفَدِّ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنْفِصَامِ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يحتتمل هذا وجهين:  
يحتتمل: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً لا انفصام لذلك العقد ولا انقطاع، لا تقوم الحجة ببعضه.  
ويحتتمل: فقد استمسك بالعروة الوثقى، بنصره إياه بالحجج والبراهين النيرة التي من اعتمص بها لا  
انفصال بها عنه ولا زوال.  
ثم فيه نقض على المعتزلة؛ لأنه أخبر عز وجل أن من آمن بالله فقد استمسك بكذا. والمعتزلة يقولون:  
صاحب الكبيرة يخلد في النار، وهو مؤمن بالله، فأية عروة أوهى من هذا على قولهم؟ وأن له زوالاً  
وانقطاعاً من ثوابه الذي وعد له عز وجل بإيمانه وتصديقه به. وبالله العصمة.  
وقوله تعالى: وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِّقَوْلِهِمْ، عَلِيمٌ بِثَوَابِهِمْ. أو سَمِيعٌ، بإيمانهم، عَلِيمٌ، بجزاء إيمانهم. والله أعلم.



### فقرات من التفسير

قوله: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. ذكروا عن سعيد بن جبير قال: كان قوم من أصحاب النبي استرضعوا لأولادهم من اليهود في الجاهلية، فكبروا على اليهودية؛ فلما جاء الإسلام أسلم الآباء؛ فأرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام، فأنزل الله: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

ذكروا عن بعضهم أنه قال: أكره على الدين ولم يُكره فيه. أكره عليه العرب، إن هذه الأمة كانت أمة أمية ليس لها كتاب تقرأه أتى من عند الله، فأكرهوا على الإسلام. أما من كان على ملة من يهودي أو نصراني فأقر بالجزية قبلت منه ولم يُفتن عن دينه. قال: وما كان سوى أهل الكتاب من المشركين - ما خلا العرب - فأقر بالجزية قبلت منه ولم يقتل.

وقال مجاهد: كانت النضير أرضعت رجالاً من الأوس؛ فلما أمر الرسول بإجلانهم قالت أبناؤهم من الأوس: لنذهب معهم ولندين بدينهم، فمنعهم أهلهم، وأكرهوهم على الإسلام فبيهم نزلت: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. الرشد الهدى، والغي الضلالة.

قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ الطَّاغُوتِ هُوَ الشَّيْطَانُ وَيُؤْمِنُ بِإِلَهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. قال مجاهد: العروة الوثقى الإيمان. وقال بعضهم: العروة الوثقى لا إله إلا الله. لَا انْفِصَامَ لَهَا أي لا انقطاع لها. وقال الحسن: لا انفصام لها دون أن تهجم بأهلها على الجنة.

1 <http://goo.gl/63wnPa>

2 <http://goo.gl/JcP7IR>

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.. آية 256.

حدثنا أحمد بن محمد بن سلمة يعني الطحاوي قال: حدثنا إبراهيم بن مرزوق قال: حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، في قوله: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكاد يعيش لها ولد، فتحلفت لئن عاش ولد لتهودنه فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم ناس من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فأنزل الله: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ... قال سعيد بن جبير: فمن شاء لحق بهم، ومن شاء دخل الإسلام. قال أبو جعفر: أي وأقام.

وقال الشعبي: هي في أهل الكتاب خاصة، لا يُكْرهون إذا أدوا الجزية.

وقال سليمان بن موسى: نَسَخَهَا جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَتَأْوَلَهَا عَمْرٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُكْرَهُ الْمَمْلُوكُ عَلَى الْإِسْلَامِ.

وقيل: لا يُقَالُ لِمَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ: أَسْلَمْتَ مُكْرَهًا، لَأَنَّهُ إِذَا تَبَتَّ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَلَيْسَ بِمُكْرَهٍ.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ، آية 256.

رُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال: الطاغوت: الشيطان، والجبت: السحر.

وقال الشعبي، وعكرمة، والضحاك: الطاغوت: الشيطان.

وقال الحسن: الطاغوت: الشياطين.

وحدثنا سعيد بن موسى بقرقيسيا قال: حدثنا محمد بن مالك عن يزيد عن محمد بن سلمة عن خصيف قال: الجبت: الكاهن، والطاغوت: الشيطان.

وقال الشعبي وعكرمة والضحاك: الطاغوت: الشيطان.

وقال مجاهد في قوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ: هو كعب بن الأشرف.

قال أبو جعفر: وهذه الأقوال متقاربة، وأصل الطاغوت في اللغة مأخوذ من الطغيان، يؤدي عن معناه من غير اشتقاق، كما قيل: اللال من اللؤلؤ.

قال سيبويه: وأما الطاغوت فهو اسم واحد مؤنث، يقع على الجمع.

فعلى قول سيبويه إذا جمع فعله ذهب به إلى الشياطين، وإذا وجد ذهب به إلى الشيطان.

قال أبو جعفر: ومن حسن ما قيل في الطاغوت: أَنَّهُ مَنْ طَغَى عَلَى اللَّهِ، وَأَصْلُهُ طَعَوْتُ مَثَلُ جَبْرُوتٍ. من طغى، إذا تجاوز حده، ثم تقلب اللام فتجعل عيناً وتقلب العين فتجعل لاماً، كجبد، وجذب، ثم تقلب الواو ألفاً لتحركها وتحريك ما قبلها، فتقول: طاغوت.

والمعنى: فمن يجحد رُبُوبِيَّةَ كُلِّ مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيُصَدِّقَ بِاللَّهِ.

وأصل الجبت في اللغة: الذي لا خير فيه.

وقال قطرب: أصله الجبس، وهو الثقيل الذي لا خير فيه.

قال أبو عبيدة: الجبت والطاغوت كل ما عُبدَ من دُونِ اللَّهِ.

1 <http://goo.gl/NJOK2D>

2 <http://goo.gl/VZmQOx>

قال أبو جعفر: وهذا غير خارج مما قلنا، وخالف محمد بن يزيد سيبويه في قوله: هو اسم واحد، فقال: الصواب عندي أنه جماعة.  
وروى ابن أبي نجیح عن مجاهد: قَدِّ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَي الْإِيمَانِ.  
قال سعيد بن جبیر: عن ابن عباس: بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.  
ثم قال تعالى: لَا أَنْفِصَامَ لَهَا، آية 256. قال مجاهد: أَي لَا يُغَيِّرُ اللَّهُ مَا بَقِيَ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بَأَنْفُسِهِمْ  
أَي لَا يَزِيلُ عَنْهُمْ اسْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكْفُرُوا.  
يُقَالُ: قَصَمْتُ الشَّيْءَ أَي قَطَعْتُهُ.

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لا إكراه في الدين يعني لا تكرهوا في الدين أحداً بعد فتح مكة وبعد إسلام العرب قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ أي قد تبين الهدى من الضلالة. ويقال: قد تبين الإسلام من الكفر فمن أسلم وإلا وضعت عليه الجزية ولا يكره على الإسلام فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ يعني بالشيطان ويقال: الصنم ويقال: هو كعب بن الأشرف وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى يقول: بالثقة يعني بالإسلام ويقال: فقد تمسك بلا إله إلا الله لا انفصام لها يعني لا انقطاع لها ولا زوال لها ولا هلاك لها. ويقال: قد استمسك بالدين الذي لا انقطاع له من الجنة وَاللَّهُ سَمِيعٌ بِقَوْلِهِمْ عَلَيْهِم بِهِم.

---

1 <https://goo.gl/M6Iuwv>

2 <http://goo.gl/N14ee6>

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تَفْسِيرَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ كَانَ قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ اسْتَرْضَعُوا أَوْلَادَهُمْ فِي الْيَهُودِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَبَرُوا عَلَى الْيَهُودِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامَ وَأَسْلَمَ الْأَبَاءُ أَرَادُوا أَنْ يَكْرَهُوا أَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يَعْنِي الْهَدَى مِنَ الضَّلَالَةِ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ بِالشَّيْطَانِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا أَيْ لَا انْقِطَاعَ لَهَا اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا قَالَ الْحَسَنُ وَلِي هِدَاهِمَ وَتَوْفِيقَهُمْ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَعْنِي مِنَ الضَّلَالَةِ إِلَى الْهَدَى الطَّاغُوتُ مِنَ الْهَدَى إِلَى الضَّلَالَةِ قَالَ مُحَمَّدٌ وَالطَّاغُوتُ هَا هُنَا وَاحِدٌ فِي مَعْنَى جَمَاعَةٍ وَهَذَا جَائِزٌ فِي اللَّغَةِ إِذَا كَانَ فِي الْكَلَامِ دَلِيلٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ.

---

1 <http://goo.gl/cv5hND>

2 <http://goo.gl/uiNu8v>

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ الْآيَةَ: 256.  
قال: طاغوت كل امرئ نفسه.

وقيل الطاغوت كل ما سوى الله جل وعزَّ، وفي الجملة إن كل من لم يتبرأ من الكل لم يصح له الإيمان بالله عز وجل.

قوله تعالى: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لِأَنْفِصَامِ لَهَا.  
والعروة الوثقى: التوفيق في السبق، والسعادة في الختم.  
وقيل العروة: لا إله إلا الله.

وقيل العروة الوثقى: محمدٌ وقيل العروة الوثقى: السنة.

وقال مفسرا الأيتين 10\51: 99-100<sup>3</sup>: قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً الْآيَةَ: 99. قال الواسطي: رفع المدح والذم فلا معذور ولا غير معذور ولا شقاء ولا سعادة، إنما هي إرادة أمضاها ومشيئة أنفذها وقبس آمنوا بإذن الله المتولي لإظهار الكونين، لا شريك له فلا يستغفرون ولا يفتخرون. قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الْآيَةَ: 100. قال بعضهم: إذا صح له الإيمان، لا يصح إلا أن يأذن الله له بذلك في إزالة وحرية القضاء السابق له بالإيمان على أحد إلا سعادة سابقة في الأزل ونور متقدم.

1 <https://goo.gl/Yz9Pi9>

2 <http://goo.gl/6RNmIK>

3 <http://goo.gl/epE6Pt> و <http://goo.gl/nGBmki>

### فقرات من التفسير

قال مجاهد: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يكّي (أبو الحصين) وكان له ابنان فقدّم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أراد الرجوع إلى المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصّرا وخرجا إلى الشام، فأخبر أبو الحصين رسول الله بذلك فقال لرسول الله اطلبهما، فانزل الله تعالى لا إكراه في الدين فقال أبعدهما الله فهما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فانزل الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم النساء: 65 الآية.

قال: وكان هذا قبل أن يؤمر رسول الله بقتال أهل الكتاب ثم نسخ قوله: لا إكراه في الدين وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة. وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد: أنها منسوخة بآية السيف، وقال الباقر: هي محكمة.

سعید بن جبیر عن ابن عباس في قوله لا إكراه في الدين قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مثقلاً لا يعيش لها ولد ونذوراً فتتذر لئن عاش لها ولد لتهودته، فجاء الإسلام وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا وإخواننا، فسكت عنهم فنزلت: لا إكراه في الدين. الآية. فقال رسول الله قد خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فاجعلوهم معهم.

قال: وكان الفصل ما بين الأنصار واليهود إجماع بني النضير فمن لحق بهم اختارهم ومن أقام اختار الإسلام. وقال المفسرون: كان لرجل من الأنصار من بني سالم ابنان فتنصّرا قبل أن يبعث النبي ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فاتأهما أبوهما فلزمهما وقال: لا ادعكما حتى تسلما، فأبيا أن يسلما فأختصموا إلى النبي فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فانزل الله تعالى لا إكراه في الدين الآية، فخلّى سبيلهما.

ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان ناس مسترضعين في اليهود قريظة والنضير فلما أمر النبي بإجماع بني النضير فقال نسانهم من الأوس الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبن معهم ولتدنين بذنبنهم فمنعهم أهلهم وأرادوا أن يكرهوهم على الإسلام فنزلت هذه الآية لا إكراه في الدين.

قتادة والضحاك وعطاء وأبو روق والواقدي: معنى لا إكراه في الدين بعد إسلام العرب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم دين ولا كتاب فلم يقبل عنهم إلا الإسلام أو السيف وأكروها على الإسلام فلم يقبل منهم الجزية، ولما أسلموا ولم يبق أحد من العرب إلا دخل في الإسلام طوعاً أو كرهاً، أنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فأمر أن يقاتل أهل الكتاب والمجوس والصابئين على أن يسلموا أو أن يقرّوا بالجزية فمن أقرّ منهم بالجزية قبلت منه وخلّى سبيله ولم يكره على الإسلام.

وقال مقاتل: كان النبي لا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلما أسلمت العرب طوعاً أو كرهاً، قبل الخراج من غير أهل الكتاب فكتب النبي إلى المنذر بن ساوي وأهل هجر يدعوهم إلى الإسلام: إن

1 <https://goo.gl/HHS9Ds>

2 <http://goo.gl/V4jy4T>

مَنْ شَهِدَ شَهَادَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا وَكَانَ بَدِينَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَإِنْ أَسْلَمْتُمْ فَلَكُمْ مَالُنَا وَعَلَيْكُمْ مَا عَلَيْنَا وَمَنْ أَبِي الْإِسْلَامِ فَعَلِيهِ الْجِزْيَةُ.

فكتب المنذر إلى النبي إني قرأت كتابك على أهل هجر فمنهم من أسلم ومنهم من أبي، فأما اليهود والمجوس فأقروا الجزية وكرهوا الإسلام فرضي النبي منهم بالجزية، فقال منافقو أهل المدينة: زعم محمد أنه لم يؤمر بأخذ الجزية إلا من أهل الكتاب فما باله قبله من مجوس هجر وقد رد ذلك على آبائنا وإخواننا حتى قتلهم، فشق ذلك على المسلمين، فذكروا ذلك للنبي فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين يعني بعد إسلام العرب.

وروى شريك عن عبد الله بن أبي هلال عن وسق قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكنت نصرانياً وكان يقول: يا وسق أسلم فأبئك لو أسلمت لوأيتك بعض أعمال المسلمين فإنه ليس يصلح أن يلي أمرهم من ليس على دينهم، فأبيت عليه فقال: لا إكراه في الدين فلما مات أعتقتي، وقال ابن أبي نجيح: سمعت مجاهداً يقول لغلام له نصراني: يا جرير أسلم، ثم قال: هكذا كان يقال: أم لا يكرهون.

وقال الزجاج وغيره: هو من قول العرب: أكرهت الرجل إذا نسبته إلى الكره كما يقال: أكفرتَه وأفسقته وأظلمته إذا نسبته إليها.

قال الكمي:

وطائفة قد أكفروني بحبكم وطائفة قالوا مسيء ومذنب

ومعنى الآية: لا تقولوا لمن دخل بعد الحرب في الإسلام: أنه دخل مكرهاً، ولا تنسبوا فمن دخل في الإسلام إلى الكره يدل عليه قوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ الْإِسْلَامَ لَسْتُ مُؤْمِنًا لِلنَّسَاءِ: 94.

قد تبيّن الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ قَدْ ظَهَرَ الْكُفْرَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالَةِ وَالْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ.

وعن مقاتل بن حسان قال: زعم الضحاك أن الناس لما دخلوا في الإسلام طوعاً أو كرها ولم يبق من عدو نبي الله من مشركي العرب أحد إلا دخلوا في الإسلام طوعاً أو كرها وأكمل الدين نزل: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيِّ مَنْ شَاءَ أَسْلَمَ وَمَنْ شَاءَ أُعْطِيَ الْجِزْيَةَ.

وقرأ الحسن ومجاهد والاعرج الرُّشْدُ بفتح الراء والشين وهما لغتان كالحزن والحزن والبخل والبخل.

وقرأ عيسى بن عمر: الرُّشْدُ بضمّتين.

وقرأ الباقر بضم الراء وجزم الشين وهما لغتان كالرعب والرعب، والسحت والسحت.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ يَعْنِي الشَّيْطَانَ، قَالَهُ ابْنُ عَمْرٍو ابْنُ عَبَّاسٍ وَمِقَاتِلُ وَالْكَلْبِيُّ. وَقِيلَ: هُوَ الصَّنَمُ، وَقِيلَ: الْكَاهِنُ، وَقِيلَ: هُوَ كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَقَالَ أَهْلُ الْمَعَانِي: الطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا يَعْطِي الْإِنْسَانَ، وَهُوَ فَاعُولٌ مِنَ الطَّاغِيَانِ زِيدَتْ التَّاءُ فِيهِ بَدَلًا مِنْ لَامِ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِ: حَانُوتٌ وَتَابُوتٌ.

وقال أهل الإشارة: طاغوت كل امرئ نفسه بيانه قوله إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ يوسف: 53 الآية.

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَنِ سَعِيدٍ قَالَ: الْإِيمَانُ: التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ مِمَّا صَدَّقَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ.

وعن ابن عباس قال: أخبر الله تعالى إن الإيمان هو العروة الوثقى ولا يقبل عمل إلا به، وعن ابن عباس أيضاً قال: أخبر الله تعالى أن الإيمان لا إله إلا الله.

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ تَمَسُّكًا وَعَاصَمَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى بِالْعَصْمَةِ الْوُثْقَى الْمَحْكَمَةَ لَا أَنْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ



### فقرات من التفسير

لا تفسير لهذه الآية

وقال مفسرا الآيتين 10\51: 99-100<sup>3</sup>: قال تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً: أي: لوقفهم إلى الإيمان بك يا محمد - وبما جئت به. ولكن قد سبق في قضائه من يؤمن، ومن لم يؤمن: وهذا كله رد على المعتزلة الذين يقولون: إن الإيمان والكفر مفوضان إلى العبد، بل كل عامل قد علم الله عز وجل، ما هو عامل قبل خلقه له. ولا تقع المجازاة إلا على ظهور أعمال العاملين. فخلقهم ليعملوا ما قد علم أنهم عاملون، فيجازيهم على ذلك بعد ظهور منهم، وإقامة الحجج عليهم. وقوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً يدل على ذلك وبيّنه. أَقَانَتْ يَا مُحَمَّد تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِكَ؟ وفي الإتيان بجميع بعد كلهم قولان: أحدهما أنه زيادة تأكيد، ونصبه على الحال. وقيل: لما كان كل يقع تأكيداً، ويقع اسماً غير تأكيد أتي معه بما لا يكون تأكيداً، وهو جميعاً، فجمع بينهما، ليعلم أن معناهما واحد، وأنه للتأكيد.

ثم قال تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، أي: ما كان لنفس تصدق بك يا محمد، إلا أن يأذن لها الله. فلا تجهد نفسك يا محمد في طلب هداهم. روي عن أبي الدرداء أنه قال: بعث الله عز وجل، إلى نبي من الأنبياء فقال له: لو أنك عملت مثل ما عمل جميع ولد آدم كلهم، ما أديت نعمة واحدة أنعمت بها عليك: إني أذنت لك أن تؤمن بي، وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وهذا نص ظاهر في إثبات القدر من القرآن والحديث.

<http://goo.gl/H8cqdf> 1

<http://goo.gl/XdOm6X> 2

<http://goo.gl/aF3gGV> 3

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَقْوَابِل: أحدها: أن ذلك في أهل الكتاب، لا يُكْرَهُونَ على الدين إذا بدلوا الجزية، قاله قتادة. والثاني: أنها نزلت في الأنصار خاصة، كانت المرأة منهم تكون مِفْلَاةً لا يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها، إن عاش لها ولد أن تهوِّده، ترجو به طول العمر، وهذا قبل الإسلام، فلما أجلي رسول الله بني النصير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس.

والثالث: أنها منسوخة بفرص القتال، قاله ابن زيد.

فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ فِيهِ سَبْعَةٌ أَقْوَابِل:

أحدها: أنه الشيطان وهو قول عمر بن الخطاب.

والثاني: أنه الساحر، وهو قول أبي العالية.

والثالث: الكاهن، وهو قول سعيد بن جبير.

والرابع: الأصنام.

والخامس: مَرَدَّةُ الْإِنْسِ وَالْجِن.

والسادس: أنه كل ذي طغيان طغى على الله، فيعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، وهذا قول أبي جعفر الطبري.

والسابع: أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء، كما قال تعالى:

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ

يوسف: 53.

واختلفوا في الطَّاغُوتِ على وجهين:

أحدهما: أنه اسم أعجمي معرّب، يقع على الواحد والجماعة.

والثاني: أنه اسم عربي مشتق من الطاغية، قاله ابن بحر.

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ فِيهَا أَرْبَعَةٌ أَوْجُه:

أحدها: هي الإيمان بالله، وهو قول مجاهد. والثاني: سنة الرسول. والثالث: التوفيق. والرابع: القرآن، قاله السدي.

لَا انْفِصَامَ لَهَا فِيهِ قَوْلَان:

أحدهما: لا انقطاع لها، قاله السدي. والثاني: لا انكسار لها، وأصل الفصم: الصدع.

1 <https://goo.gl/s032Vu>

2 <http://goo.gl/c9wBGQ>

### فقرات من التفسير

قوله جلّ ذكره: لا إكراه في الدين.  
فإن الحجج لائحة، والبراهين ظاهرة واضحة.  
قد تبيّن الرشد من العي.  
وامتاز الليل بظلامه عن النهار بضياءه، والحقوق الأزلية معلومة، والحدود الأولية معلولة فهذا  
بنعت القدم وهذا بوصف العدم.  
فمن يكفر بالطاغوت.  
وطاغوت كلّ واحد ما يشغله عن ربه.  
ويؤمن بالله.  
والإيمان حياة القلب بالله.  
فقد استمسك بالغرّة الوثقى.  
الاستمسك بالعروة الوثقى الوقوف عند الأمر والنهي، وهو سلوك طريق المصطفى.  
لا أنفصام لها والله سميع عليم.  
فمن تحقق بها سراً، وتعلّق بها جهراً فاز في الدارين وسعد في الكونين.

<https://goo.gl/3MLnw9> 1

<http://goo.gl/CBjSdH> 2

### فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين بعد إسلام العرب؛ لأنهم أكرهوا على الإسلام فلم يُقبل منهم الجزية؛ لأنهم كانوا مشركين، فلما أسلموا أنزل الله تعالى هذه الآية. قد تبين الرشد من الغي ظهر الإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة بكثرة الحجج فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان والأصنام ويؤمن بالله واليوم الآخر فقد استمسك أي: تمسك بالعروة الوثقى عقد لنفسه عقداً وثيقاً، وهو الإيمان وكلمة الشهادتين لا انفصام لها أي: لا انقطاع لها والله سميع لدعائك يا محمد أي: بإسلام أهل الكتاب، وكان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب الذين حول المدينة، ويسأل الله ذلك عليم بحرصك واجتهادك.

---

1 <http://goo.gl/kaCkZ2>

2 <http://goo.gl/GtzqUp>

### فقرات من التفسير

وقوله: لا إكراه في الدين، قيل: يعني الطاعة، فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه، وقيل: إن ذلك مختص بأهل الكتاب البادلين للجزية.

---

1 <https://goo.gl/wGZWJw>

2 <http://goo.gl/4XV2vR>

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَتْ الْمَرْأَةُ مِنَ الْأَنْصَارِ تَكُونُ مَقْلَةً - (المقلاة من النساء) التي لا يعيش لها ولد - وكانت تنذر لئن عاش لها ولد لَتَهْوَدَنَّهَ إِذَا عَاشَ وَلَدُهَا جَعَلْتَهُ فِي الْيَهُودِ، فَجَاءَ الْإِسْلَامَ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ فَلَمَّا أُجْلِبَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانُوا فِيهِمْ عِدَّةٌ مِنْ أَوْلَادِ الْأَنْصَارِ فَأَرَادَتْ الْأَنْصَارُ اسْتِرْدَادَهُمْ وَقَالُوا: هُمْ أَبْنَاؤُنَا وَإِخْوَانُنَا فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: خَيْرُوا أَصْحَابَكُمْ فَإِنْ اخْتَارُوكُمْ فَهَمُّكُمْ وَإِنْ اخْتَارُوكُمْ فَاجْلُوهُمْ مَعَهُمْ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: كَانُوا نَاسًا مَسْتَرِضِعِينَ فِي الْيَهُودِ مِنَ الْأَوْسِ فَلَمَّا أَمَرَ النَّبِيُّ بِإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ قَالَ الَّذِينَ كَانُوا مَسْتَرِضِعِينَ فِيهِمْ: لَنُذْهِبُنَّ مَعَهُمْ وَلَنُدِينُنَّ بِدِينِهِمْ، فَمَنْعَهُمْ أَهْلُوهُمْ، فَنَزَلَتْ لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بن سالم بن عوف ابنان ففتنصرا قبل مبعث النبي، ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما وقال: لا أدعكما حتى تسلما، فتخاصما إلى رسول الله فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا انظر فأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فَخَلَى سَبِيلَهُمَا.

وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً أو كرها أنزل الله تعالى: لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فَأَمَرَ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَسْلَمُوا أَوْ يَقْرُوا بِالْجِزْيَةِ فَمَنْ أَعْطَى مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ لَمْ يَكْرَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَقِيلَ كَانَ هَذَا فِي الْإِبْتِدَاءِ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْقِتَالِ فَصَارَتْ مَسْخُوحَةً بِأَيِّ السِّيفِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنْ أَلْعَيِّ أَيِ الْإِيمَانِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّغُوتِ يَعْنِي الشَّيْطَانَ، وَقِيلَ: كُلُّ مَا عَدِمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ طَاغُوتٌ، وَقِيلَ كُلُّ مَا يَطْغِي الْإِنْسَانَ، فَاعُولٌ مِنَ الطَّغْيَانِ، زِيدَتْ النَّاءُ فِيهِ بَدَلًا مِنْ لَامِ الْفِعْلِ، كَقَوْلِهِمْ حَانُوتٌ وَتَابُوتٌ، فَالنَّاءُ فِيهَا مَبْدَلَةٌ مِنْ هَاءِ التَّائِبِثِ، وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَيِ تَمَسَكَ وَاعْتَصَمَ بِالْعَقْدِ الْوُثْقَى الْمَحْكَمِ فِي الدِّينِ، وَالْوُثْقَى تَأْنِيثُ الْوُثْقِ وَقِيلَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى السَّبَبُ الَّذِي يُوَصِّلُ إِلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى: لَأَنْفِصَامَ لَهَا لَا انْقِطَاعَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ. قِيلَ: لَدَعَانِكَ إِيَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ عَلِيمٌ بِحِرْصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ.

<https://goo.gl/cniWmM>

1

<http://goo.gl/cLX8HB>

2

### فقرات من التفسير

لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ أَي لَمْ يَجْرِ اللهُ أَمْرَ الإِيمَانِ عَلَى الإِجْبَارِ وَالْقَسْرِ، وَلَكِنْ عَلَى التَّمَكِينِ وَالِاخْتِيَارِ. وَنَحْوَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يونس: 99

أَي لَوْ شَاءَ لَقَسَرَهُمْ عَلَى الإِيمَانِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، وَبَنَى الأَمْرَ عَلَى الإِخْتِيَارِ قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَبْيِ قَدْ تَمَيَّزَ الإِيمَانُ مِنَ الكُفْرِ بِالدَّلَائِلِ الواضحة فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّغُوتِ فَمَنْ اخْتَارَ الكُفْرَ بِالشَّيْطَانِ أَوْ الأَصْنَامِ وَالِإِيمَانَ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنَ الحَبْلِ الوَثِيقِ المحكم، المأمون انقسامها، أَي انقطاعها. وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن به. وقيل: هو إخبار في معنى النهي، أي لا تتكرهوا في الدين. ثم قال بعضهم: هو منسوخ بقوله: جَاهِدِ الكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمُ التوبة: 73. وقيل: هو في أهل الكتاب خاصة لأنهم حصنوا أنفسهم بأداء الجزية:

وروي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله، ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا فاخصموا إلى رسول الله فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فنزلت: فخلاهما.

1  
2  
<https://goo.gl/Ib7gXI>  
<https://goo.gl/F7VYZD>

### فقرات من التفسير

الدين في هذه الآية المعتقد والملة، بقرينة قوله قد تبين الرشد من الغي، والإكراه الذي في الأحكام من الإيمان والبيوع والهبات وغير ذلك ليس هذا موضعه وإنما يجيء في تفسير قوله تعالى: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، فإذا تقرر أن الإكراه المنفي هنا هو في تفسير المعتقد من الملل والنحل فاختلف الناس في معنى الآية، فقال الزهري: سألت زيد بن أسلم عن قوله تعالى: لا إكراه في الدين فقال: كان رسول الله بمكة عشر سنين لا يكره أحد في الدين، فأبى المشركون إلا أن يقتلوه، فاستأذن الله في قائلهم فأذن له، قال الطبري والآية منسوخة في هذا القول.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: ويلزم على هذا، أن الآية مكية، وأنها من آيات المواعدة التي نسختها آية السيف، وقال قتادة والضحاك بن مزاحم: هذه الآية محكمة خاصة في أهل الكتاب الذين يبذلون الجزية ويؤدونها عن يد صغرة، قالوا أمر رسول الله أن يقاتل العرب أهل الأوثان لا يقبل منهم إلا لا إله إلا الله أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية، ونزلت فيهم لا إكراه في الدين.

قال القاضي أبو محمد: وعلى مذهب مالك في أن الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش أي نوع كان، فتجيء الآية خاصة فيمن أعطى الجزية من الناس كلهم لا يقف ذلك على أهل الكتاب كما قال قتادة والضحاك.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبيرة: إنما نزلت هذه الآية في قوم من الأوس والخزرج كانت المرأة تكون مقلاة لا يعيش لها ولد، فكانت تجعل على نفسها إن جاءت بولد أن تهوده، فكان في بني النضير جماعة على هذا النحو، فلما أجلي رسول الله بني النضير قالت الأنصار كيف نصنع بأبنائنا، إنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه، وأما إذ جاء الله بالإسلام فنكرهم عليه، فنزلت لا إكراه في الدين الآية، وقال بهذا القول عامر الشعبي ومجاهد، إلا أنه قال كان سبب كونهم في بني النضير الاسترضاع، وقال السدي نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين، كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الرجوع أتاهم ابنا أبي حصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام فأتى أبوهما رسول الله مشتكياً أمرهما، ورغب في أن يبعث رسول الله من يردهما، فنزلت لا إكراه في الدين، ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب، وقال: أبعدهما الله هما أول من كفر، فوجد أبو الحصين في نفسه على رسول الله حين لم يبعث في طلبهما، فأنزل الله جل ثناؤه.

<http://goo.gl/eKg8Ub>

1

<http://goo.gl/psMcwp>

2



## فقرات من التفسير

اللغة: الرشد نقيض الغي وهو الرُشد والرشد وتقول غوي يغوي غياً وغواية إذا سلك طريق الهلاك وغوى إذا خاب قال الشاعر:

وَمَنْ يَلُوقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسَ أَمْرَهُ  
وَمَنْ يَغْوُ لَا يَغْدُمُ عَلَى الْغَيِّ لَأَيُّمَا

وغوى الفصيل يغوي غوى إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك والطاغوت وزنها في الأصل فعلوت وهو مصدر مثل الرغوت والرهبوت والرحموت ويدل على أنها مصدر وقعها على الواحد والجماعة بلفظ واحد وأصلها طغوت لأنها من الياء يدل على ذلك قوله:

في طغيانهم يعمهون

البقرة: 15 ثم إن اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طيغوت ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار صاغوت فوزنها الآن بعد القلب فعلوت وجمع طاغوت طواغيت وطواغيت وطواغ على حذف الزيادة والطواغي على العوض من المحذوف والعروة عروة الدلو ونحوه لأنها متعلقة وعروت الرجل أعروه عزوا إذا ألمت به متعلقاً بسبب منه واعتراه هم إذا تعلق به وعرته الحمى تعروه إذا علقته به فالأصل في الباب التعلق قال الأزهري: العروة كل نبات له أصل ثابت كالشبح والقبصوم وغيره وبه شبهت عرى الأشياء في لزومها والوثقى تأنيث الأوثق والانقصام والانقطاع والانصداع نظائر قال الأعشى:

وَمَبِئْمَهَا مِنْ شَثِيَتِ النَّبَاتِ  
غَيْرُ أَكْبَرٍ وَلَا مُنْقَصِمٍ

يقال: فصمته فانقصم.

النزول: قيل نزلت الآية في رجل من الأنصار كان له غلام أسود يقال له صبيح وكان يكرهه على الإسلام عن مجاهد، وقيل نزلت في رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين وكان له ابنان فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا إلى الشام فأخبر أبو الحصين رسول الله فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فقال رسول الله: أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله فلا وربك لا يؤمنون الآية قال، وكان هذا قبل أن يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة عن السدي، وهكذا قال ابن مسعود وابن زيد أنها منسوخة بآية السيف وقال الباقر هي محكمة وقيل كانت امرأة من الأنصار تكون مقلاتاً فترضع أولاد اليهود فجاء الإسلام وفيهم جماعة منهم فلما أجليت بنو النضير إذا فيهم أناس من الأنصار فقالوا يا رسول الله أبناءنا وإخواننا فنزلت لا إكراه في الدين فقال: خيروا أصحابكم فإن اختاروكم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم عن ابن عباس.

المعنى: لما تقدم ذكر اختلاف الأمم وإنه لو شاء الله لأكرههم على الدين ثم بين تعالى دين الحق والتوحيد عقبه بأن الحق قد ظهر والعبد قد خير فلا إكراه بقوله لا إكراه في الدين وفيه عدة أقوال أحدها: أنه في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية عن الحسن وقتادة والضحاك وثانيها: أنه في جميع الكفار ثم نسخ كما تقدم ذكره عن السدي وغيره وثالثها: أن المراد لا تقولوا لمن دخل في

1 <https://goo.gl/pwteJa>

2 <http://goo.gl/q6JoOC>

الدين بعد الحرب أنه دخل مكرهاً لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره عن الزجاج ورابعها: أنها نزلت في قوم خاص من الأنصار كما ذكرناه في النزول عن ابن عباس وغيره وخامسها: إن المراد ليس في الدين إكراه من الله ولكن العبد مخير فيه لأن ما هو دين في الحقيقة هو من أفعال القلوب إذا فعل لوجه وجوبه فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه.

قد تبين الرشد من الغي قد ظهر الإيمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحج والآيات الدالة عقلاً وسعاً والمعجزات التي ظهرت على يد النبي فمن يكفر بالطاغوت فيه أقوال أحدها: أنه الشيطان عن مجاهد وقتادة وهو المروي عن أبي عبد الله وثانيها: أنه الكاهن عن سعيد بن جبير وثالثها: أنه الساحر عن أبي العالية ورابعها: أنه مرده الجن والإنس وكل ما يطغى وخامسها: أنه الأصنام وما عبد من دون الله وعلى الجملة فالمراد من كفر بما خالف أمر الله.

ويؤمن بالله أي يصدق بالله وبما جاءت به رسله فقد استمسك أي تمسك واعتصم بالعروة الوثقى أي بالعصمة الوثيقة وعقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا يحلّه شبهة وعن مجاهد هو الإيمان بالله ورسوله وجرى هذه مجرى المثل الحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الإحساس إلى ما يقع به لا انفصام لها أي لا انقطاع لها يعني كما لا ينقطع أمر من تمسك بالعروة كذلك لا ينقطع أمر من تمسك بالإيمان والله سميع لأقوالكم عليم بضمائركم.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ أَي: لا جبر ولا تهديد ولا إكراه في الدين أي: في الانقياد بدين الإسلام والإطاعة له بعد ما ظهر الحق؛ إذ قد تَبَيَّنَ وتميَّز الرُّشْدُ والهداية مِنَ الْعَيِّ والضلالة فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاعُوتِ التي هي النفس الأمارة المضلة عن طريق الحق وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ الهادي إلى سواء السبيل فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِمَسْكِهَا وتشبَّثَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى التي هي حبل الله الممدود من أزل الذات إلى أبد الأسماء والصفات لِأَنَّهَا أَنْفَصَامٌ ولا انقطاع لَهَا أَصْلًا وَاللَّهُ الهادي لكل سَمِيعٌ بذاته لأقواله عَلَيْهِمُ الْبَقَرَةُ: 256 بحمه ومصالحه المودعة فيها، فانظروا ما أنتم أيها الهلكى.

---

1 <https://goo.gl/HSqBrp>

2 <http://goo.gl/q1x36p>

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لا إكراه في الدين في سبب نزولها أربعة أقوال. أحدها: أن المرأة من نساء الأنصار كانت في الجاهلية إذا لم يعيش لها ولد، تحلف: لئن عاش لها ولد لتهودنّه، فلما أُجليت يهود بني النضير، كان فيهم ناس من أبناء الأنصار. فقال الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا، فنزلت هذه الآية. هذا قول ابن عباس. وقال الشعبي: قالت الأنصار: والله لنكرهن أولادنا على الإسلام، فإنا إنما جعلناهم في دين اليهود إذ لم نعلم ديناً أفضل منه، فنزلت هذه الآية. والثاني: أن رجلاً من الأنصار تنصّر لهو ولدان قبل أن يبعث النبي، ثم قدما المدينة، فلزمهما أبوهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا، فاختصموا إلى النبي، فنزلت هذه الآية. هذا قول مسروق. والثالث: أن ناساً كانوا مسترضعين في اليهود، فلما أُجلى رسول الله، بني النضير، قالوا: والله لنذهبن معهم، ولنديبن بدينهم، فمنعهم أهلهم، وأرادوا إكراههم على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والرابع: أن رجلاً من الأنصار كان له غلام اسمه صبيح، كان يكرهه على الإسلام، فنزلت هذه الآية. والقولان عن مجاهد.

### فصل

واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية، فذهب قوم إلى أنه محكم، وأنه من العام المخصوص، فإنه خص منه أهل الكتاب بأنهم لا يكرهون على الإسلام، بل يخيرون بينه، وبين أداء الجزية، وهذا معنى ما روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقال ابن الأنباري: معنى الآية: ليس الدين ما تدين به في الظاهر على جهة الإكراه عليه، ولم يشهد به القلب، وتنطوي عليه الضمائر، إنما الدين هو المنعقد بالقلب. وذهب قوم إلى أنه منسوخ، وقالوا هذه الآية نزلت قبل الأمر بالقتال، فعلى قولهم، يكون منسوخاً بآية السيف، وهذا مذهب الضحاك، والسدي، وابن زيد، والدين هاهنا: أريد به الإسلام. والرشد: الحق، والغي: الباطل. وقيل: هو الإيمان والكفر. فأما الطاغوت؛ فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكر، ومؤنث. قال الله تعالى: أولياؤهم الطاغوت وقال:

والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها الزمر: 17. والمراد بالطاغوت هاهنا خمسة أقوال. أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر، وابن عباس، ومجاهد، والشعبي، والسدي، ومقاتل في آخرين. والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير، وأبو العالية. والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين. والرابع: أنه الأصنام، قاله البيهقي، والزجاج. والخامس: أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضاً. قوله تعالى: فقد استمسك بالعروة الوثقى هذا مثل للإيمان، شبه التمكك به بالتمسك بالعروة الوثيقة. وقال الزجاج: معنى الكلام: فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً والانفصام: كسر الشيء من غير إبانة.

<https://goo.gl/uTICoI>

<http://goo.gl/I2Asul>

1

2

### فقرات من التفسير

قيل في معنى قوله: لا إكراه في الدين أربعة أقوال:  
أولها - قال الحسن وقتادة والضحاك: إنها في أهل الكتاب خاصة الذين يؤخذ منهم الجزية.  
الثاني - قال السدي وابن زيد: إنها منسوخة بالآيات التي أمر فيها بالحرب نحو قوله: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله: فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب  
الثالث - قال ابن عباس وسعيد بن جببر: إنها نزلت في بعض أبناء الانصار وكانوا يهوداً فأريد إكراههم على الاسلام.

الرابع - قيل لا إكراه في الدين أي لا تقولوا لمن دخل فيه بعد حرب إنه دخل مكرهاً، لأنه إذا رضي بعد الحرب، وصح اسلامه فليس بمكره، فان قيل كيف تقولون لا إكراه في الدين وهم يقتلون عليه! قلنا المراد بذلك لا إكراه فيما هو دين في الحقيقة، لأن ذلك من أفعال القلوب إذا فعل لوجه بوجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين، فليس بدين، كما أن من أكره على كلمة الكفر لم يكن كافراً.  
وقوله: قد تبين الرشد من الغي معناه قد ظهر بكثرة الحجج، والآيات الدالة لانضمام ما أتى الرسول فيه الى ما في الفعل منه والالف واللام في قوله في الدين يحتمل أمرين:  
أحدهما - أن يكون مثل قوله فإن الجنة هي المأوى بمعنى هي مأواه فذلك لا إكراه في الدين أي في دينه، لأنه قد تقدم ذكر الله كأنه قال: لا إكراه في دين الله.  
والثاني - لتعريف دين الاسلام.

اللغة، والمعنى:

والغي ضد الرشد، تقول غوى يغوي غياً وغواية: إذا سلك خلاف طريق الرشد، وغوى: إذا خاب  
قال الشاعر:

ومن يغو لا يعدم على الغي لانما

أي من يخب. وغوى الفصيل يغوي غياً: إذا قطع عن اللبن حتى يكاد يهلك وقوله: رب بما أغويتني  
يحتمل أمرين: أحدهما - خيبتني. الثاني - بما حكمت بغوايتي، ومنه قوله: أغويناهم كما غوينا تيرأنا  
إليك

والأصل الغي سلوك طريق الهلاك.

وقوله: ومن يكفر بالطاغوت قيل فيه خمسة أقوال: أحدها - ما روي عن عمر، ومجاهد، وقتادة: أنه  
الشیطان الثاني - قال سعيد بن جببر: هو الكاهن. الثالث - قال أبو العالية: هو الساحر. والرابع -  
قال قوم: هم مرده الجن والانس. الخامس - قال بعضهم: هي الاصنام. وأصل طاغوت من الطغيان،  
ووزنه فعلوت نحو جبروت، وتقديره: طيغوت إلا أن لام الفعل قلبت الى موضع العين، كما قيل  
صاعقة وصاعقة، ثم قلبت الفاء لوقوعها في موضع حركة، وانفتاح ما قلبها.  
ومعنى يؤمن بالله يصدق بالله.

1 <https://goo.gl/eAj1fE>

2 <http://goo.gl/yWuueG>

وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى فالعروة الوثقى الايمان بالله، عن مجاهد، وجرى ذلك مجرى  
المثل لحسن البيان بإخراج ما لا يقع به الاحساس إلى ما يقع به والعروة: عروة الدلو ونحوه لأنها  
متعلقة، وعروت الرجل، أعروه عرواً: إذا الممت به متعلقاً بسبب منه، واعتراه يعتريه: إذا تعلق  
به، وعرته الحمى تعروه: إذا علقت به وعزاه يعريه إذا اتخذ له عروة.  
وأصل الباب التعلق. وقال الازهري العروة: كل نبات له أصل ثابت، كالشيع والقيصوم، وغيره.  
شبهت عرى الاشياء في لزومها.  
وقوله: لا انفصام لها أي لا انقطاع لها - في قول السدي -. والانكسار، والانفصام والانصداع  
والانقطاع نظائر. قال اعشى بني ثعلبة.  
ومبسمها عن شتيت النبا  
وانفصم انفصاماً: إذا انصدع، وفصمته تفصمه فصماً: إذا صدعته من غير أن تكسره، وأصل  
الباب: الفصم، كصدع الزجاج.

## فقرات من التفسير

قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مَنْ أَلْعَى تَبِينَ مَا اسْتَتَرَ عَنِ الْكُونَ فِي الْكُونَ فِي عِلْمِ الْأَزَلِ مِنَ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ فَظَهَرَتْ سِمَةُ السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ مِنَ الْمَقْبُولِينَ وَالْمَطْرُودِينَ لِأَنَّ فِي حَيَاةِ السَّعَادَةِ مَصَابِيحَ أَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ يُلَوِّحُ وَفِي حَيَاةِ الْأَشْقِيَاءِ كِدُورَاتِ ظِلْمَاتِ الْغَى يَتَوَحَّحُ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاعُوتِ الطَّاعُوتِ رُويَةَ الطَّاعَاتِ وَالطَّمَعِ فِي الْمَكَافَاتِ فَمَنْ يَكْفُرُ بِهَا فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْمَشَاهِدَاتِ وَالطَّاعُوتِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّنْيَا وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَقِيلَ طَاعُوتُ كُلِّ أَمْرٍ نَفْسُهُ قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَتَبَرَأْ مِنَ الْكُلِيِّ لَا يَصِحُّ لَهُ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَيْ مِنْ أَمْرٍ مِنْ نَفْسِهِ وَحَوْلِهِ وَقَوْتَهُ إِلَى خَالِقِهِ فَقَدْ وَجَدَهُ بِنِعْتِ الْحَفِظِ وَالْكَلايَةِ وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى هِيَ ذَاتُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَجَلَّ عَنِ التَّشْبِيهِ وَإِيضاً هِيَ الْمَحَبَّةُ وَالْمَشَاهِدَةُ وَإِيضاً هِيَ الْعَصْمَةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي سَبَقَتْ بِنِعْتِ الْعِنَايَةِ الْأَزَلِيَّةِ لِأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ وَقِيلَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى التَّوْفِيقُ فِي السَّبْقِ وَالسَّعَادَةِ فِي الْخْتِمِ وَقِيلَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى مُحَمَّدٌ وَقِيلَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقِيلَ هِيَ السَّنَةُ لَا أَنْفَصَامَ لَهَا تَرْجِيهِ مِنَ اللَّهِ لِأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ أَيْ مَنْ تَمَسَكَ بِحَبْلِي فَازَ فِي الدَّارَيْنِ وَسَعِدَ فِي الْمَنْزِلَيْنِ وَلَا يَدْخُلُ فِي حِجَالِ عَصْمَتِهِ خَلَّلَ الْحَوَادِثَ لِأَنَّهُ فِي كِنْفِ الْعِنَايَةِ مَحْرُوساً بِالْكَفَايَةِ.

وقال مفسرا الآيتين 10\51: 99-100:3: اختصاص المختصين واصطفائية المصطفين انها بمشيئة الازلية ولا بعلة الاكتساب يكون الولي وليا بل بفواتح كرمه وسوابق نعمه يرفع قوما من العارفين ويقهر قدمه يضع اخرين وصرح الحق ان لو شاء لخلقهم جميعا مستعدين للولاية بقوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً وَلَكِنْ جَعَلَ قُومًا غَدَاءَ رَحْمَتِهِ السَّابِقَةَ وَجَعَلَ قُومًا غَدَاءَ قَهْرِهِ الْأَوَّلِ لِيَكُونَ الصَّفَتَانِ عَلَى قِوَامِ حَظِّهِمَا مِنَ الْبَرِيَّةِ وَتَبَيَّنَ خَاصِيَّةُ أَحْبَابِهِ وَطَرْدَ أَعْدَائِهِ وَفِيهِ إِيَّاسُ الطَّامِعِينَ فِي إِيْمَانٍ مِنْ لَيْسَ لَهُ أَهْلِيَّةٌ لِمَعْرِفَتِهِ. اختصاص المختصين واصطفائية المصطفين انها بمشيئة الازلية ولا بعلة الاكتساب يكون الولي وليا بل بفواتح كرمه وسوابق نعمه يرفع قوما من العارفين ويقهر قدمه يضع اخرين وصرح الحق ان لو شاء لخلقهم جميعا مستعدين للولاية بقوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً وَلَكِنْ جَعَلَ قُومًا غَدَاءَ رَحْمَتِهِ السَّابِقَةَ وَجَعَلَ قُومًا غَدَاءَ قَهْرِهِ الْأَوَّلِ لِيَكُونَ الصَّفَتَانِ عَلَى قِوَامِ حَظِّهِمَا مِنَ الْبَرِيَّةِ وَتَبَيَّنَ خَاصِيَّةُ أَحْبَابِهِ وَطَرْدَ أَعْدَائِهِ وَفِيهِ إِيَّاسُ الطَّامِعِينَ فِي إِيْمَانٍ مِنْ لَيْسَ لَهُ أَهْلِيَّةٌ لِمَعْرِفَتِهِ.

1 <https://goo.gl/Zy91pp>2 <http://goo.gl/TQ5q8A>3 <http://goo.gl/hvLGDE> و <http://goo.gl/iH4N>

## فقرات من التفسير

فيه مسألتان:

المسألة الأولى: اللام في الدّين فيه قولان أحدهما: أنه لام العهد والثاني: أنه بدل من الإضافة، كقوله قَارِئُ الْجَنَّةِ هِيَ الْمَأْوَىٰ النَّازِعَاتِ: 41 أي مأواه، والمراد في دين الله.

المسألة الثانية: في تأويل الآية وجوه أحدها: وهو قول أبي مسلم والقفال وهو الأليق بأصول المعتزلة: معناه أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإيجاب والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار، ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعدر، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان، ونظير هذا قوله تعالى: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ الكهف: 29 وقال في سورة أخرى وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ الشعراء: 3، 4 وقال في سورة الشعراء لَعَلَّكَ بَلِخْغٌ نَّفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يعني ظهرت الدلائل، ووضحت البيّنات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف فهذا تقرير هذا التأويل.

القول الثاني: في التأويل هو أن الإكراه أن يقول المسلم للكافر: إن أمنت وإلا قتلناك فقال تعالى: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ أَمَا فِي حَقِّ أَهْلِ الْكِتَابِ وَفِي حَقِّ الْمُجُوسِ، فلأنهم إذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم، وأما سائر الكفار فإذا تهودوا أو تنصروا فقد اختلف الفقهاء فيهم، فقال بعضهم: إنه يقر عليه؛ وعلى هذا التقدير يسقط عنه القتل إذا قبل الجزية، وعلى مذهب هؤلاء كان قوله لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ عاماً في كل الكفار، أما من يقول من الفقهاء بأن سائر الكفار إذا تهودوا أو تنصروا فإنهم لا يقرون عليه، فعلى قوله يصح الإكراه في حقهم، وكان قوله لا إِكْرَاهَ مخصوصاً بأهل الكتاب.

والقول الثالث: لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرهاً، لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره، ومعناه لا تنسبوهم إلى الإكراه، ونظيره قوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسِتُمْ مُمَنَّا النساء: 94.

أما قوله تعالى: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: يقال: بان الشيء واستبان وتبين إذا ظهر ووضح، ومنه المثل: قد تبين الصبح لذي عينين، وعندني أن الإيضاح والتعريف إنما سمي بياناً لأنه يقع الفصل والبيّنونة بين المقصود وغيره، والرشد في اللغة معناه إصابة الخير، وفيه لغتان: رشد ورشد والرشاد مصدر أيضاً كالرشد، والغى نقيض الرشد، يقال غوى بغوي غياً وغواية، إذا سلك غير طريق الرشد.

المسألة الثانية: تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أي تميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة، قال القاضي: ومعنى قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ أي أنه قد اتضح وانجلي

1 <https://goo.gl/l6FFyI>

2 <http://goo.gl/F38J9e>



بالأدلة لا أن كل مكلف تنبه لأن المعلوم ذلك وأقول: قد ذكرنا أن معنى تَبَيَّنَ انفصل وامتاز، فكان المراد أنه حصلت البيئونة بين الرشد والغي بسبب قوة الدلائل وتأكيد البراهين، وعلى هذا كان اللفظ مُجْرَى على ظاهره.

أما قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ فَقَدْ قَالَ النُّوحِيُّونَ: الطَّاغُوتُ وزنه فعلوت، نحو جبروت، والثناء زائدة وهي مشتقة من طغا، وتقديره طغوت، إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين كعادتهم في القلب، نحو: الصَّاقعة والصَّاقعة، ثم قلبت الواو ألفاً لوقوعها في موضع حركة وانفتاح ما قبلها، قال المبرد في الطَّاغُوتِ: الأصوب عندي أنه جمع قال أبو علي الفارسي: وليس الأمر عندنا كذلك، وذلك لأن الطَّاغُوت مصدر كالرغوت والرهوت والملكوت، فكما أن هذه الأسماء أحاد كذلك هذا الاسم مفرد وليس بجمع، ومما يدل على أنه مصدر مفرد قوله أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ فأفرد في موضع الجمع، كما يقال: هم رضاهم عدل، قالوا: وهذا اللفظ يقع على الواحد وعلى الجمع، أما في الواحد فكما في قوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ النساء: 60 وأما في الجمع فكما في قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ البقرة: 257 وقالوا: الأصل فيه التذكير، فأما قوله: وَالَّذِينَ اجْتَنَّبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا الزمر: 17 فإنما أنتت إرادة الآلهة.

إذا عرفت هذا فنقول: ذكر المفسرون فيه خمسة أقوال الأول: قال عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان الثاني: قال سعيد بن جببر: الكاهن الثالث: قال أبو العالية: هو الساحر الرابع: قال بعضهم الأصنام الخامس: أنه مرده الجن والإنس وكل ما يطغي، والتحقيق أنه لما حصل الطغيان عند الاتصال بهذه الأشياء جعلت هذه الأشياء أسباباً للطغيان كما في قوله رَبِّ إِنَّهُنَّ أَصْلَانٌ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ إبراهيم: 36.

أما قوله وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا بَدَّ لِلْكَافِرِ مِنْ أَنْ يَتُوبَ أَوْلاً عَنِ الْكُفْرِ، ثم يؤمن بعد ذلك. أما قوله فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فاعلم أنه يقال: استمسك بالشيء إذا تمسك به والعروة جمعها عرا نحو عروة الدلو والكوز وإنما سميت بذلك، لأن العروة عبارة عن الشيء الذي يتعلق به والثقي تأنيث الأوثق، وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول، لأن من أراد إمساك شيء يتعلق بعروته، فكذا ههنا من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه، ولما كانت دلائل الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها، لا جرم وصفها بأنها العروة الوثقى.

أما قوله لَا أَنْفِصَامَ لَهَا فففيه مسائل:

المسألة الأولى: الفصم كسر الشيء من غير إبانة، والانفصام مطاوع الفصم فصمته فانفصم والمقصود من هذا اللفظ المبالغة، لأنه إذا لم يكن لها انفصام، فإن لا يكون لها انقطاع أولى.

المسألة الثانية: قال النحويون: نظم الآية بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والعرب تضم (الَّتِي) و(الَّذِي) و(مَنْ) وتكتفي بصلاتها منها، قال سلامة بن جندل:

والعاديات أسامي للدماء بها  
كأن أعناقها أنصاب ترحيب

يريد العاديات التي قال الله: وَمَا مَثًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ الصافات: 164 أي من له. ثم قال: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وفيه قولان:

القول الأول: أنه تعالى يسمع قول من يتكلم بالشهادتين، وقول من يتكلم بالكفر، ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر، وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث.

والقول الثاني: روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة، وكان يسأل الله تعالى ذلك سرّاً وعلانية، فمعنى قوله وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يريد لدعائك يا محمد بحرصك عليه واجتهادك.

### فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين لأن الدين في الحقيقة هو الهدى المستفاد من النور القلبي، اللازم للفطرة الإنسانية، المستلزم للإيمان اليقيني. كما قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ الروم، الآية: 30، والإسلام الذي هو ظاهر الدين مبني عليه وهو أمر لا مدخل للإكراه فيه. والدليل على أنّ باطن الدين وحقيقته الإيمان كما أن ظاهره وصورته الإسلام ما بعده قد تبين أي تميز الرشد من الغيّ بالدلائل الواضحة لمن له بصيرة وعقل، كما قيل: قد أضاء الصبح لذي عينين.

فمن يكفر بالطاغوت أي: ما سوى الله وينفي وجوده وتأثيره ويؤمن بالله إيماناً شهودياً حقيقياً فقد استتمسك بالغرّة الوثقى أي: تمسك بالوحدة الذاتية التي وثوقها واحكامها بنفسها، فلا شيء أوثق منها، إذ كلّ وثيق بها موثوق، بل كل وجود بها موجود وب نفسه معدوم، فإذا اعتبر وجوده فله انفصام في نفسه لأن الممكن وثاقته ووجوده بالواجب، فإذا قطع النظر عنه فقد انقطع وجود ذلك الممكن ولم يكن في نفسه شيئاً. ولا يمكن انفصامه عن وجود عين ذاته، إذ ليس فيه تجزؤ وإثنية، وفي الانفصام لطيفة وهو أنه انكسار بلا انفصال. ولما لم ينفصل شيء من الممكنات من ذاته تعالى، ولم يخرج منه، لأنه إما فعله وإما صفته، فلا انفصال قطعاً، بل إذا اعتبره العقل بانفراده كان منفصلاً، أي: منقطع الوجود متعلقاً وجوده بوجوده تعالى والله سميع يسمع قول كل ذوي دين عليهم بنياتهم وإيمانهم.

1 <https://goo.gl/XLMKfk>

2 <http://goo.gl/P0GY6B>

### فقرات من التفسير

الطاغوت: بناء مبالغة من طغى يطغى، وحكى الطبري يطغو إذا جاوز الحدّ بزيادة عليه، ووزنه الأصلي: فعلوت، قلب إذ أصله: طغوت، فجعلت اللام مكان العين، والعين مكان اللام، فصار: طوغوت، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصار: طاغوت، ومذهب أبي علي أنه مصدر: كرهوت وجبروت، وهو يوصف به الواحد والجمع. ومذهب سيبويه أنه اسم مفرد كأنه إسم جنس يقع للكثير والقليل، وزعم أبو العباس أنه جمع، وزعم بعضهم أن التاء في طاغوت بدل من لام الكلمة، ووزنه: فاعول.

العروة: موضع الإمساك وشدّ الأيدي والتعلق، والعروة شجرة تبقى على الجذب لأن الإبل تتعلق بها في الخصب من: عرْوَةٌ: أملت به متعلقاً، واعتراه التم: تعلق به.

الانفصام: الانقطاع، وقيل الانكسار من غير بينونة، والقصم بالقاف الكسر بينونة، وقد يجيء الفصم بالفاء في معنى البينونة.

لا إكراه في الدين ذكر في سبب نزولها أقوال مضمون أكثرها: أن بعض أولاد الأنصار تنصر، وبعضهم تهود، فأراد آباؤهم أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت. وقال أنس: نزلت فيمن قال له رسول الله: أسلم. فقال: أجدني كارهاً.

واختلف أهل العلم في هذه الآية: أهي منسوخة؟ أم ليست بمنسوخة؟ فقيل: هي منسوخة، وهي من آيات المودعة التي نسختها آية السيف، وقال قتادة، والضحاك: هي محكمة خاصة في أهل الكتاب الذين يبذلون الجزية، قالوا: أمر بقتال أهل الأوثان لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل الجزية. ومذهب مالك: أن الجزية تقبل من كل كافر سوى قريش، فتكون الآية خاصة فيمن أعطى الجزية من الناس كلهم لا يقف ذلك على أهل الكتاب. وقال الكلبي: لا إكراه بعد إسلام العرب، ويقبل الجزية. وقال الزجاج: لا تنسبوا إلى الكراهة من أسلم مكرهاً، يقال: أكفره نسبه إلى الكفر. قال الشاعر:

وطائفة قد أكفروني بحبهم  
وطائفة قالوا: مسيء ومدنّب

وقيل: لا يكره على الإسلام من خرج إلى غيره. وقال أبو مسلم، والقفال: معناه أنه ما بنى تعالى أمر الإيمان على الإيجاب والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار، ويدل على هذا المعنى أنه لما بين دلائل التوحيد بياناً شافياً، قال بعد ذلك: لم يبق عذر في الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وهذا ما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء.

ويؤكد هذا قوله بعد: قد تبين الرشد من الغي يعني: ظهرت الدلائل ووضحت البيّنات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء وليس بجائز لأنه ينافي التكليف، وهذا الذي قاله أبو مسلم والقفال لأنق بأصول المعتزلة، ولذلك قال الرّمخسري: لم يجر الله أمر الإيمان على الإيجاب والقسر، ولكن على التمكين والاختيار، ونحوه قوله: ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس

<https://goo.gl/REOBGW>

1

<https://goo.gl/CUyN6F>

2

حتى يكونوا مؤمنين يونس: 99 أي: لو شاء لقسرهم على الإيمان، ولكنه لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار.

والدين هنا ملة الإسلام واعتقاده، والألف واللام للعهد، وقيل: بدل من الإضافة أي: في دين الله. قد تبين الرشد من الغي أي: استبان الإيمان من الكفر، وهذا يبين أن الدين هو معتقد الإسلام. وقرأ الجمهور: الرشد، على وزن القفل، والحسن: الرشد، على وزن العنق. وأبو عبد الرحمن: الرشد، على وزن الجبل، ورويت هذه أيضاً عن الشعبي، والحسن ومجاهد. وحكى ابن عطية عن أبي عبد الرحمن: الرشد، بالألف. والجمهور على إدغام دال، قد، في: تاء، تبين. وقرئ شاذاً بالإظهار، وتبين الرشد، بنصب الأدلة الواضحة وبعثة الرسول الداعي إلى الإيمان، وهذه الجملة كأنها كالعلة لانتفاء الإكراه في الدين، لأن وضوح الرشد واستبانته تحمل على الدخول في الدين طوعاً من غير إكراه، ولا موضع لها من الإعراب.

فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى الطاغوت: الشيطان. قاله عمر، ومجاهد، والشعبي، والضحاك، وقتادة، والسدي. أو: الساحر، قاله ابن سيرين، وأبو العالية. أو: الكاهن، قاله جابر، وابن جبير، ورفيع، وابن جريج. أو: ما عبد من دون الله ممن يرضى ذلك: كفرعون، ونمرود، قاله الطبري. أو: الأصنام، قاله بعضهم.

وينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها. قال ابن عطية وقدّم ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت. إنتهى. وناسب ذلك أيضاً اتصاله بلفظ الغي، ولأن الكفر بالطاغوت متقدّم على الإيمان بالله، لأن الكفر بها هو رفضها، ورفض عبادتها، ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية، إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله، لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية، مما كان مشتبهاً به، سابقاً له قبل الإيمان، لأن في النصية عليه مزيد تأكيد على تركه.

وجواب الشرط: فقد استمسك، وأبرز في صورة الفعل الماضي المقرون بقدر الدالة في الماضي على تحقيقه، وإن كان مستقبلاً في المعنى لأنه جواب الشرط، إشعاراً بأنه مما وقع استمسكه وثبت وذلك للمبالغة في ترتيب الجزاء على الشرط، وأنه كائن لا محالة لا يمكن أن يتخلف عنه، و: بالعروة، متعلق باستمسك، جعل ما تمسك به من الإيمان عروة، وهي في الأجرام موضع الإمساك وشد الأيدي شبه الإيمان بذلك. قال الزمخشري: وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن.

والمشبه بالعروة الإيمان، قاله: مجاهد. أو: الإسلام قاله السدي. أو: لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، وابن جبير، والضحاك، أو: القرآن، قاله السدي أيضاً، أو: السنة، أو: التوفيق. أو: العهد الوثيق. أو: السبب الموصل إلى رضا الله وهذه أقوال متقاربة.

لا انفصام لها لا انكسار لها ولا انقطاع، قال الفراء: الانفصام والانقصام هما لغتان، وبالفاء أفصح، وفرق بعضهم بينهما، فقال: الفصم انكسار بغير بينونة، والقصم انكسار بينونة.

وهذه الجملة في موضع نصب على الحال من العروة، وقيل: من الضمير المستكن في الوثقى، ويجوز أن يكون خبراً مستأنفاً من الله عن العروة، و: لها، في موضع الخبر، فتعلق بمحذوف أي: كائن لها.

والله سمع عليم أتى بهذين الوصفين لأن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده الجنان، فناسب هذا ذكر هذين الوصفين لأن الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، وقيل: سمع لدعائك يا محمد، عليم بحرصك واجتهادك.

### فقرات من التفسير

كان بعض أولاد الأنصار قد تنصّر وبعضهم قد تهود وأراد آباؤهم أن يكرهوهم على الإسلام فنزل: لا إكراه في الدين أي هو من وضوح الدلائل والحجج بحيث لا يكون فيه إكراه بل يجب الدخول فيه بانسراح صدر واختيار.

قد تبيّن الرشد من العي أي الإيمان من الكفر. والدين هنا معتقد الإسلام. وقرئ بسكون الشين وبضمها وبفتح الراء والشين وقرئ كذلك وبالف بعد الشين. وقرئ بإدغام دال قد في تاء تبيين. وقرئ إظهارها شاذاً. وهذه الجملة كالعلة لانتفاء الإكراه في الدين لأن استنارة الدلائل تحمل على الدخول في الدين طوعاً من غير إكراه.

فمن يكفر بالطاغوت فسر بالشيطان وهو مقلوب أصله طغوت من طغا فقلب، جعلت اللام مكان العين فصار طوغوت، فقلبت الواو ألفاً لانفتاح ما قبلها وتحركها هي فصار طاغوت ومذهب سيبويه أنه اسم مفرد كأنه اسم جنس يقع للواحد كقوله: وقد أمرُوا أن يكفروا به النساء: 60، وللجمع كقوله: يخرجونهم من النور إلى الظلمات. وزعم أبو العباس أنه جمع، وأبو علي أنه مصدر كرهوت. وقدم ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت ولتقدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله تعالى والكفر بها رفضها ورفض عبادتها ولا اتصاله بلفظ الغي.

فقد استمسك أبرز الجواب في صورة الماضي المقرون بعد الدالّ في الماضي على تحقيقه وان كان مستقبلاً في المعنى إشعاراً بأنه مما وقع استمساكه وثبت وذلك للمبالغة في ترتب الجواب على الشرط وانه كائن لا محالة وجعل ما تمسك به عروة وهي في الاجرام موضع الامساك وشد الأيدي والتعلق ومثل الإيمان بالعروة ورشح ذلك بقوله: لا أنفصام لها أي لا انكسار ولا انقطاع. وجملة النفي حال أو مستأنفة.

1 <https://goo.gl/REOBGW>

2 <http://goo.gl/TvoczX>

### فقرات من التفسير

لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فِي الْكُتَابِي إِذَا بَدَلَ الْجَزِيَّةَ، أَوْ نَسَخَتْ بِفَرْضِ الْقِتَالِ، أَوْ كَانَتْ الْمَقْلَاةَ - من الأنصار - تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده رجاءً لطول عمره، وذلك قبل الإسلام، فلما أجلى الرسول بني النضير وفيهم أولاد الأنصار، قالت الأنصار كيف نصنع بأبنائنا فنزلت قاله ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - بِالطَّاعُوتِ الشَّيْطَانِ، أَوْ السَّاحِرِ، أَوْ الْكَاهِنِ، أَوْ الْأَصْنَامِ، أَوْ مُرِدَةِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، أَوْ كُلِّ ذِي طَغْيَانٍ عَلَى اللَّهِ - تعالى - عبده مَنْ دُونَهُ يَقْهَرُ مِنْهُ أَوْ بِطَاعَةِ إِنْسَانًا كَانَ أَوْ صِنْمًا. بِالْغُرُورَةِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى. لَا انْفِصَامَ لَا انْقِطَاعَ، أَوْ لَا انْكَسَارَ، أَصْلُ الْفِصْمِ الْكُسْرُ.

---

<http://goo.gl/hXbsjd> 1

<http://goo.gl/0Mgweg> 2

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. فيه مسألتان:  
الأولى - قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ الذي في الأحكام من الإيمان والبيوع والهبات وغيرها ليس هذا موضعه، وإنما يجيء في تفسير قوله: إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ النحل: 106. وقرأ أبو عبد الرحمن قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ وكذا روى عن الحسن والشعبي؛ يقال: رَشِدَ يَرُشِدُ رُشْدًا، وَرَشِدَ يَرُشِدُ رَشْدًا: إذا بلغ ما يُحِبُّ. وَغَوَى ضِدُّهُ؛ عن النحاس. وحكى ابن عطية عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ الرشد بالالف. وروى عن الحسن أيضاً الرُّشْدُ بضم الراء والشين. أَلْغِيَ مصدر من غَوَى يَغْوِي إذا ضلَّ في معتقده أو رأي؛ ولا يقال الغي في الضلال على الإطلاق.

الثانية - اختلف العلماء في (معنى) هذه الآية على ستة أقوال:

(الأول) قيل إنها منسوخة؛ لأن النبي قد أكره العرب على دين الإسلام وقتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام؛ قاله سليمان بن موسى، قال: نسختها يَأْيُهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ التوبة: 73. وروى هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين.

(الثاني) ليست بمنسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يُكْرَهُونَ على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يُكْرَهُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ فلا يقبل منهم إلا الإسلام فهم الذين نزل فيهم يَأْيُهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ التوبة: 73. هذا قول الشعبي وقناة والحسن والضحاك. والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب! فقال عمر: اللهم أشهد، وتلا لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

(الثالث) ما رواه أبو داود عن ابن عباس قال: نزلت هذه في الأنصار، كانت تكون المرأة مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده؛ فلما أجليت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا! فأنزل الله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. قال أبو داود: والمقلات التي لا يعيش لها ولد. في رواية: إنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه، وأما إذا جاء الله بالإسلام فنكرهم عليه فنزلت: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ من شاء التحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام. وهذا قول سعيد بن جبير والشعبي ومجاهد إلا أنه قال: كان سبب كونهم في بني النضير الاسترضاع. قال النحاس: قول ابن عباس في هذه الآية أولى الأقوال لصحة إسناده، وأن مثله لا يؤخذ بالرأي.

(الرابع) قال السدي: نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين كان له أبنان، فقدم تجاراً من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الخروج أتاهم أبنا الحصين فدعوها إلى النصرانية ففتنصرا ومضيا معهم إلى الشام، فأتى أبوهما رسول الله مشتكياً أمرهما، ورجب في أن يبعث رسول الله من يردهما فنزلت: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ولم يؤمر يوماً بقتل أهل الكتاب، وقال: أبعدهما الله هما أول من كفر! فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله جل ثناؤه فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ النساء: 65، الآية ثم إنه نسخ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

1 <https://goo.gl/XQeQAD>

2 <http://goo.gl/SIEQZt>

فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة. والصحيح في سبب قوله تعالى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَدِيث الزبير مع جاره الأنصاري في السَّقِي، على ما يأتي في النساء بيانه إن شاء الله تعالى. وقيل: معناها لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف مُجْبِرًا مُكْرَهًا؛ وهو القول الخامس.

وقول سادس، وهو أنها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا إذا كانوا كباراً، وإن كانوا مجوساً صغاراً أو كباراً أو وثنيين فإنهم يجبرون على الإسلام؛ لأن من سباهم لا ينتفع بهم مع كونهم وثنيين؛ ألا ترى أنه لا تؤكل ذبائحهم ولا توطأ نساؤهم، ويدينون بأكل الميتة والنجاسات وغيرهما، ويستفقدون مالكهم ويتعذر عليهم الانتفاع بهم من جهة الملك فجاز له الإيجاب. ونحو هذا روى ابن القاسم عن مالك. وأما أشهب فإنه قال: هم على دين من سباهم، فإذا امتنعوا أُجبروا على الإسلام، والصغار لا دين لهم فذلك أُجبروا على الدخول في دين الإسلام لنلأ يذهبوا إلى دين باطل. فأما سائر أنواع الكفر متى بدلوا الجزية لم نكرهم على الإسلام سواء كانوا عرباً أم عجماً قريشاً أو غيرهم. وسيأتي بيان هذا وما للعلماء في الجزية ومن تقبل منه في براءة إن شاء الله تعالى. قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ جِزْمَ بِالْشَّرْطِ. والطاغوت مؤنثة من طغى يَطْغَى. - وحكى الطبري يَطْغُو - إذا جاوز الحد بزيادة عليه. ووزنه فعلوت، ومذهب سيبويه أنه اسم مذكر مفرد كأنه اسم جنس يقع للقليل والكثير. ومذهب أبي علي أنه مصدر كَرِهْتُوتَ وَجَبْرُوتَ، وهو يوصف به الواحد والجمع، وقلبت لأمه إلى موضع العين وعينه موضع اللام كَجَبَدَ وَجَدَبَ، فقلبت الواو ألفاً لتحركها وتحرك ما قبلها فقبل طاغوت؛ واختار هذا القول النحاس. وقيل: أصل طاغوت في اللغة مأخوذة من الطغيان يؤدِّي معناه من غير اشتقاق، كما قيل: لَالٍ مِنَ اللُّؤْلُؤِ. وقال المبرد: هو جمع. وقال ابن عطية: وذلك مردود.

قال الجوهري: والطاغوت الكاهن والشيطان وكل رأس في الضلال، وقد يكون واحداً قال الله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ النساء: 60. وقد يكون جمعاً قال الله تعالى: أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ البقرة: 257 والجمع الطواغيت. وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ عَطْفٌ. فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى جواب الشرط، وجمع الوُثْقَى مثل الْفُضْلَى وَالْفُضْلَى؛ فالوُثْقَى فُعْلَى من الوُثَاقَةِ، وهذه الآية تشبيهه. واختلفت عبارة المفسرين في الشيء المشبه به؛ فقال مجاهد: العروة الإيمان. وقال السُّدِّي: الإسلام. وقال ابن عباس وسعيد بن جبیر والضَّحَّاك: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ؛ وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد. ثم قال: لا أَنْفِصَامَ لَهَا قال مجاهد: أي لا يغيّر الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، أي لا يزيل عنهم اسم الإيمان حتى يكفروا. والانفصام: الانكسار من غير بينونة. والقسم: كسر بينونة؛ وفي صحيح الحديث: فَيُفْصِمُ عَنْهُ الْوَحْيُ وَإِنْ جَبِينَهُ لِيَنْفَصِدَ عَرَقًا أَي يُقْلِعُ. قال الجوهري: فصم الشيء كسره من غير أن يبين، تقول: فصمته فانفصم؛ قال الله تعالى لا أَنْفِصَامَ لَهَا ونفصم مثله؛ قال ذو الرُّمَّة يذكر غزاه يشبهه بدملج فضة:

كَأَنَّهُ دُمْلَجٌ مِنْ فَضَّةٍ نَبِيَّةٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ مَفْصُومٌ

وإنما جعله مفصوماً لنتنبيهه وأحنائه إذا نام. ولم يقل مقصوم بالقاف فيكون بانناً بآثنين. وأفصم المطر: أقلع. وأفصمت عنه الحمى. ولما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سميح من أجل النطق غليماً من أجل المعتقد.



### فقرات من التفسير

لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ إِذِ الْإِكْرَاهِ فِي الْحَقِيقَةِ إِلْزَامِ الْغَيْرِ فِعْلاً لَا يَرَى فِيهِ خَيْراً يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تَمِيْزَ الْإِيْمَانِ مِنَ الْكُفْرِ بِالْآيَاتِ الْوَاضِحَةِ، وَدَلَّتِ الدَّلَائِلُ عَلَى أَنَّ الْإِيْمَانَ رَشْدٌ يُوْصِلُ إِلَى السَّعَادَةِ الْآبَدِيَّةِ وَالْكَفْرَ غِيٌّ يُوْدِي إِلَى الشَّقَاوَةِ السَّرْمَدِيَّةِ، وَالْعَاقِلُ مَتَى تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ بَادَرَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْإِيْمَانِ طَلِباً لِلْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ وَالنَّجَاةِ، وَلَمْ يَحْتِجْ إِلَى الْإِكْرَاهِ وَالْإِلْجَاءِ. وَقَبْلَ إِخْبَارِ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، أَي لَا تَكْرَهُوا فِي الدِّينِ، وَهُوَ إِمَّا عَامٌ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ؛ جَهْدِ الْكُفْرِ وَالْمُنْفِقِينَ وَأَعْلَى عَلَيْهِمُ التَّوْبَةُ: 73 أَوْ خَاصٌّ بِأَهْلِ الْكِتَابِ لَمَّا رُوِيَ (أَنَّ أَنْصَارِيّاً كَانَ لَهُ ابْنَانِ تَنَصَّرَا قَبْلَ الْمَبْعَثِ، ثُمَّ قَدَمَا الْمَدِيْنَةَ فَلَزِمَهُمَا أَبُوهُمَا وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَدْعُمَا حَتَّى تَسْلَمَا فَأَبِيَا، فَاخْتَصَمُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: الْأَنْصَارِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْدِخِلْ بِعَقْبِي النَّارَ وَأَنَا أَنْظِرُ إِلَيْهِ فَنَزَلَتْ فَخَلَاهُمَا). فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّغُوتِ بِالشَّيْطَانِ، أَوْ الْأَصْنَامِ، أَوْ كُلِّ مَا عَدَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ صَدَّ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى. فَعَلُوتُ مِنَ الطَّغْيَانِ قَلْبَتْ عَيْنُهُ وَوَلَامَهُ. وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ بِالتَّوْحِيدِ وَتَصْدِيقِ الرِّسْلِ. فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى طَلِبَ الْإِمْسَاكِ عَنِ نَفْسِهِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى مِنَ الْحَبْلِ الْوُثْقِيِّ، وَهِيَ مَسْتَعَارَةٌ لِمَتَمَسَكَ الْحَقُّ مِنَ النَّظَرِ الصَّحِيحِ وَالرَّأْيِ الْقَوِيمِ. لَا أَنْفِصَامَ لَهَا لَا انْقِطَاعَ لَهَا يُقَالُ قِصَمْتُهُ فَانْفِصَمَ إِذَا كَسَرْتَهُ. وَاللَّهُ سَمِيعٌ بِالْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِالنِّيَّاتِ، وَلَعَلَّهُ تَهْدِيدٌ عَلَى النِّفَاقِ.

<https://goo.gl/R6QOnS>

1

<http://goo.gl/uD40hk>

2

## فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين أي لا إيجاب على الدين الحق وهو دين الإسلام. وقيل: هو إخبار في معنى، النهي، وروي أنه كان لأنصاري ابنان فنتصرا فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا فاختصما إلى رسول الله فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي في النار وأنا أنظر؟ فنزلت فخلاهما. قال ابن مسعود وجماعة: كان هذا في الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال قد تبين الرشد من العي قد تميز الإيمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطغوت بالشيطان أو الأصنام ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة أي المعتصم والمتعلق الوثقى تأنيت الأوثق أي الأشد من الحبل الوثيق المحكم المأمون لأنفصام لها لا انقطاع للعروة، وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده، والمعنى فقد عقد لنفسه من الدين عقداً وثيقاً لا تحله شبهة والله سميع لإقراره عليه باعتقاده.

---

1 <http://goo.gl/dJU9IS>

2 <http://goo.gl/rt5y8I>

## فقرات من التفسير

قوله عز وجل: لا إكراه في الدين سبب نزول هذه الآية فيما يروى عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد، لتهودنه فإذا عاش جعلته في اليهود فجاء الإسلام وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عدد من أولاد الأنصار فأرادت الأنصار استردادهم وقالوا هم أبناؤنا وإخواننا فنزلت الآية لا إكراه في الدين. فقال رسول الله: قد خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فأجلوهم معهم.

وقيل: لرجل من الأنصار، من بني سالم بن عوف يقال له أبو الحصين ابنان متنصران قبل مبعث النبي ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما أبوهما وقال لا أدعكما حتى تسلما فاختصموا إلى النبي وقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فأنزل الله تعالى لا إكراه في الدين فخلى سبيلهما

وقيل نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الإسلام وذلك أن العرب كانت أمة أمية ولم يكن لهم كتاب يرجعون إليه فلم يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ونزل في أهل الكتاب لا إكراه في الدين يعني إذا قبلوا الجزية فمن أعطى الجزية منهم لم يكره على الإسلام فعلى هذا القول تكون الآية محكمة ليست بمنسوخة

وقيل: بل الآية منسوخة وكان ذلك في ابتداء الإسلام قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخت بأية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى لا إكراه في الدين قال كان رسول الله بمكة عشر سنين لا يكره أحداً في الدين فأبى المشركون إلا أن يقاتلوا فاستأذن الله في قتالهم فأذن له ومعنى لا إكراه في الدين أي دين الإسلام ليس فيه إكراه عليه قد تبين الرشد من الغي يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الآيات والبراهين الدالة على صحته

فمن يكفر بالطاغوت يعني الشيطان، وقيل: هو الساحر والكاهن، وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى، وقيل: كل ما يطغى الإنسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان ويؤمن بالله أي ويصدق بالله أنه ربه ومعبوده من دون كل شيء كان يعبده وفيه إشارة إلى أنه لا بد للكافر أن يتوب أولاً عن الكفر ويتبرأ منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح إيمانه وهو قوله تعالى: فقد استمسك بالعروة الوثقى أي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تأنيث الأوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل إلى رضا الله تعالى وهو دين الإسلام لا انفصام لها أي لا انقطاع لها حتى تؤديه إلى الجنة والمعنى أن المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الإسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه والله سميع يعني أنه تعالى يسمع قول من كفر بالطاغوت وأتى بالشهادتين عليهم بما في قلبه من الإيمان وقيل معناه سميع لدعائك إياهم إلى الإسلام عليهم بحرصك على إسلامهم.

<http://goo.gl/gGCss4>

<http://goo.gl/nHt7ut>

1

2

## فقرات من التفسير

لا يوجد تفسير

وفي كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى<sup>3</sup> يقول:

مسألة: الجزء الأول

وإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا رسولا إلى أهل الأرض وهم خمسة أصناف قد طبقوا الأرض: يهود، ونصارى، ومجوس، وصابئون، ومشركون.

وهذه الأصناف هي التي كانت قد استولت على الدنيا من مشارقها إلى مغاربها.

فأما اليهود فأكثر ما كانوا باليمن وخيبر والمدينة وما حولها، وكانوا بأطراف الشام مستنذلين مع النصارى، وكان منهم بأرض فارس مستذلة مع المجوس، وكان منهم بأرض المغرب فرقة، وأعز ما كانوا بالمدينة وخيبر وما حولها، وكان الله سبحانه وتعالى قد قطعهم في الأرض أمما وسلبهم الملك والعز.

وأما النصارى فكانوا طبق الأرض: فكانت الشام كلها نصارى، وأرض المغرب كان الغالب عليهم النصارى، وكذلك أرض مصر والحبشة والنوبة والجزيرة والموصل وأرض نجران وغيرها من البلاد.

وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها.

وأما الصابئة فأهل حران وكثير من بلاد الروم.

وأما المشركون فجزيرة العرب جميعها وبلاد الهند وبلاد الترك وما جاورها.

وأديان أهل الأرض لا تخرج عن هذه الأديان الخمسة، ودين الحنفاء لا يعرف فيهم البتة. وهذه الأديان الخمسة كلها للشيطان كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: الأديان ستة: واحد للرحمن وخمسة للشيطان. وهذه الأديان الستة مذكورة في آية الفصل، في قوله تعالى: إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد. فلما بعث الله رسوله استجاب له ولخلفائه بعده أكثر أهل الأديان طوعا واختيارا، ولم يكره أحدا قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يحاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهداه فلم يقاتله ولم يكرهه على الدخول في دينه امتثالاً لأمر ربه سبحانه وتعالى حيث يقول: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي

وهذا نفي في معنى النهي، أي لا تكرر هو أحدا على الدين، نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد، قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على الدين، فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام. والصحيح: الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية من جميع الكفار، فلا يكرهون على الدخول في الدين، بل إما أن يدخلوا في الدين، وإما أن يعطوا الجزية، كما نقوله أهل العراق، وأهل المدينة، وإن استثنى هؤلاء بعض عبدة الأوثان.

<https://goo.gl/2zepYx> 1

<http://goo.gl/bhc106> 2

<http://goo.gl/E5kVvU> 3

ومن تأمل سيرة النبي تبين له أنه لم يكره أحدا على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيما على هديته، لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالى: فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم.

فلما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدعوه بالقتال قاتلهم، فمن على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقاتل بعضهم. وكذلك لما هادن قريشا عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدعواهم بقتاله ونقض عهده، فحينئذ غزاهم في ديارهم، وكانوا هم يغزونه قبل ذلك كما قصده يوم الخندق، ويوم بدر أيضا هم جاءوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم.

والمقصود أنه لم يكره أحدا على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختيارا وطوعا، فأكثر أهل الأرض دخلوا في دعوته لما تبين لهم الهدى، وأنه رسول الله حقا فهو لاء أهل اليمن كانوا على دين اليهودية وأكثرهم، كما قال النبي لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وذكر الحديث، ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة ولا رهبة، وكذلك من أسلم من يهود المدينة، وهم جماعة كثيرين غير عبد الله المذكورين في كتب السير والمغازي، لم يسلموا رغبة في الدنيا ولا رهبة من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم، ومحاربة أهل الأرض لهم من غير سوط ولا نوط، بل تحملوا معاداة أقربائهم وحرمانهم نفعهم بالمال والبدن مع ضعف شوكة المسلمين وقلة ذات أيديهم. فكان أحدهم يعادي أباه وأمه وأهل بيته وعشيرته، ويخرج من الدنيا رغبة في الإسلام، لا لرئاسة ولا مال، بل ينلج من الرئاسة والمال، ويتحمل أذى الكفار من ضربهم وشتيمهم وصنوف أذاهم ولا يصرفه ذلك عن دينه. فإن كان كثير من الأحرار والرهبان والقسيسين ومن ذكره هذا السائل قد اختار الكفر، فقد أسلم جمهور أهل الأرض من فرق الكفار، ولم يبق إلا الأقل بالنسبة إلى من أسلم، فهو لاء نصارى الشام كانوا ملء الشام، ثم صاروا مسلمين إلا النادر، فصاروا في المسلمين كالشعرة السوداء في الثور الأبيض.

وكذلك المجوس كانت أمة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى فأطبقوا على الإسلام، لم يخلف منهم إلا النادر، وصارت بلاد الإسلام، وصار من لم يسلم منهم تحت الجزية والذلة، وكذلك اليهود أسلم أكثرهم ولم يبق منهم إلا شردمة قليلة مقطعة في البلاد.

وفي كتابه احكام اهل الذمة يقول

وَالْمُضَوِّدُ أَنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَأْخُذِ الْجَزِيَّةَ مِنْ أَحَدٍ مِنْ مُشْرِكِي الْعَرَبِ لِأَنَّ آيَةَ الْجَزِيَّةِ نَزَلَتْ بَعْدَ عَامِ تَبَوُّكَ، وَكَانَتْ عِبَادَ الْأَصْنَامِ مِنَ الْعَرَبِ كُلِّهِمْ قَدْ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ مِمَّنْ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ وَمِنَ النَّصَارَى وَمِنَ الْمَجُوسِ.

قَالَ الْمُخَصِّصُونَ بِالْجَزِيَّةِ لِأَهْلِ الْكِتَابِ: الْمُرَادُ مِنْ إِرْسَالِ الرُّسُلِ وَإِنزَالِ الْكُتُبِ إِعْدَامُ الْكُفْرِ وَالشِّرْكَ مِنَ الْأَرْضِ وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ الْبَقْرَةَ: 193، وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ الْأَنْفَالِ: 39، وَمُقْتَضَى هَذَا أَلَّا يَفِرَّ كَافِرٌ عَلَى كُفْرِهِ، وَلَكِنْ جَاءَ النَّصُّ بِإِفْرَارِ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا أَعْطُوا الْجَزِيَّةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، فَأَقْتَصَرْنَا بِهَا عَلَيْهِمْ وَأَخَذْنَا فِي عُمُومِ الْكُفَّارِ بِالنُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَى قِتَالِهِمْ إِلَى أَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.

قَالُوا: وَلَا يَصِحُّ إِلْحَاقُ عِبْدَةِ الْأَوْثَانِ بِأَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّ كُفْرَ الْمُشْرِكِينَ أَعْظَمُ مِنْ كُفْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مَعَهُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ وَبَعْضُ أَثَرِ الْأَنْبِيَاءِ مَا لَيْسَ مَعَ عِبَادِ الْأَصْنَامِ، وَيُؤْمِنُونَ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالتَّوْبَاتِ بِخِلَافِ عِبْدَةِ الْأَصْنَامِ.

وَعِبْدَةُ الْأَصْنَامِ حَزْبٌ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَأَمَمُهُمْ مِنْ عَهْدِ نُوحٍ إِلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ؛ وَلِهَذَا أَثَرُ هَذَا التَّقَاوُثِ الَّذِي بَيَّنَّ الْفَرِيقَيْنِ فِي جِلِّ الدَّبَائِحِ وَجَوَازِ الْمُنَاكَحَةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ دُونَ عِبَادِ الْأَصْنَامِ،

وَلَا يَنْتَقِضُ هَذَا بِالْمَجُوسِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَمَرَ أَنْ يُسَنَّ بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْجَزِيَّةَ  
إِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَأَنَّهَا إِنَّمَا وُضِعَتْ لِأَجْلِهِمْ خَاصَّةً وَإِلَّا لَوْ كَانَتْ الْجَزِيَّةُ نَعْمٌ جَمِيعَ الْكُفَّارِ  
لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أَوْلَى بِهَا مِنْ غَيْرِهِمْ، وَلَقَالَ: لَهُمْ حُكْمٌ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ يُقَاتِلُونَ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ  
يُعْطُوا الْجَزِيَّةَ.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ الْمَعْنَى: أن دين الإسلام في غاية الوضوح وظهور البراهين على صحته، بحيث لا يحتاج أن يكره أحد على الدخول فيه بل يدخل فيه كل ذي عقل سليم من تلقاء نفسه، دون إكراه ويدل على ذلك قوله: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أَي قد تبين أن الإسلام رشد وأن الكفر غي، فلا يفتقر بعد بيانه إلى إكراه، وقيل: معناه المودعة، وأن لا يكره أحد بالقتال على الدخول في الإسلام؛ ثم نسخت بالقتال، وهذا ضعيف لأنها مدنية وإنما آية المسالمة وترك القتال بمكة بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى العروة في الأجرام هي: موضع الإمساك وشدّ الأيدي، وهي هنا تشبيه واستعارة في الإيمان لا أَنْفِصَامَ لَهَا لا انكسار لها ولا انفصال.

---

1 <https://goo.gl/fsB6uq>

2 <http://goo.gl/NNT4PL>

### فقرات من التفسير

يقول تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ أَي؛ لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلالة وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً.

وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاماً. وقال ابن جرير: حدثنا ابن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كانت المرأة تكون مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ، وقد رواه أبو داود والنسائي جميعاً عن بنادر به، ومن وجوه أخر عن شعبة، به، نحوه. وقد رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه من حديث شعبة به، وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم، أنها نزلت في ذلك. وقال محمد بن إسحاق: عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت، عن عكرمة أو عن سعيد، عن ابن عباس، قوله: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَالَ: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف، يقال له: الحصيني، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي ألا أستكرههما؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك، رواه ابن جرير. وروى السدي نحو ذلك، وزاد: وكانا قد تنصرا على يدي تجار قدموا من الشام يحملون زيتاً، فلما عزموا على الذهاب معهم، أراد أبوهما أن يستكرهما، وطلب من رسول الله أن يبعث في آثارهما، فنزلت هذه الآية.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن عوف، أخبرنا شريك عن أبي هلال عن أسق، قال: كنت في دينهم مملوكاً نصرانياً لعمر بن الخطاب، فكان يعرض علي الإسلام، فأبى، فيقول: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ويقول: يا أسبق لو أسلمت لاستعنا بك على بعض أمور المسلمين.

وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء، أن هذه محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية، وقال آخرون: بل هي منسوخة بأية القتال، وإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف، دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدخول فيه، ولم ينقد له، أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل، وهذا معنى الإكراه، قال الله تعالى سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسِ شَدِيدٍ نَقُتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ الفتح: 16 وقال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاعْظِ عَلَيْهِمُ التوبة: 73 وقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ التوبة: 123 وفي الصحيح: عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل يعني: الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون، وتصلح أعمالهم وسرائرهم، فيكونون من أهل الجنة. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن حميد عن أنس، أن رسول الله قال لرجل: أسلم، قال: إني أجدني كارهاً، قال: وإن كنت كارهاً فإنه ثلاثي صحيح، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبي على الإسلام، بل دعاه

1 <https://goo.gl/kb667t>  
2 <http://goo.gl/Jdl3Ux>



إليه، فأخبره أن نفسه ليست قابلة له، بل هي كارهة، فقال له: أسلم وإن كنت كارهاً، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص.

وقوله: **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** أي: من خلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووجد الله، فعبده وحده، وشهد أنه لا إله إلا هو **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ** أي: فقد ثبت في أمره، واستقام على الطريق المثلى، والصرط المستقيم. قال أبو قاسم البغوي: حدثنا أبو روح البلدي، حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق عن حسان، هو ابن قائد العبسي، قال: قال عمر رضي الله عنه: إن الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، وإن الشجاعة والجبن غرائز تكون في الرجال، يقاتل الشجاع عن لا يعرف، ويفر الجبان من أمه، وإن كرم الرجل دينه، وحسبه خلقه، وإن كان فارسياً أو نبطياً. وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري، عن أبي إسحاق عن حسان بن قائد العبسي عن عمر، فذكره، ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان، قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها، والاستنصار بها.

وقوله: **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا** أي: فقد استمسك من الدين بأقوى سبب، وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنتفصم، هي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وربطها قوي شديد، ولهذا قال: **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا** الآية، قال مجاهد: العروة الوثقى يعني: الإيمان، وقال السدي: هو الإسلام، وقال سعيد بن جببر والضحاك: يعني: لا إله إلا الله، وعن أنس بن مالك: العروة الوثقى القرآن.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: هو الحب في الله، والبغض في الله، وكل هذه الأقوال صحيحة، ولا تنافي بينها. وقال معاذ بن جبل في قوله: **لَا انفِصَامَ لَهَا** دون دخول الجنة، وقال مجاهد وسعيد بن جببر: **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا** ثم قرأ: **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** الرعد: 11 وقال الإمام أحمد: أنبأنا إسحاق بن يوسف، حدثنا ابن عون عن محمد بن قيس بن عباد، قال: كنت في المسجد، فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع، فصلى ركعتين أوجز فيهما، فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة، فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله، فدخلت معه فحدثته، فلما استأنس، قلت له: إن القوم لما دخلت المسجد، قالوا: كذا وكذا، قال: سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم، وسأحدثك لم، إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله فقصصتها عليه، رأيت كأنني في روضة خضراء - قال ابن عون: فذكر من خضرتها وسعتها - وفي وسطها عمود حديد، أسفله في الأرض، وأعله في السماء، في أعلاه عروة، فقبل لي: اصعد عليه، فقلت: لا أستطيع، فجاءني منصف - قال ابن عون هو الوصيف - فرفع ثيابي من خلفي، فقال: اصعد، فصعدت حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسك بالعروة، فاستيقظت، وإنها لفي يدي، فأتيت رسول الله فقصصتها عليه، فقال: أما الروضة، فروضة الإسلام، وأما العمود فعمود الإسلام، وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام حتى تموت قال: وهو عبد الله بن سلام. أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون، فقامت إليه. وأخرجه البخاري من وجه آخر، عن محمد بن سيرين به.

(طريق أخرى وسياق آخر) قال الإمام أحمد: أنبأنا حسن بن موسى وعفان، قالوا: أنبأنا حماد بن سلمة، عن عاصم بن بهدلة، عن المسيب بن رافع، عن خرشة بن الحر، قال: قدمت المدينة، فجلست إلى مشيخة في مسجد النبي فجاء شيخ يتوكأ على عصاه، فقال القوم: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا، فقام خلف سارية، فصلى ركعتين، فقلت له: قال بعض القوم: كذا وكذا، فقال: الجنة لله، يدخلها من يشاء، وإني رأيت على عهد رسول الله رؤيا: رأيت كأن رجلاً أتاني فقال: انطلق، فذهبت معه، فسلك بي منهجاً عظيماً، فعرضت لي طريق عن يساري، فأردت أن أسلكها، فقال: إنك لست من أهلها، ثم عرضت لي طريق عن يميني، فسلكتها حتى انتهيت إلى جبل زلق، فأخذ بيدي، فدحا بي، فإذا أنا على ذروته، فلم أتقار، ولم أتماسك، فإذا عمود حديد، في ذروته حلقة من ذهب، فأخذ بيدي، فدحا بي حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسك، فقلت: نعم، فضرب

العمود برجله، فاستمسكت بالعروة، فقصصتها على رسول الله فقال: رأيت خيراً، أما المنهج العظيم فالمحشر، وأما الطريق التي عرضت عن يسارك فطريق أهل النار، ولست من أهلها، وأما الطريق التي عرضت عن يمينك فطريق أهل الجنة، وأما الجبل الزلق فمنزل الشهداء، وأما العروة التي استمسكت بها فعروة الإسلام، فاستمسك بها حتى تموت قال: فإنما أرجو أن أكون من أهل الجنة، قال: وإذا هو عبد الله بن سلام، وهكذا رواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عفان، وابن ماجه عن أبي شيبة عن الحسن بن موسى الأشيب، كلاهما عن حماد ابن سلمة به نحوه، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث الأعمش، عن سليمان بن مسهر، عن خرشة ابن الحر الفزاري به.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ لَا يَكْرَهُ أَحَدٌ عَلَى التَّوْحِيدِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمَجُوسِ بَعْدَ إِسْلَامِ الْعَرَبِ قَدْ تَبَيَّنَ  
الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ الْإِيمَانِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ ثُمَّ نَزَلَتْ فِي مَنْذَرِ بْنِ سَاوِي التَّمِيمِيِّ فَمَنْ يَكْفُرُ  
بِالطَّاغُوتِ بِأَمْرِ الشَّيْطَانِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْهُ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فَقَدْ  
أَخَذَ بِالثِّقَةِ بَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا أَنْفَصَامَ لَهَا لَا انْقِطَاعَ وَلَا زَوَالَ وَلَا هَلَاكَ وَيُقَالُ لَا انْقِطَاعَ لِصَاحِبِهَا عَنْ  
نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَلَا زَوَالَ عَنْ الْجَنَّةِ وَلَا هَلَاكَ بِالْبَقَاءِ فِي النَّارِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ لِهَذِهِ الْمَقَالَةِ عَلَيْهِمُ بَثْوَابُهَا  
وَنَعِيمُهَا.

---

1 <https://goo.gl/1qOxYc>

2 <http://goo.gl/1MTXib>

## فقرات من التفسير

وقوله سبحانه: لا إكراه في الدين الآية: لما بيّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للأعداء ذكر بعد ذلك. أنه لم يبق للكافر علة في إقامته على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه؛ وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي مقام الابتلاء والاختبار، وينافيه الإكراه والإجبار. ومما يؤكد ذلك قوله: قد تبين الرشد من الغي يقال بآن الشيء واستبان وتبيّن وبين أيضا إذا وضح وظهر ومنه المثل: قد تبين الصبح لذي عينين. والرشد إصابة الخير، والغى نقيضه. أي: تميز الحق من الباطل، والإيمان الكفر، والهدى من الضلال، بكثرة الحجج والبيّنات ووفور الدلائل والآيات. فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون: وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله من طغي، إلا أن لام الفعل قلبت إلى موضع العين ثم صيرت ألفاً لتحرّكها وانفتاح ما قبلها. وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغوبت والرهبوت، والدليل على ذلك أنه يفرد في موضع الجمع كما يقال: هم رضا وعدل. ولهذا قال تعالى: أولياؤهم الطاغوت البقرة: 257 والأصل فيه التذكير. قال تعالى: يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به النساء: 60 فأما قوله تعالى: والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعيدوها الزمر: 17 فالتأنيث لإرادة الآلهة. وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة: هو الشيطان. وعن سعيد بن جبير: الكاهن. وقال أبو العالية: الساحر. وعن بعضهم: الأصنام. وقيل: مردة الجن والإنس وكل ما يطغي، وإنما جعلت/ هذه الأشياء أسباباً للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب إنهن أضللن كثيراً من الناس إبراهيم: 36 ويعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله: ومن يؤمن بالله، أن الكافر لا بد أن يتوب أولاً، ثم يؤمن بعد ذلك، فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك بمعنى، والعروة واحدة عرى: الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به. والثقة تأنيث الأوثق، وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول، لأن الإسلام أقوى ما ينتشبت به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر إليه بعينه فتزول شبهته بالكلية. والفصم كسر الشيء من غير أن يبين فصمته فانفصم. والمقصود من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لأنه إذا لم يكن لها انفصام، فإن لا يكون لها انقطاع أولى قيل إن الموصول ههنا محذوف أي التي لا انفصام لها كقوله وما منا إلا له مقام معلوم الصافات: 164 أي من له.

وقيل: معنى قوله لا إكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على أنه إخبار في معنى النهي والإكراه إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه. ثم قال بعضهم: إنه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين التحريم: 9 وقال بعضهم: هو في أهل الكتاب خاصة، لأنهم إذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم. وأما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل إنهم لا يقرّون على ذلك ويكرهون على الإسلام. وقيل يقرّون على ما انتقلوا إليه ولا يكرهون. روي أنه كان لأنصاريّ من بني سالم بن عوق ابنان فتنصّرا قبل أن يبعث رسول الله ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما. فأبيا فاختصموا إلى رسول الله فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا إكراه أي: لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد

<sup>1</sup> <https://goo.gl/R7Cp0k>

<sup>2</sup> <https://goo.gl/VqUNk8>

الحرب أنه دخل مكرهاً لأنه إذا رضي بعد الحرب وصحَّ إسلامه فليس بمكره، ومعناه لا تنسبوه إلى الإكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً النساء: 94. والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر، يعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما في قلب الكافر من العقد الخبيث. وعن عطاء عن ابن عباس قال: كان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله ذلك سراً وعلانية ففيل له: والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك.

### فقرات من التفسير

لا اكراه في الدين أي ليس في الدين اكراه من الله تعالى ولكن العبد مخيرٌ فيه، وقيل: معناه ليس في الدين ما يكرهه اهله وانما يكرهه المنافق، وقيل: انها نزلت في رجل من الانصار كان له غلام اسود وكان يكرهه على الإسلام قد تبين الرشد من الغي قد تبين الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت قيل: هو الشيطان نعوذ بالله منه، وقيل: هو الكاهن، وقيل: الساحر، وقيل: هو كعب بن الاشرف لعنه الله تعالى، وقيل: كل ما يُطعَى فقد استمسك بالعروة الوثقى العظيمة الوثيقة وهي الايمان بالله ورسوله لا انفصام لها أي لا انقطاع لها وهذا تمثيل الله ولي الذين آمنوا أي ناصرهم يخرجهم من الظلمات إلى النور قيل: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، وقيل: من ظلمات الضلالة إلى نور الهدى، وقيل: من الذل إلى العز في الدارين، وقيل: من النار إلى الجنة والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت قيل: الشيطان، وقيل: كعب بن الاشرف وحبي بن الخطب، وقيل: سائر رؤساء الضلالة.

---

1 <http://goo.gl/v8aMnE>  
2 <http://goo.gl/MMbJqI>

## فقرات من التفسير

قوله تعالى: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي: الدين، في هذه الآية: هو المعتقد، والملة، ومقتضى قول زيد بن أسلم أن هذه الآية مكّية، وأنها من آيات المواعدة التي نسخها آية السيف، وقال قتادة والضحاك بن مزاحم: هذه الآية مُحْكَمَةٌ خَاصَّةٌ فِي أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَبْدُلُونَ الْجَزِيَّةَ، وقوله تعالى: قد تبين الرشد من الغي: معناه: بنصب الأدلة، ووجود الرسول الداعي إلى الله، والآيات المنيرة، والرشد: مصدر من قولك: رشيد؛ بكسر الشين، وضَمِّهَا، يَرشُدُ رُشْدًا، ورَشْدًا، ورَشَادًا، والغِي مصدر من: غَوِيَ يَغْوِي، إِذَا ضَلَّ فِي مَعْتَقِدٍ، أَوْ رَأْيٍ، وَلَا يُقَالُ: الْغِي فِي الضَّلَالِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالطَّاعُوتُ بِنَاءٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ: طَعَى يَطْعَى، وَاخْتَلَفَ فِي مَعْنَى الطَّاعُوتِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَغَيْرُهُ: هُوَ الشَّيْطَانُ، وَقِيلَ: هُوَ السَّاجِرُ، وَقِيلَ: الْكَاهِنُ، وَقِيلَ: الْأَصْنَامُ، وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: كُلُّ مَا عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ طَاعُوتٌ.

\* ع \* وهذه تسمية صحيحة في كل معبود يرضى ذلك؛ كفرعون وثمود، وأما من لا يرضى ذلك، فسمي طاعوتاً في حق العبدية، قال مجاهد: العروة الوثقى: الإيمان، وقال السدي: الإسلام، وقال ابن جبير وغيره: لا إله إلا الله.

قال: \* ع \* وهذه عبارات ترجع إلى معنى واحد.

والإنفصام: الإنكسار من غير بينونة، وقد يجيء بمعنى البينونة، والقصم كسر بالبينونة.

\* ت \* وفي الموطأ عن النبي؛ أنه قال: إن الوحي يأتيني أحياناً في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني، وقد وعيت قال أبو عمر في التمهيد: قوله: فيفصم عني: معناه: ينفرج عني، ويذهب؛ كما تفصم الخلال، إذا فتحته؛ لتخرجه من الرجل، وكل عقده حلتها، فقد فصمتها، قال الله عز وجل: فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، وانفصام العروة أن تنفك عن موضعها، وأصل القصم عند العرب: أن تفك الخلال، ولا يبين كسره، فإذا كسرت، فقد قصمت بالقاف. انتهى. ولما كان الإيمان مما ينطق به اللسان، ويعتقده القلب، حسن في الصفات - سميع: من أجل النطق، وعليم من أجل المعتقد.

<https://goo.gl/zGE7o6>

<http://goo.gl/dzfr0n>

1

2

### فقرات من التفسير

قوله تعالى: لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: كقوله: لَأَ رَيْبَ فِيهِ الْبَقْرَةَ:2 وقد تقدّم. وأل في الدّين للعهد، وقيل: عوضٌ من الإضافة أي في دين الله لقوله تعالى: فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى النَّازِعَات:41، أي: تأوي. والجمهور على إدغام دالٍ قد في تاء تَبَيَّنَ؛ لأنها من مخرجها.

والرُّشد: مصدر رشد بفتح العين يرشد بضمّها، ومعناه في اللُّغة، إصابة الخير. وقرأ الحسنُ الرُّشد بضمّتين كالعق، فيجوز أن يكون هذا أصله، ويجوز أن يكون إتباعاً، وهي مسألة خلاف أعني ضمّ عين الفعل. وقرأ أبو عبد الرحمن الرُّشد بفتح الفاء والعين، وهو مصدر رشد بكسر العين يرشد بفتحها، وروي عن أبي عبد الرحمن أيضاً: الرُّشَادُ بِالْأَلْفِ.

ومعنى الإكراه نسبتهم إلى كراهة الإسلام. قال الرَّجَّاح: لَأَ تَنْسُبُوا إِلَى الْكِرَاهَةِ مَنْ أَسْلَمَ مُكْرَهًا، يقال: أَكْفَرَهُ نَسَبَهُ إِلَى الْكُفْرِ؛ قال: الطويل

1186 - وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّهِمْ  
وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيٍّ وَمُذْنِبٍ

قوله: مِنْ أَلْغِيٍّ مَتَعَلِّقٌ بَتَّبِيْنٍ، وَمِنْ لِفَصْلِ، وَالتَّمْيِيزُ كَقَوْلِكَ: مَيَّرْتَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ. وقال أبو البقاء: في موضع نَصْبٍ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ وَلَيْسَ بِظَاهِرٍ؛ لِأَنَّ مَعْنَى كَوْنِهِ مَفْعُولًا بِهِ غَيْرٌ لِأَنِّي بِهَذَا الْمَحَلِّ. وَلَا مَحَلٌّ لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْإِعْرَابِ؛ لِأَنَّهَا اسْتِنْفَاتٌ جَارٍ مَجْرَى التَّعْلِيلِ لِعَدَمِ الْإِكْرَاهِ فِي الدِّينِ.

والتَّبَيُّينُ: الظهور والوضوح، بان الشّيء، واستبان، وتَبَيَّنَ: إذا ظهر ووضح ومنه المثل: تَبَيَّنَ الصَّبْحُ لَدِي عَيْنَيْنِ.

قال ابن الخطيب: وعندي أَنَّ الْإِيضَاحَ، وَالتَّعْرِيفَ، إِنَّمَا سَمِّيَ بَيَانًا؛ لِأَنَّهُ يُوَقِّعُ الْفَصْلَةَ، وَالبَيِّنُونَ بَيْنَ الْمَقْصُودِ وَغَيْرِهِ.

وَالْغِيٌّ: مصدر غوى بفتح العين قال: فَعَوَى طه:121، ويقال: غَوَى الْفَصِيلُ إِذَا بَشِمَ، وَإِذَا جَاعَ أَيْضًا، فَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ. وَأصل الغيِّ: غَوَى فَاجْتَمَعَتِ الْبِاءُ وَالْوَاوُ، فَأُدْغِمَتْ نَحْو: مَيَّتَ وَبَابِهِ. وَالْغِيٌّ: نَقِيضُ الرُّشْدِ: يقال: غَوَى يَغْوِي، غَيًّا، وَغَوَايَةً إِذَا سَلَكَ خِلَافَ طَرِيقِ الرُّشْدِ.

فصل في معنى الدّين في الآية

قال القرطبي: المراد بالدّين في هذه الآية الكريمة المعتقد، والملة بدليل قوله قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغِيِّ. قال سعيد بن جبیر عن ابن عبّاس: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة، لا يعيش لها ولد، فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهودنّه فإذا عاش ولدها جعلته في اليهوديّة. فلما جاء الإسلام، وفيهم منهم، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم عددٌ من أولاد الأنصار، فأرادت الأنصار استردادهم، وقالوا: أبناؤنا وإخواننا، فنزلت: لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، فقال رسول الله: قَدْ خَيَّرَ اللهُ أَصْحَابَكُمْ، فإِنْ اخْتَارُوكُمْ فَهَمْ مِنْكُمْ، وَإِنْ اخْتَارُوهُمْ، فَاجْلُوهُمْ مَعَهُمْ.

وقال مجاهد: كان ناسٌ مسترضعين في اليهود من الأوس، فلما أمر النبي بإجلاء بني النضير قال الذين كانوا مسترضعين فيهم: لنذهبنّ معهم ولنديننّ بدينهم، فمنعهم أهلهم وأكرهوهم على الإسلام فنزلت لَأِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

1 <http://goo.gl/Y9KVJc>

2 <http://goo.gl/lxY3nw>



وقال مسروق: كان لرجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ابنان منتصران قبل مبعث النبي ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الطعام فلزمهما أبوهما، وقال لا أدعكما حتى تسلما فأبيا أن يسلما فاختصموا إلى رسول الله فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيَدْخُلُ بَعْضِي النَّارَ وَأَنَا أَنْظَرُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ، فَخَلَى سَبِيلَهُمَا.

وقال قتادة وعطاء: نزلت في أهل الكتاب إذا قبلوا الجزية، وذلك أن العرب كانت أمة أمية لم يكن لهم كتاب، فلم يقبل منهم إلا الإسلام، فلما أسلموا طوعاً، أو كرهاً؛ أنزل الله تعالى لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ؛ فأمر بقتال أهل الكتاب إلى أن يسلموا، أو يقرّوا بالجزية، فمن أعطى منهم الجزية، لم يكره على الإسلام.

وقال ابن مسعود كان هذا في ابتداء الإسلام، قبل أن يؤمر بالقتال، فصارت منسوخة بأية السيف. ومعنى تَبَيَّنَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَبْيِ، أي: تَمَيَّزَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْإِيمَانُ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْهُدَى مِنَ الضَّلَالَةِ بِالْحَجَجِ وَالْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ.

قوله: بِالطَّاعُوتِ مَتَعَلِّقٌ بِكَفْرِ، وَالطَّاعُوتِ بِنَاءٌ مَبَالِغَةٌ كَالْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ. وَاخْتَلَفَ فِيهِ، فَقِيلَ: هُوَ مُصَدَّرٌ فِي الْأَصْلِ، وَلِذَلِكَ يُؤَدَّ وَيَذَكَّرُ، كَسَائِرِ الْمَصَادِرِ الْوَاقِعَةِ عَلَى الْأَعْيَانِ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْفَارْسِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ اسْمُ جِنْسٍ مُفْرَدٍ، فَلِذَلِكَ لَزِمَ الْإِفْرَادَ وَالتَّنْكِيرَ، وَهَذَا مَذْهَبُ سَبِيئِ بْنِ رَحْمَةَ اللَّهِ. وَقِيلَ هُوَ جَمْعٌ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْمَبْرَدِ، وَهُوَ مُؤَنَّثٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاعُوتُ الْبَقْرَةُ: 257 قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارْسِيُّ: وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لِأَنَّ الطَّاعُوتَ مُصَدَّرٌ كَالرَّغَبِوتِ، وَالرَّهْبِوتِ، وَالْمَلَكُوتِ، فَكَمَا أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَحَادٌ، كَذَلِكَ هَذَا الْاسْمُ مُفْرَدٌ، وَلَيْسَ بِجَمْعٍ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مُصَدَّرٌ مُفْرَدٌ وَلَيْسَ بِجَمْعٍ قَوْلُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاعُوتُ، فَأُفْرِدَ فِي مَوْضِعِ الْجَمْعِ، كَمَا يُقَالُ هُمْ رِضَاءٌ، وَهُمْ عَدْلٌ انْتَهَى. وَهُوَ مُؤَنَّثٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطَّاعُوتَ أَنْ يَعْبُدُواهَا الزمر: 17.

وأجاب من ادعى التذكير عن هذا الاستدلال بأنه إنما أنت هنا؛ لإرادة الإلهة وقال آخرون: ويكون مذكراً، ومؤنثاً، وواحداً وجمعاً قال تعالى في المذكر والواحد: يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاعُوتِ مَذْكَرًا، وَقَدْ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ النِّسَاءُ: 60 وَقَالَ فِي الْمُؤَنَّثِ: الَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطَّاعُوتَ أَنْ يَعْبُدُواهَا الزمر: 17 وَقَالَ فِي الْجَمْعِ: يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النَّوْرِ إِلَى الظُّلُمَاتِ الْبَقْرَةُ: 257. وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ طَعَى يَطْعَى، أَوْ مِنْ طَعًا يَطْعُو، عَلَى حَسَبِ مَا تَقَدَّمَ أَوَّلَ السُّورَةِ، هَلْ هُوَ مِنْ ذَوَاتِ الْوَاوِ أَوْ مِنْ ذَوَاتِ الْيَاءِ؟ وَعَلَى كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ، فَأَصْلُهُ طَعُوتٌ، أَوْ طَعُوتٌ لِقَوْلِهِمْ: طُعْيَانٌ فِي مَعْنَاهُ، فَقَبِلْتُ الْكَلِمَةَ بِأَنَّ قِيَمَتَ اللَّامِ وَأُخْرَتِ الْعَيْنِ، فَتَحَرَّكَ حَرْفُ الْعَلَّةِ، وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهُ فَقَلْبُ أَلْفًا، فَوَزَنَهُ الْآنَ فَلَغُوتٌ، وَقِيلَ: تَأْوَهُ لَيْسَتْ زَائِدَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ بَدَلٌ مِنَ الْلامِ الْكَلِمَةِ، وَوزنه فاعول من الطُعْيَانِ كَقَوْلِهِمْ حَانُوتٌ، وَتَابُوتٌ، وَالنَّاءُ فِيهِمَا مَبْدَلَةٌ مِنْ هَا التَّائِيثِ.

قال مكي وقد يجوز أن يكون أصلُ لَامِهِ وَوَاوًا، فَيَكُونُ أَصْلُهُ طَعُوتًا؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: طَعَى يَطْعَى وَيَطْعُو، وَطُعَيْتٌ وَطَعُوتٌ، وَمِثْلُهُ فِي الْقَلْبِ وَالْإِعْتِلَالِ، وَالْوِزْنِ: حَانُوتٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ حَنَا يَحْنُو وَأَصْلُهُ حَنُوتٌ، ثُمَّ قَلْبٌ وَأَعْلٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ: حَانَ يَجِينُ لِقَوْلِهِمْ فِي الْجَمْعِ حَوَانِيْتُ انْتَهَى قَالَ شَهَابُ الدِّينِ: كَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى أَنَّ الْوَاوَ قَدْ تَبَدَّلَ تَاءً كَمَا فِي تُجَاهِهِ، وَتَحْمَةً، وَثَرَاتٍ، وَتُكَاةً، أَدْعَى قَلْبَ الْوَاوِ الَّتِي هِيَ لِأَمِّ تَاءً، وَهَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ.

وقدم ذكر الكفر بالطاغوت على ذكر الإيمان بالله - تعالى - اهتماماً بوجوب الكفر بالطاغوت، وناسبة اتصاله بلفظ العبي.

فصل في المراد بالطاغوت

واختلف في الطاغوت فقال عمر، ومجاهد، وقاتدة: هو الشيطان.

وقال سعيد بن جببر: هو الكاهن. وقال أبو العالية: هو الساحر. وقال بعضهم: الأصنام.

وقيل مرادة الجن والإنس، وكل ما يطغى الإنسان.

وقيل: الطَّاعُوثُ هو كلُّ ما عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وكان راضياً بكونه معبوداً، فعلى هذا يَكُونُ الشَّيْطَانُ والكهنة، والسَّحرة، وفرعون والنمرود كلُّ واحد منهم طاعوثاً؛ لأنهم راضون بكونهم معبودين وتكون الملائكة، وعزير، وعيسى ليسوا بطواعيت، لأنهم لم يرضوا بأن يكونوا معبودين.

قوله: وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ عطف على الشَّرْطِ وقوله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى جواب الشَّرْطِ، وفيه دليل على أنه لا بد للكافر من أن يتوب أولاً عن الكفر، ثم يؤمن بعد ذلك.

وفيه دليل على أن درء المفسد مقدّم على جلب المصالح؛ لأنه قدّم الكفر بالطَّاعُوت على الإيمان بالله اهتماماً به فإن قيل الإيمان بالله مستلزم للكفر بالطَّاعُوت.

قلنا: لا نسلم، قد يكفر بالطَّاعُوت ولا يؤمن بالله واستمسك أي: استمسك واعتصم بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أي العقد الوثيق المحكم في الدين.

والعُرْوَةُ: موضع شدِّ الأيدي، وأصلُ المادَّةِ يَدُّ على التَّعلُّق، ومنه: عَرَّوْتُهُ: أَلَمَنْتُ بِهِ متعلِّقاً، واعتراه الهَمُّ: تعلَّقَ بِهِ، والوُثْقَى: فُعْلَى للتفضيل تَأْنِيث الأوثق، كَفُضِّلِي تَأْنِيث الأفضل، وجمعُها على وُثْقٍ نحو: كُبْرَى وكُبْر، فأماً وُثْقٌ بضمَّتَيْنِ فجمع وثيق. وهذا استعارة المحسوس للمعقول؛ لأن من أراد إمساك هذا الدِّينِ تعلَّقَ بالدلائل وأوضحها الذَّالَةَ عليه، ولما كانت دلائلُ الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها وصفها الله تبارك وتعالى بأنَّها العروة الوثقى.

قال مجاهدٌ: العُرْوَةُ الوثقى الإيمان.

وقال السُّدِّي: الإسلام.

وقال ابن عباس، وسعيد بن جبیر والضحاك: لا إله إلا الله.

قوله: لا أَنْفِصَامَ لَهَا كقوله: لا رَيْبَ فِيهِ البقرة:2

والجملةُ فيها ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون استئنافاً، فلا محلَّ لها حينئذٍ.

والثاني: أنها حالٌ من العُرْوَةِ، والعامِلُ فيها اسْتَمْسَكَ.

والثالث: أنها حالٌ من الضمير المستتر في الوُثْقَى. ولها في موضع الخبر فتتعلَّقُ بمحذوف، أي: كائنٌ لها. والانفصام - بالفاء - القطع من غير بَيِّنُونَة، والقسم بالقافِ قَطَعَ بَيِّنُونَة، وقد يُستعمل ما بالفاء مكان ما بالقاف.

والمقصود من هذا اللَّفْظِ المُبالِغَةُ؛ لأنه إذا لم يكن لها انفصام، فإن لا يكون لها انقطاع أولى، ومعنى الآية: بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى التي لا انفصام لها، والعرب تُضَمُّرُ التي والذي ومن وتكتفي بصلاتها منها.

قال سلامة بن جندل: البسيط

وَالْعَادِيَّاتُ أَسَالِي الدِّمَاءِ بِهَا كَأَنَّ أَعْنَاقَهَا أَنْصَابٌ تَرْجِيْبُ

يريد والعدايات التي قال تعالى: وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ

الصافات:164 أي من له.

قوله: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ فيه قولان:

أحدهما: أنه تعالى يسمع قول من يتكلم بالشهادتين، وقول من يتكلم بالكفر، ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر، وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث.

الثاني: روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة، وكان يسأل الله ذلك سراً، وعلانية، فمعنى قوله وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يريد لدعائك يا محمدٍ عليم بحرصك واجتهادك.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ عَلَى الدِّخُولِ فِيهِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أَيْ ظَهَرَ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ الْإِيمَانَ رَشِدٌ  
وَالكُفْرَ غَيٌّ نَزَلَتْ فِيْمَنْ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَنْصَارِ أَوْلَادٌ أَرَادَ أَنْ يَكْرَهُهُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ  
الشَّيْطَانِ أَوْ الْأَصْنَامِ وَهُوَ يُطَلَّقُ عَلَى الْمَفْرَدِ وَالْجَمْعِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِمَسْكِ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى  
بِالْعَقْدِ الْمَحْكَمِ لَا أَنْفِصَامَ انْقِطَاعَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ لَمَّا يُقَالُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُ.

---

1 <http://goo.gl/DgcS8j>

2 <http://goo.gl/OA8kCE>

3 <http://goo.gl/Ifaetw>

## فقرات من التفسير

أخرج أبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه وابن منده في غرائب شعبه وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في سننه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا. فأنزل الله لا إكراه في الدين.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن سعيد بن جبير في قوله لا إكراه في الدين قال: نزلت في الأنصار خاصة. قلت: خاصة، كانت المرأة منهم إذا كانت نزورة أو مقلاة تنذر: لئن ولدت ولداً لتجعلنه في اليهود تلتمس بذلك طول بقاءه، فجاء الإسلام وفيهم منهم، فلما أجليت النضير قالت الأنصار: يا رسول الله أبناؤنا وإخواننا فيهم، فسكت عنهم رسول الله، فنزلت لا إكراه في الدين فقال رسول الله قد خير أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فهم منهم، فأجلوهم معهم.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الشعبي قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة لا يعيش لها ولد، فتتذر إن عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم، فجاء الإسلام وطوائف من أبناء الأنصار على دينهم، فقالوا: إنما جعلناهم على دينهم، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وأن الله جاء بالإسلام فلنكرههم، فنزلت لا إكراه في الدين فكان فصل ما بينهم إجلاء رسول الله بني النضير، فلحق بهم من لم يسلم، وبقي من أسلم.

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: كان ناس من الأنصار مسترضعين في بني قريظة فثبتوا على دينهم، فلما جاء الإسلام أراد أهلهم أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت لا إكراه في الدين.

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر من وجه آخر عن مجاهد قال كانت النضير أَرْضعت رجالاً من الأوس، فلما أمر النبي بإجلانهم قال أبناؤهم من الأوس: لنذهبن معهم ولندينن دينهم، فمنعهم أهلهم وأكرهوهم على الإسلام، ففيهم نزلت هذه الآية لا إكراه في الدين.

وأخرج ابن جرير عن الحسن. أن ناساً من الأنصار كانوا مسترضعين في بني النضير، فلما أجلوا أراد أهلهم أن يلحقوهم بدينهم، فنزلت لا إكراه في الدين.

وأخرج ابن اسحاق وابن جرير عن ابن عباس في قوله لا إكراه في الدين قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية، فأنزل الله فيه ذلك.

وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن عبيدة أن رجلاً من الأنصار من بني سالم بن عوف كان له ابنان تنصرا قبل أن يبعث النبي، فقدم المدينة في نفر من أهل دينهم يحملون الطعام، فرأهما أبوهما فانتزعهما وقال: والله لا أدعهما حتى يسلموا، فأبيا أن يسلموا، فاختموا إلى النبي فقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فأنزل الله لا إكراه في الدين... الآية. فخلى سبيلهما.

1 <https://goo.gl/wDtXGN>2 <http://goo.gl/JKOUdD>

وأخرج أبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر عن السدي في قوله لا إكراه في الدين قال: نزلت في رجل من الأنصار يقال له أبو الحصين، كان له ابنان، فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا، فرجعا إلى الشام معهم، فأتى أبوهما رسول الله فقال: إن ابني تنصرا وخرجا فاطلبهما؟ فقال لا إكراه في الدين ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب، وقال: أبعدهما الله، هما أول من كفر، فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما، فنزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم... النساء: 65 الآية. ثم نسخ بعد ذلك لا إكراه في الدين وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال: وذلك لما دخل الناس في الإسلام، وأعطى أهل الكتاب الجزية.

وأخرج عبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير عن قتادة في الآية قال: كانت العرب ليس لها دين، فأكروها على الدين بالسيف، قال: ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس إذا أعطوا الجزية.

وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن في قوله لا إكراه في الدين قال: لا يكره أهل الكتاب على الإسلام.

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن وسق الرومي قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب، فكان يقول لي: أسلم فإنك لو أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين، فإني لا أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم، فأبيت عليه فقال لي: لا إكراه في الدين.

وأخرج النحاس عن أسلم. سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي تسلمي، فأبت فقال عمر: اللهم اشهد ثم تلا لا إكراه في الدين.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن سليمان بن موسى في قوله لا إكراه في الدين قال: نسختها جاهد الكفار والمنافقين التوبة: 73.

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن حميد الأعرج. أنه كان يقرأ قد تبين الرشد وكان يقول: قراءتي على قراءة مجاهد.

وأخرج الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال الطاغوت الشيطان.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله. أنه سئل عن الطواغيت قال: هم كهان تنزل عليهم الشياطين.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال الطاغوت الكاهن.

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال الطاغوت الساحر.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس قال الطاغوت ما يعبد من دون الله.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس فقد استمسك بالعروة الوثقى قال: لا إله إلا الله.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك في قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال: القرآن.

وأخرج سفيان وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله بالعروة الوثقى قال: الإيمان. ولفظ سفيان قال: كلمة الإخلاص.

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن سلام قال رأيت رؤيا على عهد رسول الله، رأيت كأنني في روضة خضراء، وسطها عمود حديد، أسفله في الأرض وأعلاه في السماء، في أعلاه عروة فقيل لي: اصعد عليه فصعدت حتى أخذت بالعروة، فقال: استمسك بالعروة فاستيقظت وهي في يدي، فقصصتها على رسول الله فقال: أما الروضة فروضة الإسلام، وأما العمود فعمود الإسلام، وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام حتى تموت.

وأخرج ابن عساکر عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر وعمر، فإنهما حبل الله الممدود، فمن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس قال: القدر نظام التوحيد، فمن كفر بالقدر كان كفره بالقدر نقصاً للتوحيد، فإذا وحد الله وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل. أنه سئل عن قوله لا انفصام لها قال: لا انقطاع لها دون دخول الجنة.

### فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين أي: على الدخول فيه أي: فمن أعطي الجزية لم يكره على الإسلام فهو عام مخصوص بأهل الكتاب.

لما روي أنّ أنصارياً كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما فأبياً، فاختصموا إلى رسول الله فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فنزلت وقيل: عام منسوخ، فكان هذا في الابتداء قبل أن يؤمر بالقتال فصارت الآية منسوخة بآية السيف، قاله ابن مسعود: قد تبين الرشد من الغي أي: ظهر بالآيات البيّنات أنّ الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية، وأنّ الكفر غيّ يؤدي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان، طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، فلم يحتج إلى الإكراه والإلجاء فمن يكفر بالطاغوت أي: فمن اختار الكفر بالشيطان أو الأصنام ويؤمن بها أي: بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى أي: تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين لا انفصام أي: لا انقطاع لها.

قال التفتازاني: شبه التدين بالدين الحق، والثبات على الهدى والإيمان بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبل المحكم المأمون تقطعها، ثم ذكر المشبه به وأراد المشبه وقال الزمخشري: وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوّره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والنتيقن به اه.

والوثقى تأنيث الأوثق، وقيل: العروة الوثقى السبب الذي يتوصل به إلى رضا الله تعالى وسميع لما يقال: عليم بالنيات والأفعال وقيل: سميع لدعائك إياهم إلى الإسلام عليم بحرصك على إيمانهم.

1 <http://goo.gl/M9eje0>

2 <http://goo.gl/fvF7ni>

## فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين جملة مستأنفة جيء بها إثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للإيمان به وحده إيداناً بأن من حق العاقل ألا يحتاج إلى التكليف والإلزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلثم وقيل: هو خبر في معنى النهي أي لا تُكروهوا في الدين فقيل: منسوخ بقوله تعالى: جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلظْ عَلَيْهِمُ التوبة: 73، التحريم: 9 وقيل: خاص بأهل الكتاب حيث حصنوا أنفسهم بأداء الجزية وروى أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا إلى رسول الله فنزلت فخلأهما قد تبين الرشد من الغي استئنافاً تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل: قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا الكهف، الآية 76 أي إذ قد تبين بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الإيمان الذي هو الرشد الموصل إلى السعادة الأبدية من الكفر الذي هو الغي المؤدي إلى الشقاوة السردية فمن يكفر بالطغوت هو بناءً مبالغة من الطغيان كالمكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل: هو في الأصل مصدر وإليه ذهب الفارسي وقيل: اسم جنس مفرد مذكر، وإنما الجمع والتأنيث لإرادة الإلهة وهو رأي سيبويه، وقيل: هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل: يستوي فيه المفرد والجمع والتذكير والتأنيث أي فمن يعمل إثر ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات البينة ويكفر بالشيطان أو بالأصنام أو بكل ما عبد من دون الله تعالى أو صد عن عبادته سبحانه تعالى لما تبين له كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الألوهية به عز وجل الموجبة للإيمان والتوحيد، وتقديم الكفر بالطاغوت على الإيمان به تعالى لتوقفه عليه فإن التخليّة متقدمة على التحلية فقد استمسك بالغروة الوتقى أي بالغ في التمسك بها كأنه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه لا انفصام لها الفصم بغير صوت كما أن القصم هو الكسر بصوت، ونفي الأول يدل على انتفاء الثاني بالأولوية، والجملة إما استئنافاً مقرر لما قبلها من وثاقة الغروة وإما حال من العروة والعامل استمسك أو من الضمير المستتر في الوتقى ولها في حيز الخبر، أي كائن لها والكلام تمثيل مبنّي على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض أصلاً لثبوتها بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الجسدية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز أن تكون العروة الوتقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الإيمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي إليه كما قيل فإنه غير مذكور في حيز الشرط، والاستمسك بها مستعارة لما ذكر من الملازمة أو ترشياً للاستعارة الأولى والله سميع بالأقوال عليهم بالعزائم والعقائد، والجملة اعتراض تذييلي حامل على الإيمان رادع عن الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد.

<https://goo.gl/7C6zeW>

1

<http://goo.gl/0kJ1mM>

2



### فقرات من التفسير

المقالة الثانية عشرة:

في قوله سبحانه: لا إكراه في الدين

وفيه أطوار:

الطور الأول

في اللفظ اللام في الدين إما أنه لام العهد كما ذهب إليه بعض، أو أنه بدل من الإضافة كما رآه آخرون، وهو مثل قوله تعالى:

فإن الجنة هي المأوى النازعات: 41. أي: مأواه، والمراد في دين الله.

والدين معناه في الأصل: العادة والشأن، ودانته: أدلته واستعبده، يقال: دنته، فدان، ثم استعمل بمعنى الجزاء: دانه ديناً، أي: جزاه، يقال: ما تدين تدان أي: كما تجازي تجازى بفعلك وبحسب ما عملت، وقوله تعالى: أئبنا لمدينون

الصفات: 53. أي: مجزيون، ومنه: الدين في صفة الله، وقوم دين أي: دايون، والمدين: العبد. والمدينة: الأمة كأنهما أدلها العمل ودنته: ملكته، ومنه سمي المصير المدينة ثم استعمل بمعنى الطاعة، ودان له: أطاعه، ومنه الدين، والجمع: الأديان وقد دان بكذا، ديانة وتدين به، فهو دين ومتدين.

الطور الثاني

في المعنى

والتحقيق فيه: أن الدين في الحقيقة، هو التسليم والرضا الحاصلين بسبب العقائد العلمية التي وقعت بإفاضة الله على القلب المطمئن بالإيمان لمناسبة ذاتية، أو كسبية بمزاولة الأفكار والأنظار في طلب الكشف واليقين، وكما أن العلوم الضرورية تحصل في القلب بمجرد الإفاضة من غير إكراه وجبر، فكذلك العلوم النظرية والمعارف الإلهية إنما تحصل عقيب المبادئ والمقدمات الإلهامية، أو التعليمية بمجرد الإلقاء في الروح، والتأثير في الباطن، والقذف في القلب من غير إجبار في الظاهر وإكراه في القلب.

وذلك لأن الدين أمر باطني، ولا تسلط لأحد على باطن الإنسان وقلبه إلا للواحد الحق، من جهة المناسبات الذاتية، والقربات المعنوية، والمواجيد الذوقية، والمكاشفات الشوقية، والتجليات الإلهية، وقد ورد في الخبر: إن الله تعالى إذا تجلى لشيء خضع له باطنه وظاهره. وفي الحديث النبوي: ليس الدين بالتمني.

مع أن التمني نوع من الاختيار، فكيف يحصل بالإكراه - وهو الإكراه - وذلك لأن الدين هو الاستسلام لأوامر الشرع ظاهراً، والتسليم لأحكام الحق تعالى باطناً من غير حرج في الباطن، كقوله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام آل عمران: 19. وقوله: فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم النساء: 65.

1 <https://goo.gl/ILXf92>

2 <http://goo.gl/BvuQJ1>

## الطور الثالث

فيما سنح لنا بالبال في تحقيق المرام وفي انتظامه بما سبق من الكلام إنَّ الله سبحانه وتعالى بعدما بيَّن معارف التوحيد الذاتي، والصفاتية، والأفعالية بوجه شاف كاف متعال، أراد أن يشير إلى طريق العبودية لهذا المعبود الموصوف بغاية الجمال والجلال، المنزَّه عن المماثل في الكمال والشريك في الأفعال، فأشار إلى مقام الرضا الذي هو من لوازم المعرفة، واليقين، والبصيرة التامة، في أمر الدين، وهو أعلى مراتب العابدين قبل حصول الفناء، وأجلَّ مراتب العارفين الصديقين في هذه الحياة الدنيا حين بقاء الوجود فيهم بعدُ، وعدم اندكاج جبل هويتهم في ملاحظ الهوية الأولى، فقال: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

فإنَّ من كان بعد متكافئاً في الدين ثقيلاً عليه حمل أعبائه، متأدياً بالعبادة غير منخسح القلب ولا سهل الانقياد سلس الإجابة للطاعة، ولا طَوْعاً للشريعة من غير كره وانقباض، فهو بعدُ أسير الهوى والرغبات، عابد أصنام الشهوات، وإنَّما يعبد الله ويدعوه تقرباً به إلى نيل مراده، وجاعلاً إتياء وسيلة إلى راحة ذاته، فهو بالحقيقة مستخدم ربه، ومستعبد معبوده تعالى الله عنه.

ومثل هذا الإنسان لا محالة غير عارف بالمبدأ الأعلى، بل حاله شاهد على أنَّ إلهه هواه ومعبوده نفسه، فما دام على هذه الحالة فهو غير واصل إلى مرتبة العبادة والمعرفة، فتارة يعتريه الخوف، وتارة يسليه الرجاء، وفي بعض أوقاته من الجفاء يلجأ إلى باب الصبر، وفي بعضها يستزيد النعم بالشكر.

فإذا ارتقى من هذه المنزلة إلى درجة الرضا والتسليم، استراح من جميع ذلك، فلم يحتج إلى جذب مطلوب له، أو دفع مهروب عنه، فلا يبقى له كراهة في الدِّين ولا أذية في سلوك طريق المسلمين، كما ورد في الحديث أول الإسلام إماطة الأذى عن الطريق يعني: أول درجات الإسلام الحقيقي مقام الرضا بالقضاء من غير إكراه، بأن ينظر المرء إلى جميع المخلوقات بعين الرضا، ويجد في نفسه في جميع ما يسمى بالتكاليف الدينية حالة الارتضاء، وذلك باب الله الأعظم، وبه يدخل السالك في التدبُّين بدينه الذي هو معرفة التوحيد المشار إليه آنفاً والعمل بمقتضاه.

وإنَّما قلنا إنه أول الدرجات لأنَّ هذه المرتبة قاصرة عن مراتب الكاملين الواصلين إلى أدنى حدٍّ من حدود الكمال، فإنَّ الراضي يدعي أنَّ له وجوداً مقابل لوجود المرضي عنه، وله مجال تصرف قد تركه باختياره، وذلك يستلزم دعوى الشركة في الوجود والتصرف، تعالى الله عن أن يكون له شريك، أو معه متصرف.

فإن ارتقى من هذه الدرجة ووصل إلى مقام الفناء المحض، ومحو الأثر، الذي هو منزل أهل الوحدة المطلقة - لا أقول التوحيد فإنَّه طلب وحدة قسرية، ولا الاتحاد فإنَّه وإن كان بالطبع لا بالقسر لكن تفوح منه راحة الكثرة - لا يتلفت مثله إلى مقام الرضا والتسليم، بل مقامه في العبودية والإخلاص المحض، وأخلص من أن يكون له ثبوت حتى يمكن اتصافه بالكمال، وأن يكون له هوية حتى يصير منعوتاً بنعوت الجمال والجلال، بل هناك ينقطع السلوك والسالك وينعدم الوصول والواصل وأنَّ إلی رَبِّكَ أَلْمُنْتَهَى النجم: 42 إِنَّ إلی رَبِّكَ أَلْرُّجَعی العلق: 8.

## الطور الرابع

قال أبو مسلم والقائل المعتزلي: ان الله ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنَّما بناه على التمكَّن والاختيار.

وفيه نظر: لأنَّ الإيمان أصله الاعتقاد الثابت الجازم، وهو مما لا يكون للاختيار فيه مدخل، لأنه نفس العلم، والعلم كسائر الأحوال القلبية يحصل بإفاضة الله من غير فاعل متوسط، ولا يحصل بالاختيار - كما يحكم به الوجدان الصحيح - ولا يلزم من كونه لا بالاختيار أن يكون حصوله بالإجبار ليكون منافياً لما يستفاد من قوله تعالى: لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

وذلك لأنَّ الروح الإنساني من عالم الأمر، والتصورات الكلية والاعتقادات اليقينية (القلبية - ن) أمور موجودة في عالم الأمر، وكل ما يكون في عالم الأمر فهو أرفع وأجل من أن يكون حصوله بطريق الجبر والاختيار، بل على سبيل الرضا، والفعل الحاصل بالرضا ما يكون وجوده عين المشيئة، والمحبة، والعشق، والشوق.

نعم يمكن الاعتذار من طرف هذا القائل بناء على مذهبه من الاعتزال، بأن تكون الأعمال جزء الإيمان، وهي كفعل الطاعات - من الصلاة والصوم، والزكاة، والحج، والكفارات، وغيرها وترك المناهي الشرعية - والكل أفعال اختيارية لا إجبار فيه، لكن يرد عليه أنَّ الإكراه غير الإجبار، لكون أحدهما طبيعياً والآخر نفسانياً، فنفي أحدهما يستلزم نفي الآخر، بل الأعمال الشرعية كالصلاة والزكاة وغيرهما - لو أهملها المكلف استحق للإكراه والزجر، بل القتل، فكيف لا يجري فيها الإكراه، ولهذا قيل: الآية منسوخة.

والأولى أن يقال: إنَّ الله سبحانه لما بيّن دلائل التوحيد بيانياً شافياً قاطعاً للعدر، قال بعد ذلك إنَّه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر، إلا أن يقصر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا - التي هي دار الابتلاء - إذ في القهر والإكراه على الدين يبطل معنى الابتلاء والامتحان.

ونظير هذا قوله تعالى: **فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ الكهف:29**. وقال في سورة أخرى: **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يونس:99**. وقال في سورة الشعراء: **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ مِنْ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ الشعراء:3-4**. ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية: **قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** يعني ظهرت البراهين وانكشفت الحجج والبيّنات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر، والإكراه، والإلجاء، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف في هذه الدنيا.

الطور الخامس

في ذكر أقوال المفسرين فيه

وهي عدة أقوال:

الأول: إنه في أهل الكتاب خاصّة، الذين يؤخذ منهم الجزية، لأنهم لما قبلوا الجزية سقط القتل، وحكم المجوس حكمهم، لأنَّ لهم شبه كتاب، وأما الكفار الذين تهوّدوا أو تنصّروا فقيل: إنهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الإسلام.

وقيل: يُقَرُّون على ما انتقلوا إليه ولا يكرهون.

الثاني: إنها نزلت في قوم خاص من الأنصار، فقيل: إنه رجل منهم كان له غلام أسود يقال له: صبيح وكان يُكرهه على الإسلام - عن مجاهد.

وقيل: نزلت في رجل من الأنصار يدعى أبا الحصين وكان له ابنان، فقدم تجار الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الرجوع من المدينة أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية، فتنصّرا وخرجا إلى الشام، فأخبر أبو الحصين رسول الله فأنزل الله سبحانه: **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** فقال رسول الله: أبعدهما الله، هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما، فأنزل الله سبحانه: **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ** النساء:65 الآية. وبطريق آخر روي أنَّه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصّروا قبل أن يبعث رسول الله، ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا. فاختموا إلى رسول الله فقال الأنصاري: يا رسول الله يدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فنزلت، فخلاهما.

القول الثالث: إنها في جميع الكفار، وكان هذا قبل أن يؤمن النبي بقتال أهل الكتاب، ثم نسخ وأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة وهو قول السدي: وهكذا نُقل عن ابن مسعود وابن زيد أنها منسوخة بآية السيف وقال الباقر: إنها محكمة.

القول الرابع: إن معنى قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ أَي: لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرهاً لأنه إذا رضي بعد الحرب، وصح إسلامه فليس بمكروه، ومعناه: لا تنسبوه إلى الإكراه، فيكون كقوله: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَامًا لَسْتُمْ مُمِئِنًا النَّسَاء 94.

القول الخامس: إن المراد ليس في الذين إكراه من الله سبحانه، ولكن العبد مخير فيه، لأن ما هو دين في الحقيقة هو من أفعال القلوب، إذا فعل لوجه وجوبه، فأما ما يكره عليه من إظهار الشهادتين فليس بدين حقيقة، كما أن من أكره على كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان لم يكن كافراً، والمراد الدين المعروف وهو الإسلام ودين الله الذي ارتضاه، وهذا الوجوب قريب مما ذكرناه سابقاً.

المقالة الثالثة عشرة:

في قوله سبحانه: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

وفيه رشحات:

الرشحة الأولى

في اللغة

يقال: بان الشيء واستبان وتبين إذا ظهر ووضح، ومنه المثل: قد تبين الصبح لذي عينين وقال بعض العلماء: عندي أن الإيضاح والتعريف إنما سمى بياناً لأنه يوقع الفصل والبيونة بين المقصود وغيره.

والرشد في اللغة معناه إصابة الخير وفيه لغتان، رَشَدَ يَرشُدُ رُشْدًا، والرَّشَادُ مصدر أيضاً كالرُّشْدِ. والغَيُّ نقيض الرشد، يقال: غوى يغوي غيًّا وغيوية، إذا سلك غير طريق الرشد.

الرشحة الثانية

في انتظامه بما سبق لما ذكر الدين وأنه لا يحصل بالإكراه شرع في شرح ماهيته وقال: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أَي: وضح انكشف مما ذكر سابقاً من شواهد المعرفة، أن الدين الحقيقي الذي هو سلوك سبيل الله، وقطع المنازل، والمراحل التي بين العبد ومولاه المسمى بالرشد والهدى من الضلال الحقيقي الذي هو سلوك سبيل الشيطان والهوى وهو المسمى بالغيوية والغى.

ووجه هذا التبيين والانكشاف أن طريق الحق ليس إلا واحداً، وطرق أهل الضلال وإن كانت مختلفة متكثرة لا يمكن إحصاؤها، لكن إذا عرف هذا الواحد، وانكشف لدى العارف البصير بالبصيرة الباطنة أنه طريق الحق، يتبين ويتحقق أن ما سواه طريق الضلال.

فجميع طرق الضلال تعرف بمجرد معرفة طريق الحق، إذ يصدق على كل منها أنه غير الحق فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ يونس: 32 ولهذا ورد عن النبي: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة وهذا العدد المعين لما سوى الفرقة الناجية إنما هو بحسب الأجناس الكلية، وإلا فهي بحسب الخصوصيات غير محصورة كما مر، ومع هذا من عرف طريق النجاة يعمل أن غيره طريق الهلاك.

الرشحة الثالثة

في تحقيق معنى التبيين في هذا المقام

إعلم أن معنى تبيين الرشد من الغي تميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر بحسب الواقع، وبما يلزم من الحجج والبيانات الدالة، والبراهين الواضحة عند من نظر وتدبر في تلك الأدلة والبراهين، لا أن كل مكلف منتبه به، لأن ذلك خلاف ما هو المعلوم من حال أكثرهم، لأنهم إما جهال محض وإما مقلدون والمقلد كالجاهل في عدم كونه عارفاً بصيراً، ويمتاز عنه في كونه معتقداً، ودرجة المعرفة فوق الاعتقاد، لأنها مما يحصل معها الانسراح الباطني، والمشاهدة المعنوية دون اعتقاد المقلد، إذ لا انسراح ولا اطمئنان معه للقلب، وإنما الفائدة فيه مجرد الاتباع للقائد العارف في صورة

الأعمال الشرعيّة والأوضاع الدينيّة، الموجبة لرياضة القوى البدنيّة، وتطويع النفس الأمانة لنلا  
تصول على النفس المطمئنة.

وبذلك يحصل للنفس الإنساني الامتياز عن سائر النفوس الحيوانية التي لا معاد لها في الآخرة،  
وعن النفوس الشقيّة المتمردة عن طاعة الشريعة التي لها العقوبة الأخرويّة، وذلك لأنّ الاقتداء بأهل  
الكمال - ولو في صورة الأعمال - مع خلوّ النفس عن رذائل الأوصاف وقبائح الأعمال، وسداجة  
القلب عمّا يضاد، ونيل الرحمة من المبدأ الفعّال مع صدق النية، وصفاء الطويّة، يوجب أن ينال  
المقتدي نصيباً من السعادة الأخرويّة، واللذات الأجلّيّة التي للعارفين، وأن تنتور ذاته بنور المتابعة  
لهم والانخراط في سلوكهم، والاستسعاد بسعادتهم على نهج التبعية والعرض - لا على وجه الاستقلال  
- إذ السعادة الحقيقيّة منوطه بالمعرفة الحقيقيّة، بل هي عينها، فحيث لا استقلال في المعرفة لا  
استقلال في السعادة، ولكن بحسب من تشبهه يقوم فهو منهم كان للمتشبه بأهل الكمال - بقدر تشبهه  
بهم - ضرباً من السعادة في المال. والله الهادي إلى طريق الصواب وبه الاستعادة من الضلالة  
والغواية في سبيل الآخرة والمآب.

المقالة الرابعة عشرة:

في قوله سبحانه: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا  
وفيه تحقيقات:

التحقيق الأول

في اللّغة

قال النحويون: الطاغوت على وزن فعلوت، نحو جبروت ورحموت والتاء زائدة فيه، وهي مشتقّة  
من طغى وتقدره طغوت إلا أنّ لام الفعل قلب إلى موضع العين كعادة العرب في القلب نحو:  
الصاعقة والصاقعة، ثم قلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها.

وصاحب مجمع البيان رحمه الله على أن أصلها طغيوت بدل من الياء يدل على ذلك قوله تعالى:

فِي طُغْيَانِهِمْ

البقرة: 15. ثم إنّ اللام قدمت إلى موضع العين فصارت طيغوت ثم قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح  
ما قبلها فصار طاغوت فوزنها الآن بعد القلب فلغوت.

وجمع طاغوت: طواغيت وطواغت وطواغ - على حذف الزيادة - والطواغي - على العوض ممّا  
يحذف.

قال المبرّد في الطاغوت: الأصوب أنّه جمع قال أبو علي الفارسي: ليس الأمر عندي كذلك بل هو  
مصدر كالرغبت، والرهبوت، والملكوت، وكما أنّ هذه الأسماء أحاد كذلك هذا الاسم مفرد وليس  
بجمع، وممّا يدلّ على ذلك أنّه يفرّد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وهم عدل ولهذا قال تعالى:  
أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ البقرة: 257.

وقالوا: وهذا اللفظ يقع على الاحد وعلى الجمع، أمّا في الواحد فكما في قوله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ  
يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ النساء: 60. وأمّا في الجمع فكما في قوله تعالى:  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ البقرة: 257.

وقالوا: الأصل في التكثير، فأما قوله تعالى: وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا الزمر: 17. فإنمّا  
أنّنت إرادة الألهة. ويقال: استمسك بالشيء إذا تمسك به.

والعروة واحدة العراء، نحو عروة الدلو، وعروة الكوز، وإنما سمّيت بذلك لأنّ العروة عبارة عن  
الشيء الذي يتعلّق به.

والوثقى فعلى أوثق وهو من باب استعارة المحسوس للمعقول، لأن من أراد إمساك شيء يتعلق بعروته، فكذا هاهنا من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالأدلة الدالة عليه على وجه اليقين، ولما كانت دلالات الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها، وأمتنها لا جرم وصفها سبحانه بأنها العروة الوثقى. والفصم هو كسر الشيء من غير إبانة، والانفصام: مطاوع الفصم يقال فصمته، فانفصم والمقصود منه المبالغة، لأنه إذا لم يكن للشيء انفصام فبان لا يكون لها انقطاع أولى.

#### التحقيق الثاني

في معنى الطاغوت وفيه أقوال:

أحدها: إنه الشيطان عن مجاهد وقتادة، وهو المروي عن أبي عبد الله جعفر الصادق.

وثانيها: إنه الكاهن عن سعيد بن جببر.

وثالثها: إنه الساحر عن أبي العالية.

ورابعها: إنه مرده الجن والإنس وكل من يطغى.

وخامسها: إنه الأصنام وما عبد من دون الله.

وعلى الجملة: من كفر بما خالف أمر الله ويؤمن بالله ويصدق بما جاءت به رسله - صلوات الله عليهم - والوجه فيه أنه لما حصل الطغيان عند الاتصال بهذه الأشياء فكانت أسباباً للطغيان كما في قوله تعالى: رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ إبراهيم:36.

وسادسها: إنه هو النفس وهو أقرب المبادئ المغوية للإنسان، إذ ما أضله مضلّ، وما أغواه مغوٍ عن الصراط المستقيم إلا بواسطة ميله وهواه إلى ما يرغب إليه ويعبده، بل لا يعبد الإنسان معبوداً غير الله إلا بتبعية عبادة عادته وهواه، كما في قوله تعالى: أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ.

الجاثية:23 وفيما روي عن النبي: ثلاث مهلكات، شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه إشارة إلى ما ذكر، حيث وصف الأوليان بالمطاع والمتبع، وأصرح من ذلك ما روي عنه: ما عبد معبود في الأرض مثل الهوى.

وسابعها: إنه عالم الهوى ونشأة الدنية التي هي دار الشهوات المهلكة ودار الغرور بالخيالات المغوية، والأمني التي لا حاصل لها إلا خسران الآخرة: كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الْطَّمَانُ مَاءَ النُّورِ:39 الآية. وثامنها: إنه جهة الإمكان والنقصان في الممكنات التي هي حال الماهيات بحسب ذاتها - بخلاف جهة الجوب والوجود التي هي حالتها الفائضة عليها من المبدأ الأعلى تعالى - فالأوصاف الذميمة، والأفعال القبيحة كلها، إنما نشأت من الممكن بواسطة الجهة التي له بالقياس إلى نفسه، والأخلاق الحسنة والطاعات كلها إنما نشأت منه بواسطة الجهة التي له بالقياس إلى ربه، فبحسب غلبة إحدى الجهتين كان الغالب الصفات والأفعال التي بواسطتها، والمغلوب ما يقابلها.

فمن يكفر بالطاغوت - أي بالالتفات إلى محبة نفسه، والاهتمام بجلب ما يلدّها ودفع ما يكرهها - فقد استمسك بالعروة الوثقى التي هي الإقبال إلى جنبه الحق والإعراض عن جنبه الباطل، لأن ذلك يوجب وجدان روح الوصال ونعيم الاتصال والخلاص عن ألم الافتراق وجهنم القطيعة والانفصال. وهذا الوجه قريب المأخذ من السابع، كيف والهولي أيضاً منبعها الإمكان لأنها إنما صدرت من الوسائط العقلية بواسطة جهة الإمكان فيها - على ما ذكروا في ترتيب الوجود.

والفرق بين الإمكان والهولي بعد اشتراكهما في كونهما منبع النقاىص والآفات أنّ نفس الإمكان الذاتي مبدأ النقاىص الفطرية التي بحسب أصل الماهية النوعية مع قطع النظر عن خصوصيات الأشخاص، وأنّ النقصان الذي منشؤه مجرد الإمكان - أو بحسب تضاعفه - الذي هو من لوازم الماهية التي لا يمكن زوالها وانجبارها، ولهذا لا يعدونه شرّاً لكونه ملائماً لتلك الماهية غير غريب عنها، وليس كالآفة والمرض اللاحق، وأمّا الهولي والجسميّة - التي تجري مجراه عند قوم - فهي مبدأ النقاىص الشخصية كالنشويهاات في الخلقة أو ذمائم الصفات في النفس كالجهل والبخل والقساوة

وغيرها، أو قبائح الأفعال كالزنا واللواطه والسرقه وأمثالها، فإن منشأ الكل هو التعلق بهذا البدن المادي، ولكن يمكن إزالتها بتهذيب النفس وفعل الخيرات وتبديل السيئات بالحسنات، بقبول المواعظ والحكم، واستماع الآيات والأحاديث على وجه التدبر فيها عن الإصغاء، وإجابة دعوة الأنبياء فيما جاؤوا به، والافتداء بالأئمة الهادين المهديين المعصومين عن الخطأ - سلام الله عليهم من الملك الأعلى..

وملاك الأمر في جميع ذلك هو قطع التعلق عن الدنيا، ورفض عالم الهيولي؛ لتزوين الروح بالمعارف الحققة الإلهية، والمعالم اليقينية الدينية التي هي السعادة العظمى.

فقوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ إِشَارَةٌ إِلَى ذَلِكَ الْقَطْعِ وَالرَّفُضِ، وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَزْيِينِ النَّفْسِ بِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ الْأَوَّلِ بِمَا لَهُ مِنْ نَعْوَتِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ، وَكَيْفِيَّةِ صَدُورِ أَعْمَالِهِ وَأَثَارِهِ فِي الْبَدْوِ وَالْإِعَادَةِ، فَالْأَوَّلُ تَخْلِيَّةٌ وَالثَّانِي تَحْلِيَّةٌ.

فبهذين الوسيلتين أي التخلية والتحلية استمسك الإنسان بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وهو مجاورة الحق الأول والانخراط في سلك مقربيه من أهل الجبروت والملكوت.

وتاسعها: القوة الوهمية التي هي أعظم جنود الشيطان، إذ بوسيلتها يتصرف الشياطين بالإغواء والإضلال في نفوس الإنسان، وسيأتيك لهذا المعنى وجه إن شاء الله تعالى.

التحقيق الثالث

في معنى الإيمان بالله

إعلم أن المراد به الإيمان بحقيقة الله تعالى، وحقيقة ملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر لقوله تعالى: **أَمَنْ أَلْرَسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ أَمَنْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ الْبَقْرَةَ: 285.** وأما الاعتقاد بحقيقة الله فهو الإيمان بوجوده، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه.

أما الإيمان بوجوده:

فهو أن يعلم أن رواء المتحيزات بل الممكنات موجوداً قديماً قادراً - أي واجباً بالذات صانعاً للعالم - وذلك بالنظر إلى حقيقة الوجود المعلوم بوجه ما، وأن له فرداً موجوداً بذاته، والألزم تقدم الشيء على نفسه، أو وجود الممكن من غير سبب، إذ جميع الممكنات في حكم ممكن واحد في خلق ذاته عما يوجب الاتصاف بالوجود، فبملاحظة خلق ذات الممكن وعريه عن طبيعة الوجود ذاتاً واقتضاءً واستلزماً، وملاحظة استحالة كون المحال قابلاً للوجود، يحكم العقل الصافي عن المحذورات والأمراض النفسانية بوجود القيوم المستغني عما سواه كما قال تعالى: **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ آل عمران: 18** وكقوله: **أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ فصلت: 53.**

وبالنظر إلى العالم وطبائع الحركات والمتحركات، ودقائق الصنع العجيب والنظم الغريب في الممكنات، كما أرشده الله في القرآن - وليس فوق بيان الله ورسوله بيان - فقال: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً النبا 6-7** - إلى قوله - **وَجَنَابِ الْأَفَافِ النبا: 16.** وقال تعالى: **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.... يَعْقِلُونَ البقرة: 164.** وقوله تعالى: **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقاً \* وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً نوح 15-16** - إلى قوله - **إِخْرَاجاً نوح 18.** وليس يخفي على من له أدنى مسكة إذا تأمل بأدنى فكرة، مضمون هذه الآيات وأدار نظره على خلق السماوات والأرض وعجائب فطرة الحيوان والنبات - فضلاً عن خلقه الأدمي الكامل بالكمال العلمي والعملية - أن هذا الأمر العجيب، والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره، وفاعل يحكمه، بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيريه ومصروفة بمقتضى تدبيره، ولذلك قال تعالى: **أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِبْرَاهِيمَ 10** فمن غفل عن هذا كان ركباً على متن الجهل، وراكناً عن نهج العقل.

وأما الاعتقاد بصفاته:

والصفات إمّا سلبية وإمّا ثبوتية:

فأما السلبية فهي أن تعلم أنه مجرد، مقدّس عن جميع ضروب التركيب في أي ظرف كان، لأنّ التركيب يستلزم الإمكان وينافي الجوب، والواجب تعالى كما أنّه واجب الوجود بالذات - بحسب الواقع - فكذا هو واجب الوجود في جميع الشؤن والجهات والأوعية والنشآت الذهنية والخارجية، فيتقدس عن الكثرة والتركيب - ولو من الأجزاء المحمولة - ويلزم الوحدة ولو في العقل، على أنه يتعاضد عن أن يدخل في وهم أو عقل، ليتصرف فيه الذهن بالتحليل والتقسيم.

ولاستلزام الأجزاء العقلية، الجنسية، والفصلية، كون الشيء ذا ماهية كلية يعرضها الوجود - والواجب بحت الوجود كما مرّ - فليس مندرجاً تحت نوع أو جنس لكونه محض التعيين الممتنع اشتراكه بين أمرين، فهو ليس كلياً ولا جزئياً إضافياً.

ومن هاهنا ينكشف أيضاً أنه ليس بجوهر - سواء كان متحيزاً أو مجرداً - ولا بعرض - سواء كان كمّاً أو كيفاً أو إضافة - فلا يكون حالاً في شيء وإلا لكان عرضاً أو صورة جوهرية. ولا يكون محلاً وإلا لكان إمّا مادة متقوّمة في تحصلها النوعي بما يحل فيها، أو موضوعاً متقوماً في شخصيته، أو في كمال شخصيته بما يحلّ فيه. ولا متغيراً وإلا لكان جسماً متحركاً زمانياً أو حالاً فيه كالقوى، أو مباشراً له في التدبير والتحريك مستكماً به كالنفوس والتوالي بأسرها باطلة فكذا المقدم.

والانفعالات والتغيرات التي يسندونها إلى ذاته تعالى كلها إطلاقات مجازية تسند إليه تعالى باعتبار الغاية - كالرحمة والغضب، والعفو والانتقام، والابتلاء والامتحان، وغير ذلك - فلو كان جائز الاتصاف بالغضب - مثلاً - لكان أزلاً وأبداً غضبان، بل يكون عين الغضب، وعلى هذا يتمتع عليه الرحمة المقابلة له مطلقاً.

فإن قلت: هذا الاعتقاد يبتني على الإيمان بعالم الملكوت، فمن لا يفهم ذلك - كالعوام - أو يجده - كأهل الكلام - فما طريقه؟

قيل: أمّا الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال: إنكارك لعالم الملكوت إنكارك لعالم الجبروت، كالذين حصروا العلوم فيما يدرك بالحواس الخمس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم، لأنها لا تدرك بالحواس الخمس ولازموا حضيض عالم الشهادة.

فإن قال: وأنا منهم فإني لا أهندي إلا إلى عالم الشهادة، ولا أعلم شيئاً سواه. فيقال له: إنكارك لما شاهدنا مما وراء المحسوسات، كإنكار السوفسطائية للحواس الخمس ومحسوساتها، فإنهم قالوا: ما نراه لا نتق به، فلعلنا نراه في المنام. فإن قال: وأنا من جملتهم فإني شاكّ أيضاً في المحسوسات.

فيقال: هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فيترك، فما كل مرض يقوى على علاجه الأطباء، ولا كل داء له دواء، بل ربّ داء أعيت الأطباء في تحصيل الدواء.

وأما الذي لا يجحد، فإن كانت عينه التي يشاهد بها عالم الملكوت صحيحة في الأصل نزل فيها ماء أسود لا اعتياده بملاحظة عالم الظلمات، فيمكن الاشتغال بتنقيته - اشتغال الكحلّ بالعيون الظاهرة - وإن كان غير قابل للعلاج - لكونه مختوماً على قلبه - فلا يمكن أن يسلك فيه سبيل التوحيد العقلي، بل يكلم معه بكلام التوحيد ويكفّ بالتتطق بشهادة التوحيد رداً لذروة التوحيد إلى حضيض فهمه، وهذا هو التوحيد اللائق بحال القاطنين في عالم الشهادة، فإنّ للتوحيد مراتب، بحسب كل عالم مرتبة.

وتوحيد عالم الشهادة أن يعلم الرجل الحاسي أنّ المنزل يفسد بصاحبين والبلد يهلك بأمرين، فيقال له على حدّ عقله الذي هو بمنزلة حسّ أهل العلم: إنّ إله العالم واحد إذ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فيكون ذلك هو اللائق بقدر عقله، وقد كُلف الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم.

وأما الصفات الثبوتية:



فإن من يعلم أن الموجود الواجب نسبته إلى جميع الممكنات نسبة واحدة لا يعجز عن بعض دون بعض - بل كلما كان أعظم وجوداً وأعلى رتبة، صدر منه أقدم مما يكون أضعف وأنقص على ترتيب أنيق ونظام بديع - يعلم بأنه قادر على جميع الممكنات وعلى أي نظام وترتيب كان. ثم من رأى أن هذا النظام أبدع النظمات وأحكمها يعلم بأنه مريد، وأن إرادته على وجه الحكمة والجزم لا على نهج الجراف والتردد، ويعلم أن إرادته أجل من الاختيار والجبر جميعاً، ففاعليته على سبيل العناية الأزلية المسماة بالعلم التام المقدم على الإيجاد، الذي هو أيضاً من مراتب علمه المسمى بالرضا، والكلام يحتاج بسطه إلى موضع أوسع من هذا المقام. وأما الاعتقاد بأفعاله:

وهو أن يؤمن بأن الله على كل شيء قدير وما سواه ممكن محدث، والممكن - بما هو ممكن - محض القوة والفاقة، فلا يجوز أن يكون سبباً لإخراج الشيء من القوة إلى الفعل، وإلا لكان للقدم شركة في إفادة الوجود وهو فطري الفساد عند ذوي البصيرة والسداد، فتكون قدرة الله تعالى عامة شاملة لجميع الذرات، لأنّ مشناً الافتقار عام فلا تأثير للوسائط، لأنها كلها مسخّرات، ومعدات، لا موجبات. فهذا هو التوحيد في الأفعال إلا أنه وقع في البين حجاب يمنع أن يرى هذا التوحيد بعين البصيرة، وهو أن الحوادث التي هي الأفعال الاختيارية للحيوانات - وخصوصاً الإنسان - الحكم مطرد فيها، لأنها ممكنة، فكل ممكن لا بدّ من استناده إلى واجب الوجود، كيف وكل حادث - سواء كان فعلنا الاختياري أم لا - إذا نظرنا إلى حدوثه وإمكانه أداً النظر اضطراراً إلى وجود الواجب بالذات، مع أننا نجد من أنفسنا أننا نتحرك إن نشأ، ونسكن إن نشأ فكيف نكون مسخّرين، والحال أن حركاتنا وسكناتنا بأنفسنا لا بغيرنا؟

فقول في الكشف عنه: إن حركاته وسكناتك بمشيتك، إلا أنّ مشيتك ليست مشيتك، بل بقضاء الله وقدره - إذ لو كانت كذلك لافتقرت تلك المشية إلى مشية أخرى وهكذا إلى غير النهاية - فإذا لم تكن مشيتك بمشيتك فهي لازمة لك من أسباب قدرية مؤدية إليها، فإذا لم تكن المشية إليك فمتى وجدت المشية التي تصرف القدرة إلى مقورها انصرفت، ولا سبيل لها إلى المخالفة وإذا انصرفت لزمت الحركة ضرورة بالقدرة، والقدرة محرّكة ضرورة عند إنجزام المشية، والمشية تحدث في القلب بالأسباب الخارجية المشاهدة، وهي تحدث بالأسباب الغائبة عنّا فهذه ضروريات مترتبة بعضها على بعض، وليس للعبد أن يدفع وجود المشية، ولا انصراف القدرة إلى المقذور، ولا وجود بعث المشية للقدرة، فهو مضطّر في الجميع. ولا يتوهم أحد أن هذا خلق الأعمال الذي ذهبت إليه الأشاعرة القائلين بالجبر المحض من غير اختيار.

فإن قلت: ما ذكرت أيضاً جبر، والجبر ينافي الاختيار، فكيف يكون إنساناً واحداً مضطراً ومختاراً؟ قلت: لو انكشف لك الغطاء عن عين البصيرة بنور الاهتداء لعرفت أنك مجبور في عين الاختيار، وتحقيقه يفتقر إلى تحقيق معنى الاختيار، فاطلبه من كتب أولي الأبصار ليظهر لك ما يظهر لهم: إنه لا يتقدم متقدّم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق واللزوم، فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم، ولا يجري في الملك والملوك طرفة عين، ولا فلتة خاطر، ولا لفتة ناظر، إلا بقضاء الله وقدره، وإرادته ومشيتته، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ النحل 93. كيف ولو لم يكن هكذا لكانت المعاصي والجرائم الصادرة من الأشقياء - إن كان الله يكرهها ولا يريدتها - فإنما هي جارية على وفق مراد إبليس - أدلّة الله - مع أنه عدوّ الله، ثم القبايح أكثر من الحسنات، والمعاصي أكثر من الطاعات فيكون الجاري على وفق إرادة الله، ثم القبايح أكثر من الحسنات، والمعاصي أكثر من الطاعات فيكون الجاري على وفق إرادة الله، وهذا مما لا يليق برئيس قرية فكيف يليق بالملك الجبار ذي الجلال والإكرام.

فقد علم أنَّ الإرادة الأزلية تعلقت بنظام العالم على هذا الوجه العام، وأما الأوامر والنواهي الشرعية فيه أمور مقربة للطاعات، مبعدة عن المعاصي، وأسباب مهيجة للخيرات، دافعة للشرور والآفات، حسب ما يمكن ويليق لكل أحد.

فإن قلت: إذا كان الواقع من المعاصي والشرور بقضاء الله وقدره، فلماذا يعاقب من ساقه القدر إلى اقتراف خطيئة؟

يقال: العقوبة من اللوازم والتبعات المتصلة من غير حاجة إلى معاقب منفصل ومنتم من خارج، وبدلً عليه كثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى: سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمُ الْأَنْعَامُ: 139 وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ العنكبوت 54 وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ آل عمران: 117. وأما مرتبة الإيمان بأحكامه: فبأن يعتقد أنها غير معللة بالدواعي وأغراض زائدة على ذاته راجعة إليه، لأنَّ كلَّ من كانت أحكامه معللة بعلّة غير ذاته كانت ذاته ناقصة بنفسها مستكلمة بغيرها، وذلك مستحيل على الواجب بالذات. لكن يجب أن يعلم أنَّ الغاية تطلق على معنيين:

أحدهما: ما يرجح فاعلية الفاعل على تركها، وهو في الله علمه بالوجه الأصلىح، وذلك العلم غير زائد عليه تعالى لنفي الزائد مطلقاً عند أهل الحق.

وثانيهما: ما يترتب على الفعل سواء كان الفعل متوجّهاً إليه وكان لأجله، أو لا، بل يكون من ضروريات الفعل من غير أن تكون الطبيعة متوجهة إليه، فالأول: كوجود المنافع والمصالح التي روعيت في وجود العالم على الوجه الأتم الأبلغ في النظام، والثاني: كوجود الاتفاقيات اللازمة، ويكون لا محالة أقلية والخيرات التي تقابلها أكثرية أو دائمة.

فقد ثبت أنَّ أحكام الله وإن لم تعلل بعلّة غائبة غير ذاته تعالى إلاَّ أنَّ لها غايات وفوائد وثمرات عائدة إلى الممكنات، والشرور المانعة عن وصول بعض أفراد الممكن إلى كماله اللائق به أمر شاد.

وهذا في غير الإنسان من الحيوانات أمر واضح لاختصاص وجودها بهذه النشأة الفانية، فإذا قبض بعضها أو قتل أو جعل فداء وغذاء للإنسان الذي هو غاية عالم الأضداد، وثمره الفؤاد لم يكن كثير شرّ في حقها، لعدم احتمال شخصياتها الوجود الدائم، فإيثار كونها غذاء وفداء للنوع الأشرف، وانتفاعه بها على موتها بحتف أنوفها ليس ظلماً وجوراً في حقها، بل عدلاً وقسطاً وتكريماً لما هو المحقوق به.

وأما الشرور الإنسانية بحسب قواها العلمية والعملية، والشهوية، والغضبية - كالجهل والفسق والجور - فليعلم أنَّ ليس كل جهل موجباً للحرمان الدائم عن البقاء الأخرى، ولا كل رذيلة سبباً للعذاب الأبدي، بل الجهل المضاد لليقين مع العناد والإصرار، والرذيلة الراسخة الباتكة لعصمة النجاة، وأما باقي الضروب من الجهالات فيه لا توجب الحرمان عن رحمة الله بالغفران، فاعتقادنا في صاحب الكبيرة: أنَّه لا يجب على الله تعذيبه وأنَّه مما يمكن لضرب منه أن ينال رحمة ربه - على ما مرّت الإشارة إليه - وأنَّه سبحانه يغفر لمن يشاء بفضله، ويعذب من يشاء بعدله.

وأما الإيمان بالملائكة فمن أربعة أوجه:

أولها: الإيمان بوجودها، وهذا مما لا خلاف لأحد من المسلمين بل الملتين كلهم، وأما البحث عن نحو وجودها وحقيقتها - أنها روحانية محضة أو جسمانية، أو مركبة من القبلتين؟ (القسمين - ن) وبتقدير كونها روحانية إما عقول صريحة، أو نفوس مدبرة للأجرام، أو مركبة من القسمين؟ وبتقدير كونها جسمانية فهي أجسام لطيفة أو كثيفة؟ فإن كانت لطيفة فهي أجسام نورانية أو هوائية؟ وإن كان كذلك فكيف يمكن أن تكون مع لطافة أجسامها بالغة في القوة إلى الغاية القصوى؟ فذلك مقام العلماء الراسخين في علوم الحكمة القرآنية والبرهانية.

الوجه الثاني: أن يعتقد أنَّهم معصومون مطهرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون النحل: 50 ولا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، فإنَّ لذتهم بذكر الله، وأسهم بعبادته، وغداؤهم

التسبيح والتفكير، وكما أنّ حياتنا الدنيوية بالنفس والاستنشاق بحياتهم بذكر الله والمعرفة والطاعة له.

ومنهم الملائكة السماويون، وأعلى منهم الكروبيون، وهم العاكفون في حظيرة القدس، ولهم حالة الهيمنان، بل حالهم الفناء عن أنفسهم، وعدم الالتفات إلى ذواتهم وإلى هذا العالم والادميين، لقصر نظرهم عن غير الله واستغراقهم بجمال الحضرة الإلهية وجلال ذاته الأجدية.

ولا يستبعد أن يكون في عباد الله من يشغله جلال الله عن الالتفات إلى آدم وذريته فقد روي عن رسول الله: إنّ لله أرضاً بيضاء مسيرة الشمس فيها ثلاثون يوماً - هي مثل أيام الدنيا ثلاثون مرة - مشحونة خلقاً لا يعلمون أنّ الله يعصى في الأرض ولا يعلمون أنّ الله خلق آدم وإبليس رواه ابن عباس (رضي الله عنهما).

فاستوسع مملكة الله ولا تعتزّ بكلام المتشبهين بأهل العلم، الجاهلين بأكبر خلق الله وأشرفه، المقصرين بهمتهم الدنية على عالم الحسّ والخيال - وإنهما النتيجة الأخيرة من مقدمات عالم الملكوت، وهما القشر الأقصى عن اللب الأصفى - ومن لم يجاوز عن هذه الدرجة فكأنه لم يشاهد من الزمان إلاّ قشريته ومن عجائب الإنسان إلاّ بشريته.

وأدنى منهم الملائكة العنصريون من أرباب الطبائع العنصرية من خزّان المطر، وزواجر السحاب، وصواعق البروق، ومشيعي الثلج والبرد، والهابتين مع قطر المطر إذا نزل، والقوام على خزائن الرياح، والموكلين بالجبال والمتقلين مثاقيل المياه والأرض.

ودونهم رسل الله المتوسطون من الملائكة السماوية إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء، ومحبوب الرخاء، ومنهم السفرة الكرام البررة وحفظة الكرام الكاتبيين، ومنهم ملك الموت وأعوانه من النازعين للصور من المواد الغير المستعدة، ومنهم منكر ونكير للأشقياء، ومبشر وبشير للسعداء ومنهم الطائفون بالبيت العمور، ومنهم مالك وسدنة النيران ورضوان وخزنة الجنان، ومنهم الزبانية، الذين إذ قيل لهم:

خُدُوهُ فَعَلُّوهُ \* ثُمَّ أَلْجَيْمِ صَلْوُهُ الْحَاقَةُ: 30 - 31 ابتدروه سراعاً ولم ينظروه.

وأدون من الجميع سكان الهواء والأرض والماء، وبالجملة ما من موجود إلاّ ومعه ملكان: أحدهما على يمينه والأخر على شماله وجاءت كلُّ نفسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ق: 21 والسائق ملك يبشر التحريك إلى الدار الآخرة والشهيد ملك يدرك به النفع والضّر، والخير والشر.

وأكثر ما ذكرنا مقتبس من الصحيفة الملكوتية لمولانا وسيدنا زين الساجدين والموحّدين، وسيد العابدين والعارفين - سلام الله عليه وعلى جده وجدّ أبيه وعمه وأبيه والأطهار من بيته قدّس الله أرواحهم أجمعين.-

والوجه الثالث: أن يعلم بأنهم كلّهم وسائط بين الله وبين الخلق، كل قسم منهم موكل على قسم من أقسام هذا العالم، بل ما من نوع من الأنواع الطبيعية إلاّ وله ملك موكل، هو واسطة رحمة الحق وجوده عليه، ذو عناية بأشخاص ذلك النوع وهياكله وأصنامه، وهم المسمّون عند قدماء الحكماء - المقتبسون أنوار الحكمة من مشكاة نبوة الأنبياء سلام الله عليهم أجمعين - بـ أرباب الأصنام وعند أفلاطون (افلاطن - ن) بـ المثل النورية وإليهم الإشارة في قوله تعالى: وَأَلْصَقَاتِ صَفَا \* فَالْكَرَاتِ زَجْرَاتِ الصَّافَات: 1 - 2. وقال: وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءاً \* فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا وَالذَّارِيَات: 1 - 2. وقال: وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا \* فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا الْمُرْسَلَات: 1 - 2. وقال: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا \* وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا النَّازِعَات: 1 - 2. وفي تفسير هذه الآيات التي أقسم الله فيها بطوائف من الملائكة أسرار شريفة عزيزة تدق عن أفهام أكثر العلماء - فضلاً عن غيرهم - لا يكشف المقال عن وجوها قناع الإجمال لشرفها وعزتها.

والوجه الرابع: أن يعلم ويؤمن بأن كتب الله المنزلة إنّما وصلت إلى الأنبياء بواسطة ضرب من الملائكة، كما قال الله تعالى:

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ \* مُطَاعَ تَمَّ أَمِينٍ التكويد: 19 - 21. فهذه الوجوه لا بد منها في حصول الإيمان بالملائكة، فكلما كان غوص العقل في هذه المراتب أشد كان إيمانه بالملائكة أتم، وأكثر الخلق معرضون عنه مع دعوهم للإيمان.

وأما الإيمان بالكتب فلا بد فيه من أمور أربعة:

أولها: أن يعلم أن هذه الكتب وحي من الله تعالى إلى رسوله، وأنها ليست من باب الكهانة، وإلقاء الشياطين والأرواح الخبيثة، ولا من باب السحر، والفرق بين هذه الأمور خاف عن (على - ن) الجمهور.

وثانيها: أن يعلم أن الوحي وإن كان بواسطة الملائكة المقدسين فإن الله لم يمكن أحداً من الشياطين من إلقاء شيء من ضلالتهم في أثناء هذا الوحي الظاهر، وعند ذلك يعلم أن من قال: إن الشيطان ألقى قوله: تلك الغرائيق العلى في أثناء الوحي فقد قال قولاً عظيماً، وطرق الطعن والتهمة إلى القرآن.

وثالثها: أن يعلم أن هذا القرآن لم يتغير ولم يحرف، ودخل فيه فساد قول من قال: إن ترتيب هذا القرآن على هذا الوجه شيء فعله عثمان فإن من قال به أخرج القرآن عن كونه حجة.

ورابعها: إن القرآن مشتمل على محكم ومتشابه، وإن محكمه يكشف عن متشابهة.

وأما الإيمان بالرسول:

فلا بد فيه من أن يعلم أنهم معصومون من الذنوب كلها - كبيرها وصغيرها، عمدتها وسهوها - وأن يعلم أن النبي أفضل من الملائكة السماوية والأرضية، وأما الكروبيون ففي تفضيل النبي عليهم خلاف بين العلماء، ولأرباب المكاشفات في ذلك مباحث غامضة شريفة أوردناها في بعض كتبنا العرفانية.

وأن يعلم أن بعض الأنبياء أفضل من بعض لقوله تعالى: تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ البقرة: 253. ومن الناس من أنكر ذلك متمسكاً بقوله تعالى: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ البقرة: 285. وقد ذكر المفسرون وجوهاً من الجواب لا يطمئن بها القلب، وقد حضر عندنا وجه وجيه لا أسحج بها حذراً من سوء فهم الناظرين.

وأن يعلم أنه تعالى بعث الأمي العربي محمداً برسالته إلى كافة العرب والعجم، والجن والإنس، ففسخ بشريعته الشرائع، وجعله سيد البشر وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه في الدنيا والآخرة، وألزمهم اتباعه والافتداء به فقال: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا الحشر: 7 فلم يغادر شيئاً يقرّبهم من الله تعالى إلا أمرهم به وهداهم بسبيله، ولا شيئاً يبعدهم عن الله إلا نهاهم عنه وعرفهم طريقه، ويعلم أن تلك الأمور لا يرشد إليها مجرد العقل والذكاء، بل أسرار تكاشف بها من حظيرة القدس قلوب الأنبياء.

ويعلم أنه يجب عليهم أن ينصبوا بعدهم خليفة، وينصوا عليه نصّاً لا يبقى لأحد مجال الشك فيه والطعن به، وذلك لعدم بقاء وجوده العنصري دائماً، والمادة التي تقبل صورة النبي يقع في قليل من الأمزجة على الشذوذ، فلا بد من الاستخلاف بالنص الجلي لوجود إمام تقدي به الأمة بعده.

ويشترط أن يكون الإمام معصوماً من الذنوب، مؤيداً من عند الله بأوصاف كمالية يندر اجتماعها - بل أحادها - في شخص واحد، فيكون بها يستحق خلافة الله في العالم الأرضي، ثم السماوي، لكونه إنساناً إلهياً متصلاً بالمال الأعلى، تكاد تكون عبادته عبادة الله، وذلك لجموم المناقب الربانية في قلبه، ولكثرة ظهور الأفعال الإلهية من فمه وأسنانه، ويده ولسانه، وسيفه وسانه، كالعلم الأتم والقدرة الكاملة، والشجاعة والكرم، والزهد والمروة، والفصاحة البالغة حد الإعجاز، ولخلوه وتقديسه من النقائص والعيوب النفسانية المضادة للخلافة، والردائل الخلقية المنافية للإمامة، كالكفر والجهل، والسفاهة والفضاظة، والغلظة والكبر والنفاق، وعن العاهات والأمراض الخلقية المنفرة

لطبائع الأمة، كالعمى والعرج، والحكمة والأبنية، وغيرها من المعاصي كالظلم والفسق، وجمع المال للادخار.

ويجب أن يعتقد أن اجتماع تلك الفضائل والكمالات جملة، والتنزّه عن تلك النقائص والردائل جميعاً، لم يتفق لأحد بعد رسول الله إلا لأخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، فيكون هو الإمام والخليفة بعد الرسول - دون غيره - لقوله تعالى: لَا يَبْتَئِلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ البقرة: 124. ولما قال الله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ المائدة: 55. وقد نزلت الآية باتفاق المفسرين في حقه ولما نصّ عليه النبي بولاية الأمة في حجة الوداع، وهو آخر عهده بالحديث المشهور، أو لأحاديث نبوية كثيرة متواترة الجهة أحادية الأفراد، دالة على إمامته اللازمة لذاته، المستغنية عن البيعة والإجماع.

وهكذا يكون وقوع المناصب الآتية من قبل الله، فكما أن النبي نبيّ ولو لم تتفق عليه أمة، فكذا الإمام إمام وإن لم يبيعه أحد، والحكيم حكيم وإن لم يعرف قدره الجهال، والعالم عالم سواء سئل أم لا، والعجب خفاء هذا الأمر الجلي على العقلاء الذين جعلوا الخلافة والولاية - وهو أمر باطني - على ميل الطبائع، واتفاق الجماعة على شخص، مع أن طبائعهم مجبولة على طاعة الشهوات، رغبة عما به يحصل القربات، ويستحق للمثوبات.

ويجب أيضاً أن يعلم ويعتقد أن الاستحقاق لهذا الأمر بعد علي إنما وقع لأولاده المعصومين الموصوفين بالإمامة للأمة، والطهارة والعصمة صلوات الله عليهم أجمعين، وذلك لتحقيق الشرائط المذكورة التي معظمها العلم بالأمور الباطنية، والأسرار الخفية، والاجتباب عن زخارف هذه الدار الدنية، ولنصّ كل سابق على لاحق، وهلمّ جرّاً إلى صاحب هذا العصر والزمان وهو المهدي القائم بالقسط والعدل على بواطن أهل العلم والإيمان، ثم على ظواهر الخلائق من الإنس والجان في آخر الزمان، إذ به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، فيكون وجوده ثمرة هذا العالم وكماله، وإذا عدم عنه زال كل شيء بزواله، لما ثبت أن وجود الإنسان الكامل علة غائية لوجود هذا العالم، لكونه الغرض الأصلي من خلق الطبائع والأركان، ومن فضائله خلقت بواقي الأكوان، فإذا زالت العلة زال المعلول.

وهذه المقاصد الشريفة إنما اكتشفت لنا بطريق الاعتبار والاستبصار، وتتبع الآثار والأخبار، لا بطريق الأبحاث الكلامية، والاستدلال بالمقال عند مخاصمة الرجال، ومعارضة القليل والقال والله الهادي إلى سبيل السداد، وبه الاستعاذة من الغواية في الاعتقاد.

وأما الإيمان باليوم الآخر:

فهو أن يعلم أنه يفرق بالموت بين الأرواح والأجساد، ثم يعيدها إليها عند الحشر والنشور، فيبعث من في القبور ويحصل ما في الصدور، فيرى كل مكلف ما عمله من خير أو شرّ محضراً، ويصادف دقيق ذلك وجليله مستظراً في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويعرف كل واحد مقدار عمله بمعيار صادق يعبر عنه بالميزان، وإن لم يساو ميزان الأعمال ميزان الأجسام الثقيل، كما لا يساوي ميزان العلوم سائر الموازين كالعروض والأسطرلاب والشاقول والشاخص وغيرها، ثم يحاسبون على أفعالهم، وأفعالهم، وضمائرهم، ونياتهم، وعقائدهم مما أبدوه أو أخفوه فإنهم متفاوتون إلى مناقش منعه في الحساب وإلى مسامح فيه، وإلى من يدخل الجنة بغير حساب.

ثم يساقون إلى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الأشقياء والسعداء أحد من السيف وأدق من الشعر، يخفّ عليه من استوى في الدنيا على الصراط المستقيم، الذي يوازيه في الخفاء والدقة ويعثر به من عدل عن سواء السبيل إلا من عُفي عنه بحكم الكرم، وإنهم عند ذلك يسألون عن أديانهم وأفعالهم فيسأل الله الصادقين عن صدقهم والمنافقين عن نفاقهم.

ثم يساق السعداء إلى الرحمن وفداءً، والمجرمون إلى جهنم ورداً، ثم يحكم بإخراج الموحدين من النار بعد الانتقام، حتى لا يبقى في النار من في قلبه متقال ذرة من الإيمان، ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام لشفاة الأنبياء، والعلماء، والشهداء ومن له رتبة الشفاة.

ثم يستقر أهل السعادة في الجنة منعمن أبد الأبد، ممتعين بالنظر إلى وجه الله الكريم، ويستقر أهل الشقاوة الأبدية في النار مرودين تحت أنواع العذاب، مطرودين مبعدين عن جمال الله ذي الجلال والإكرام.

وهذه العقائد مما ليست منكشفة إلا على العلماء الراسخين، وليس لغيرهم منها شيء إلا الأسماء أو التقليد المجرد كالعوام من أهل الإسلام، والعناد والاستنكار كما للمتجيبين بالإنكار عن متابعة ذوي البصائر والأنوار ولا شك في أن الانقياد والتسليم لما أتى به الأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم، والتعويل على الفؤاد أدنى إلى النجاة من الفطنة البتراء للعقول المحتجة بالبصيرة الحولاء.

ولا يبعد أن يكون قوله: **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ** إشارة إلى ترك التعويل بسبب الاعتماد على فطنة العقل المشوبة بالهوى، المنبئة عن غلبة القوة الوهمية فيكون هذا - أي الوهم - أحد معاني الطاغوت، ويكون الاستمسك بالعروة الوثقى إشارة إلى هذا الانقياد والتسليم والمتابعة للأنبياء والأولياء، والتعويل عليهم في أمر الدين وخصوصاً فيما أفادوا من قبل الله في أمر المعاد، حيث لا سبيل للعقل بقوته الفكرية إلى شيء منه.

تنمة

وقال بعض أرباب القلوب (القول - ن): إن عروة الوثقى لكل طائفة من المؤمنين شيء آخر: للعوام التوفيق للطاعة، وللخواص مزيد العناية بالمحبة كما في قوله: **يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ المائدة: 54**. ولخاص الخاص جذبات الألوهية التي تنفيها عن الظلمات الوجودية بنور الربوبية، كما شرح الله تعالى حقيقة الآية بتأليها، والمراد به أن السالك يبلغ عقيب الرياضات والأربعينات إلى مقام من مقامات الفناء والبقاء لا يمكن الرجوع منه، فلا يجري عليه أحكام تلونات الرد والقبول، ولا أقسام تغيرات الفراق والوصال، بل يكون مستهلكاً عن الناسوتية متمكناً في اللاهوتية، فالعروة الوثقى التي لا انفصام لها على الحقيقة والتمام في هذه الجذبة الإلهية، التي أشير إليها في الحديث النبوي: جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين إذ التقلان وأعمالهما جسمانية فانية من عالم الحدوث، وجذبة الحق روحانية باقية في (من - ن) عالم القدم، فلا يجوز عليها الانفصام والانقطاع والنفاد، فالمجذوب لا يتخلص منها أبد الأباد.

المقالة الخامسة عشرة:

في قوله سبحانه: **وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**

وفيه قولان: الأول: إنه يسمع قول من يتكلم بالشهادتين وقول من يتكلم بالكفر، ويعلم ما في قلب المؤمن من المعارف الإيمانية والعلوم الربانية، وما في قلب الكافر من العقائد الخبيثة والظنون الباطلة.

القول الثاني: روى العطاء عن ابن عباس قال: كان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود، الذي (التي - ن) كانوا حول المدينة، وكان يسأل الله تعالى ذلك سراً وعلانية، لساناً وقلباً، فمعنى قوله: **وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** أنه سمع بدعائك - يا محمد - عليهم بحرصك واجتهادك.

ويؤيد هذا ما روي أنه لما رأى عدم اهتدائهم بنوره، وقبولهم لدعوته استشعر أنه من جهته لا من جهتهم، فزاد في الرياضة والمجاهدة والفناء في المشاهدة، فأوحى الله تعالى إليه بأن هذه الصفات (أي الطهارة من لوث البقية المانع من التأثير في النفوس وسلامة الاستعداد، عن النقص في الأصل والكمال الشامل لجميع المراتب بالعلم هي الصفات الكائنة في ذاتك، الثابتة في جوهر قلبك المقدس، المتصف بجميع الصفات الملكوتية والأسماء اللاهوتية، المقترضة للعبودية التامة والدعوات والمناجاة.

وكلها معلومة مسموعة له تعالى مشكورة عنده، سواء كانت موجبة لإسلامهم وذلك عند الصلاحية والقبول بحسب الفطرة الأصلية والسعادة الأزلية أو لم تكن، وذلك لعدم استعدادهم بحسب الفطرة رأساً أو لاحتجاب قلوبهم بالريون المستفاد من اكتساب الرذائل الراسخة، والهيئات الغاسقة، والملكات المظلمة المتركمة على افندتهم، فلا تهلك نفسك على عدم إيمانهم لشدة الرياضة، فإنه من جهتهم إمّا لعدم استعدادهم لقبول الرشاد، وإمّا لوجود المانع فيهم لشدة الاحتجاب وكثافة الحجاب، فيكفيك أنّ الله سميع بدعانك، عليم بطهارة ذاتك وصفاتك.

فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(256) لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ الْقَمِي أَي لا يكره أحد على دينه إلا بعد ان تبين  
الرشد من الغي وقيل يعني ان الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيراً فيحمله عليه  
ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الإيمان  
رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك  
بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج إلى الإكراه والإلحاح وقيل اخبار في  
معنى النهي أي لا تكرر في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم  
واما خاص بأهل الكتاب إذا أدوا الجزية.

أقول: ان اريد بالدين التشيع كما يستفاد من حديث ابن ابي يعفور الآتي وأول تمام الآية بولايتهم  
عليهم السلام فهو اخبار في معنى النهي من غير حاجة إلى القول بالنسخ والتخصيص فَمَنْ يَكْفُرُ  
بِالطَّاغُوتِ الشيطان كذا في المجمع عن الصادق.

أقول: ويعم كل ما عبد من دون الله من صنم أو صاد عن سبيل الله كما يستفاد من أخبار اخر  
فالطاغوت فعلوت من الطغيان.

القَمِي هم الذين غصبوا آل محمد حقهم عليهم السلام.

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ بالتوحيد وتصديق الرسل فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى طلب الامساك من نفسه بالحبيل  
الوثيق وهي مستعارة للمتمسك المحق من النظر الصحيح والدين القويم.

في الكافي عن الصادق هي الإيمان بالله وحده لا شريك له.

وعن الباقر هو مودتنا أهل البيت.

لَا انْفِصَامَ لَهَا لا انقطاع لها.

في المعاني عن النبي من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية  
أخي ووصيي علي بن ابي طالب صلوات الله عليه فانه لا يهلك من أحبه وتولاه ولا ينجو من أبغضه  
وعاداه.

وَاللَّهُ سَمِيعٌ بِالْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِالنِّيَّاتِ.

<sup>1</sup> <https://goo.gl/hMMgij>

<sup>2</sup> <http://goo.gl/kfeotg>



### فقرات من التفسير

علي بن إبراهيم: أي لا يكره أحد على دينه إلا بعد أن قد تبين له الرشد من الغي.  
محمد بن يعقوب: عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله: إني أخالط الناس، فيكثر عجبني من أقوام لا يتولونكم، ويتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، وليس لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله جالسا، فأقبل علي كالعصيان، ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله. قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟

قال: نعم، لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء. ثم قال: ألا تسمع لقول الله عز وجل: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة، بولايتهم كل إمام عادل من الله. وقال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما تولوا كل إمام جائر ليس من الله عز وجل، خرجوا بولايتهم إياه من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفار، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

وعنه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، جميعا، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله، في قول الله عز وجل: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى. قال: هي الإيمان بالله وحده لا شريك له.

وعنه: عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان، عن محمد ابن مسلم، عن أحدهما، في قول الله عز وجل: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى. قال: هي الإيمان.

ابن بابويه، قال: حدثنا محمد بن علي ما جيلويه، قال: حدثني عمي محمد بن أبي القاسم، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن خلف بن حماد الأسدي، عن أبي الحسن العبدي، عن الأعمش، عن عباية بن ربعي، عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله: من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، فليستمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب، فإنه لا يهلك من أحبه وتولاه، ولا ينجو من أبغضه وعاداه.

وعنه، بإسناده عن حذيفة بن أسيد، قال: قال رسول الله: يا حذيفة، إن حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب، الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه شك في الله، والإلحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله، لأنه أخو رسول الله ووصيه، وإمام أمته، وهو حبل الله المتين، وعروته الوثقى لا انفصام لها، وسيهلك فيه اثنان ولا ذنب له: غال، ومقصر.

يا حذيفة، لا تفارقن عليا فتفارقني، ولا تخالفن عليا فتخالقني، إن عليا مني، وأنا منه، من أسخطه فقد أسخطني، ومن أرضاه فقد أرضاني.

<http://goo.gl/6nHcOi> 1

<http://goo.gl/jmbVkW> 2

وعنه: بإسناده، قال: قال رسول الله: الأئمة من ولد الحسين، من أطاعهم فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله، هم العروة الوثقى، وهم الوسيلة إلى الله تعالى.  
وعنه: بإسناده، قال رسول الله: من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحب علي وأهل بيته.

سعد بن عبد الله القمي، بإسناده عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله، قال في خطبة طويلة له: مضى رسول الله، وخلف في أمته كتاب الله ووصيه علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وحبل الله المتين، والعروة الوثقى لا انفصام لها، وعهده المؤكد، صاحبان مؤتلفان، يشهد كل واحد منهما لصاحبه بالتصديق.

ومن طريق المخالفين، ما رواه موفق بن أحمد، بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: قال رسول الله لعلي: أنت العروة الوثقى.

وروى الحسين بن جبير في (نخب المناقب): بإسناده إلى الرضا، قال: قال رسول الله: من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحب علي بن أبي طالب.

ابن شاذان: عن الرضا، عن آبائه، قال: قال رسول الله: ستكون بعدي فتنة مظلمة، الناجي منها من استمسك بالعروة الوثقى.

فقيل: يا رسول الله، وما العروة الوثقى؟

قال: ولاية سيد الوصيين. قيل: يا رسول الله، ومن سيد الوصيين؟ قال: أمير المؤمنين.

قيل: يا رسول الله، ومن أمير المؤمنين؟ قال: مولى المسلمين، وإمامهم بعدي.

قيل: يا رسول الله، من مولى المسلمين وإمامهم بعدك؟ قال: أخي علي بن أبي طالب.

العياشي: عن زرارة، وحمران، ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله، في قول الله: بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى. قال: هي الإيمان بالله، يؤمن بالله وحده.

عن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبد الله: إني أخالط الناس، فيكثر عجبني من أقوام لا يتولونكم، فيتولون فلانا وفلانا، لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم، ليس لهم تلك الأمانة، ولا الوفاء، ولا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله جالسا، وأقبل علي كالغضبان، ثم قال: لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عدل من الله.

قال: قلت: لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء؟

فقال: نعم، لا دين لأولئك، ولا عتب على هؤلاء. ثم قال: أما تسمع لقول الله: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتِ الذُّنُوبِ إِلَى نُورِ التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، لَوْلَايَتِهِمْ كُلِّ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ.

قال: قلت: أليس الله عنى بها الكفار حين قال: وَالَّذِينَ كَفَرُوا؟

قال: قال: وأي نور للكافر وهو كافر، فخرج منه إلى الظلمات؟! إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام، فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله، خرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب لهم النار مع الكفار، فقال: أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ.

عن مسعدة بن صدقة، قال: قص أبو عبد الله قصة الفريقين جميعا في الميثاق، حتى بلغ الاستثناء من الله في الفريقين، فقال: إن الخير والشر خلقان من خلق الله، له فيهما المشيئة في تحويل ما يشاء فيما قدر فيها حال عن حال، والمشية فيما خلق لها من خلقه في منتهى ما قسم لهم من الخير والشر، وذلك أن الله قال في كتابه: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ فالنور هم آل محمد، والظلمات عدوهم.

عن مهزم الأسدي، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قال الله تبارك وتعالى: لأعذب كل رعية دانت بامام ليس من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأغفرن عن كل رعية دانت بكل إمام من الله، وإن كانت الرعية في أعمالها سيئة.

قلت: فيعفو عن هؤلاء، ويعذب هؤلاء؟ قال: نعم، إن الله يقول: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

ثم ذكر الحديث الأول - حديث ابن أبي يعفور، برواية محمد بن الحسين - وزاد فيه: فأعداء علي أمير المؤمنين هم الخالدون في النار، وإن كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة، والمؤمنون بعلي هم الخالدون في الجنة، وإن كانوا في أعمالهم على ضد ذلك.

ابن شهر آشوب: عن الباقر، في قوله تعالى: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ نزلت في أعدائه ومن تبعهم، أخرجوا الناس من النور - والنور: ولاية علي - فصاروا إلى ظلمة ولاية أعدائه.

محمد بن يعقوب: عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله، قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت، يعبد من دون الله عز وجل.

وفي تفسيره للآيتين 10\51 و99 و100: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، كتب يقول:

علي بن إبراهيم: ثم قال الله لنبيه: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يعني لو شاء الله أن يجبر الناس كلهم على الإيمان لفعّل. 2/4986 - ابن بابويه، قال: حدثنا تميم عن عبد الله بن تميم القرشي، قال: حدثنا أبي، عن أحمد بن علي الأنصاري، عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح الهروي، في مسائل سألتها المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا، فكان فيما سأله أن قال له المأمون: فما معنى قول الله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

فقال الرضا: حدثني أبي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب، قال: إن المسلمين قالوا لرسول الله: لو أكرهت - يا رسول الله - من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثير عددنا وقويتنا على عدونا. فقال رسول الله: ما كنت لألقى الله تعالى ببدعة لم يحدث لي فيها شيئا، وما أنا من المتكلمين.

فأنزل الله تبارك وتعالى عليه: يا محمد وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا عَلَى سَبِيلِ الْإِلْجَاءِ وَالْإِضْطْرَارِ فِي الدُّنْيَا، كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة، ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثوابا ولا مدحا، لكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين، ليستحقوا مني الزلفي والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. وأما قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان عليها، ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بإذن الله، وإذنه أمره لها بالإيمان ما كانت مكلفة متعبدة، وإلجاؤها إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها.

فقال المأمون: فرجت عني - يا أبا الحسن - فرج الله عنك.

3/4987 - العياشي: عن علي بن عتبة، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس، فإنه ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى الله، ولا تخاصموا الناس

بدينكم، فإن الخصومة ممرضة للقلب، إن الله قال لنبيه: يا محمد إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

القصص: 56 وقال: أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ذرُوا الناس، فإن الناس أخذوا من الناس، وإنكم أخذتم من رسول الله وعلي، ولا سواء، إني سمعت أبي وهو يقول: إن الله إذا كتب إلى عبد أن يدخل في هذا الأمر كان أسرع إليه من الطير إلى وكره.

### فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين قال بعضهم نزلت هذه الآية في المجوس واهل الكتاب من اليهود والنصارى انه تقبل منهم الجزية ولا يكرهون على الاسلام ليس كمشركي العرب فانه لا يقبل منهم الا السيف او الاسلام ولا تقبل منهم الجزية ان اسلموا فيها والا قتلوا قال الله تعالى تقاتلونهم أو يسلمون الفتح: 16.

والمعنى لا اجبار في الدين لان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم لوضوح الحجة قد تبين الرشد هو لفظ جامع لكل خير والمراد ههنا الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية لتقدم ذكر الدين من ألغي أي من الكفر الذي هو المؤدى الى الشقاوة السرمدية.

قال الراغب الغي كالجهل يقال اعتبارا بالاعتقاد والغي اعتبارا بالأفعال ولهذا قيل زوال الجهل بالعلم وزوال الغي بالرشد فمن يكفر بالطاغوت هو كل ما عبد من دون الله مما هو مذموم في نفسه ومتمرد كالانس والجن والشياطين وغيرهم فلا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام والكفر به عبارة عن الكفر باستحقاقه العبادة ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل لان الكفر بالأنبياء والكتب يمنع حقيقة الايمان بالله لان الايمان بالله حقيقة يستلزم الايمان بأوامره ونواهيه وشرائعه المعلومة بالدلائل التي اقامها الله لعباده وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية بالمعجزة متقدمة على التخلية بالمهملة فقد استمسك بالعروة الوثقى أي بالغ في التمسك بالحلقة الوكيدة. وعروة الجسم الكبير التثليل الموضع الذي يتعلق به من يأخذ ذلك الجسم ويحمله. والوثقى فعلى للتفضيل تأنيث الاوثق كفضلي تأنيث الافضل لا انفصام لها أي لا انقطاع وهو استئناف لبيان قوة دلائل الحق بحيث لا يعترها شيء من الشبه والشكوك فان العروة الوثقى استعارة المحسوس للمعقول لان من اراد امسك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه ولما كانت دلائل الاسلام اقوى الدلائل واوضحها وصفها الله بانها العروة الوثقى.

قال المولى ابو السعود الكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوتها بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة في المفردات والله سميع بالأقوال عليم بالعزائم والعقائد يعلم غيرها ورشدها وباطلها وحققها ويجري كلا على وفق عمله وقوله وعقده وهو ابلغ وعد ووعيد. واعلم ان حقيقة الايمان كونه متعلقا بالله على وجه الشهود والعيان ومجازه كونه متعلقا به على وجه الرسم والبيان او بالطاغوت وحقيقة الكفر كونه متعلقا بالطاغوت ومجازه كونه متعلقا بوحدة الله او بنعمته فان الكفر ثلاثة اقسام كفر النعمة وكفر الوحدة وكفر الطاغوت وافراد الانسان ثلاثة اقسام ايضا اصحاب الميمنة وهم ارباب الجمال ومظاهره واصحاب المشأمة وهم ارباب الجلال ومظاهره والمقربون وهم اصحاب الكمال ومظاهره وقلوب الفريق الاول في أيدي سدنة الجمال الإلهي من الملائكة المقربين وقلوب الفريق الثاني في أيدي سدنة الجلال الإلهي من الشياطين المتمردين يستعملونها في سبيل الشرور وقلوب الفريق الثالث في يد الله المتعال يد الله فوق أيدي سدنة الجمال والجلال يقبلها كيف يشاء بين التجليات العاليات والعلوم والمعارف الإلهيات ولما تعلق ايمان هذه

1 <http://goo.gl/9rEz3v>

2 <http://goo.gl/Sgm4tr>

الفرق بالله على وجه الشهود والعيان وتعلق كفرهم بالطاغوت جليا او خفيا كان ايمانهم وكفرهم حقيقيين وجاوزوا من عالم المجاز الى عالم الحقيقة واما الفريق الثاني فقد تعلق ايمانهم بالطاغوت مطلقا او خفيا وكفرهم بالوحدة والنعمة فكان ايمانهم وكفرهم مجازيين لكن ايمانهم مردود ككفرهم لأنه لم يتعلق بالله اصلا بل كان كله مقصورا على الطاغوت ولذا لم يتجاوزوا من عالم المجاز اصلا ولم يصلوا الى قرب عالم الحقيقة جدا فضلا عن وصولهم الى عالم الحقيقة قطعا واما الفريق الاول فلما تعلق ايمانهم بالله على وجه الرسم والبيان لا بالطاغوت الجلي جدا ولم يتعلق ايمانهم به على وجه الشهود ولم يتعلق ايمانهم به على الاخلاص حين تعلق به على وجه الرسم والبيان لتعلقه ايضا بالطاغوت الخفي وتعلق كفرهم بالطاغوت الجلي فقط لا بالطاغوت لا بالطاغوت الخفي كان ايمانهم وكفرهم مجازيين ايضا لكن ايمانهم لم يكن ككفرهم مردودا بل كان مقبولا من وجه لعدم تعلقه بالطاغوت الجلي اصلا فان غلب تعلقه بالله على تعلقه بالطاغوت الخفي عند خاتمته فيدخل في الفلاح ثم في الآخرة ان تداركه الفضل الإلهي فيها ونعمت فيغفر والا فيدخل الجحيم ويعذب بكفره الخفي ثم يخرج لعدم كفره بالله جليا ويدخل النعيم لإيمانه بالله جليا وكفره بالطاغوت وهم ايضا لم يصلوا الى عالم الحقيقة بل انما وصلوا الى قربه ولذا جاوزوا الجحيم ودخلوا النعيم في قرب عالم الحقيقة ولذا كانوا بالنسبة الى نفس الحقيقة موطنين في عالم المجاز والفرقة لا في عالم الحقيقة والوصلة واما الفريق الثاني فهم مخلدون في النار ابدًا لإيمانهم بالطاغوت مطلقا وكفرهم بالله كذلك ثم سعادة الفريق الثالث على ما هو المنصوص في القرآن قطعية الثبوت في آخر النفس وشقاوة الفريق الثاني وسعادة الفريق الاول ليست قطعية الثبوت بل محتملة الثبوت في آخر النفس بالنظر الى الافراد لجواز التبدل والتغير في عاقبة الامر الدنيوي بالنظر الى افرادهم هذا ما التقتته من الكتاب المسمى باللائحات البرقيات لشيخي العلامة ابقاه الله بالسلامة.

### فقرات من التفسير

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله في حديث طويل: الامور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه وأمر تبين لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى الله. في مجمع البيان (فمن يكفر بالطاغوت) وقيل فيه خمسة اقوال أحدها انه الشيطان وهو المروى عن أبي عبد الله.

في أصول الكافي حميد بن زياد عن الحسن بن محمد بن سماعة عن غير واحد عن ابان عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عز وجل: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) قال: هي الإيمان.

على بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن يحيى عن أحمد بن محمد جميعا عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله انه قال: في قوله عز وجل: فقد استمسك بالعروة الوثقى) قال: هي الإيمان بالله وحده لا شريك له، والحديثان طويلان اخذنا منهما موضع الحاجة.

في كتاب المناقب لابن شهر آشوب موسى بن جعفر عن آبائه عليهما السلام وابو الجارود عن الباقر في قوله تعالى: (فقد استمسك بالعروة الوثقى) قال، مودتنا اهل البيت.

في محاسن البرقى عنه عن الحسن بن أحمد عن ابان الأحمر عن ابي جعفر الاحول عن محمد بن مسلم عن ابي جعفر قال عروة الله الوثقى التوحيد والصيغة الاسلام.

في عيون الأخبار بإسناده إلى ابي الحسن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله: من أحب ان يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليا بعدى، وليعاده عدوه وليأتم بالأئمة الهداة من ولده.

وفيه فيما جاء عن الرضا من الأخبار المجموعة وبإسناده قال قال رسول الله: الأئمة من ولد الحسين من اطاعهم فقد اطاع الله، ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة الوثقى وهم الوسيلة إلى الله تعالى.

وفيه بإسناده إلى الرضا انه ذكر القرآن يوما فعظم الحجة فيه والآية المعجزة في نظمه، فقال: هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى.

وفي باب ما كتبه الرضا للمؤمن من محض الاسلام وشرائع الدين وان الأرض لتخلون حجة الله تعالى على خلقه في كل عصر واوان وانهم العروة الوثقى وأئمة الهدى والحجة على أهل الدنيا إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

في كتاب الخصال عن عبد الله بن العباس قال، قال رسول الله فينا خطيبا فقال في آخر خطبته نحن كلمة التقوى وسبيل الهدى والمثل الاعلى والحجة العظمى والعروة الوثقى.

في كتاب التوحيد بإسناده إلى ابي بصير عن أبي عبد الله قال، قال امير - المؤمنين في خطبة، انا حبل الله المتين وانا عروة الله الوثقى.

في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى إبراهيم بن ابي محمود عن الرضا حديث طويل وفيه نحن حجج الله في ارضه ونحن كلمة التقوى والعروة الوثقى،

1 <http://goo.gl/9sGqAo>

2 <http://goo.gl/os51po>

في كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله من أحب ان يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية أخي ووصيي علي بن أبي طالب فإنه لا يهلك من أحبه وتولاه، ولا ينجو من ابغضه وعاداه.

في كتاب الخصال عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال المؤمن ينقلب في خمسة من النور، مدخله نور، ومخرجه نور، وعلمه نور، وكلامه نور، ومنظره يوم القيمة إلى النور.



## فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

قلت: الرُّشد: مصدر رَشَدَ، بالكسر والضم، رشداً ورشاداً، والغي: مصدر غَوَى، إذا ضلَّ مُعْتَقِدَهُ، والطاغوت: فعلوت من الطغيان، وأصله: طغيوت، فقلبت لام الكلمة لعينها فصار طيغوت، ثم قلبت الياء ألفاً. وهو كل ما عُبد من دون الله راضياً بذلك، والعروة: ما تستمسك به اليد عند خوف الزل كالحبل ونحوه، ووثوقها: متانتها، وانفصامها أن تنفك عن موضعها، وأصل الفصم في اللغة: أن ينفك الخلال ونحوه ولا يبين، فإذا بان فهو الفصم - بالقاف - وهو هنا استعارة للدِّين الصحيح.

يقول الحق جل جلاله: في شأن رجلٍ من الأنصار، تَنَصَّرَ ولذاه قبل البعثة فلما جاء الإسلام قَدِمَا إلى المدينة فدعاهما أبوهما إلى الإسلام فامتنعا، فَلَزَمَهُمَا أَبُوهُمَا وقال: والله لا أدعكما حتى تُسَلِّمَا، فاختموا إلى رسول الله فأُنزل الله: لا إكراه في الدين، فهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تُكْرَهُوا أحداً على الدخول في الدين. وهو خاص بأهل الكتاب.

قال البيضاوي: إذ الإكراه في الحقيقة هو: إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً، ولكن قد تبين الرشد من الغي أي تميَّز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان رُشد يوصل إلى السعادة الأبدية، والكفر غي يوصل إلى الشقاوة السردية. والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء. هـ.

فمن يفكر بالطاغوت أي: يبعد عنها ويجحد ربوبيتها ويؤمن بالله أي: يصدق بوحدانيتها، ويقر برسله، فقد استمسك بالعروة الوثقى أي: فقد تسمك بالدين المتين، لا انقطاع له أبداً، والله سميع بالأقوال، عليم بالنيات، فإنَّ الدين مشتمل على قول باللسان وعقد بالجنان، فحسن التعبير بصفة السمع والعلم. والله تعالى أعلم.

الإشارة: قال في الحكم: لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق، إنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك. وقال أحمد بن حنبل: حضره: الطريق واضح، والحق لائح، والداعي قد أسمع، ما التحير بعد هذا إلا من العمى. هـ. فطريق السير واضحة لمن سبقت له العناية، باقية إلى يوم القيامة، وكل ما سوى الله طاغوت، فمن أعرض عن السوى، وعلق قلبه بمحبة المولى، فقد استمسك بالعروة الوثقى، التي لا انفصام لها على طول المدى، وبالله التوفيق، وهو الهادي إلى سواء الطريق.

<https://goo.gl/zjuckV>

1

<http://goo.gl/VqUDDG>

2

## فقرات من التفسير

قوله: لَأِكْرَاهَ فِي الْدِينِ قِيلَ إِنَّ مِنْ هُنَا إِلَى خَالِدُونَ مِنْ تَمَامِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَقِيلَ لَيْسَتْ مِنْهَا وَهُوَ الْحَقُّ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتَ عَقِبَهَا كَالنَّتِيجَةِ لِمَا ذَكَرَ فِيهَا مِنْ خَالِصِ التَّوْحِيدِ، وَالْمَعْنَى لَا يَكْرَهُ أَحَدٌ أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ظَاهِرَانِ لِكُلِّ أَحَدٍ فَلَا يَنْفَعُ الْإِكْرَاهَ، قَالَ تَعَالَى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ

يونس: 99. قوله: (أي ظهر بالآيات البينات) أي الدلائل الظاهرة على باهر قدرته وعظيم حكمته، قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ الْبَقْرَةَ: 164 الآية. قوله: (فيمين كان له من الأنصار أولاد) أي وهو أبو الحصين كان له ابنان تنصرا قبل بعثة النبي ثم قدما المدينة بتجارة زيت فلقيهما أبوهما، وأحب أن يكرههما على الإسلام، فارتفع معهما إلى النبي قال أبوهما يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر إليه فنزلت وهذه الآية يحتمل أنها منسوخة بآيات القتال أو محكمة، وتحمل على من ضرب عليهم الجزية ويؤيده سبب نزولها. قوله: بِالطَّاعُوتِ مَبَالِغَةٌ فِي الطَّغْيَانِ كَالْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ، وَالْمَرَادُ بِهِ مَا يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَمَعْنَى الْكُفْرِ بِهِ جِدُّهُ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ. قوله: (وهو يطلق على المفرد والجمع) أي ويعود الضمير عليه مؤنثاً ومذكراً وهو قيل مصدر وقيل اسم جنس.

قوله: وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ تَقْدِيمَ الْكُفْرِ بِالطَّاعُوتِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ التَّخْلِيَةِ عَلَى التَّحْلِيَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ إِيْمَانُ بِاللَّهِ مَعَ إِشْرَاقٍ غَيْرِهِ مَعَهُ. قوله: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ جَوَابَ الشَّرْطِ الَّذِي هُوَ مِنْ وَقَرْنٍ بِالْفَاءِ لِدُخُولِ قَدِّ عَلَيْهِ. قوله: (تمسك) أشار بذلك إلى السين والتاء زانديتان لتقوية الاستمساك.

قوله: بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فِيهِ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ أَصْلِيَّةٌ، حَيْثُ شَبِهَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَهِيَ مَوْضِعُ الْمَسْكِ مِنَ الْحَبْلِ بِجَمَاعٍ أَنْ كَلَا لَا يَخْشَى مِنْهُ الْخَلْلُ، وَاسْتَعْبِيرَ اسْمَ الْمَشْبَهِ بِهِ وَهُوَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِلْمَشْبَهِ وَهُوَ دِينَ الْإِسْلَامِ، وَالِاسْتِمْسَاكُ وَعَدَمُ الْإِنْفِصَامِ تَرْشِيحَانِ لِأَنَّهُ مِنْ مَلَائِمَاتِ الْمَشْبَهِ بِهِ، أَوْ فِيهِ اسْتِعَارَةٌ تَمَثِيلِيَّةٌ بَأَنَّ يُقَالُ شَبِهَ حَالَ مِنْ تَمَسَكَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ بِحَالٍ مِنْ تَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، بِجَمَاعٍ أَنْ كَلَا لَا يَخْشَى الْإِنْفِكَانُ وَلَا الْخَلْلُ، وَاسْتَعْبِيرَ الْمَشْبَهَ بِهِ لِلْمَشْبَهِ وَالِاسْتِمْسَاكُ وَعَدَمُ الْإِنْفِصَامِ تَرْشِيحَانِ أَيْضاً. قوله: لَأَنْفِصَامَ لَهَا الْإِنْفِصَامُ الْإِنْقِطَاعُ بَغَيْرِ بَيْنُونَةٍ، وَالِانْقِصَامُ بِالْقَافِ الْإِنْقِطَاعُ مَعَ بَيْنُونَةٍ، فَالْتَعْبِيرُ بِالِانْقِصَامِ أْبْلَغُ. قوله: (لما يقال) أي سراً أو جهراً. قوله: (بما يفعل) أي خيراً أو سراً أو جهراً.

1 <http://goo.gl/bPBqur>2 <http://goo.gl/UVHeCg>

### فقرات من التفسير

قد اختلف أهل العلم في قوله: لا إكراه في الدين على أقوال: الأول أنها منسوخة؛ لأن رسول الله قد أكره العرب على دين الإسلام، وقتلهم، ولم يرض منهم إلا بالإسلام، والناسخ لها قوله تعالى: أياها النبي جاهد الكفار والمنافقين التوبة: 73، التحريم: 9 وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجذوا فيكم غلظة وأعلموا أن الله مع المتقين التوبة: 123 وقال: سئذعون إلى قوم أولى بأس شديد تقتلونهم أو يسلمون الفتح: 16، وقد ذهب إلى هذا كثير من المفسرين. القول الثاني: أنها ليست بمنسوخة، وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، بل الذين يكرهون هم أهل الأوثان، فلا يقبل منهم إلا الإسلام، أو السيف، وإلى هذا ذهب الشعبي، والحسن، وقتادة، والضحاك. القول الثالث أن هذه الآية في الأنصار خاصة، وسيأتي بيان ما ورد في ذلك. القول الرابع: أن معناها: لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف إنه مكره، فلا إكراه في الدين. القول الخامس: أنها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا على الإسلام. وقال ابن كثير في تفسيره: أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلي دلالة، وبراهينه لا تحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه، وختم على سمعه، وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً، وهذا يصلح أن يكون قولاً سادساً. وقال في الكشف في تفسيره هذه الآية: أي: لم يجر الله أمر الإيمان على الإكراه، والقسر، ولكن على التمكن، والاختيار، ونحوه قوله: ولو شاء ربك لأمّن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكفر بالإنسان حتى يكونوا مؤمنين يونس: 99 أي: لو شاء لقسرهم على الإيمان، ولكن لم يفعل، وبنى الأمر على الاختيار، وهذا يصلح أن يكون قولاً سابعاً.

والذي ينبغي اعتماده، ويتعين الوقوف عنده: أنها في السبب الذي نزلت لأجله محكمة غير منسوخة، وهو أن المرأة من الأنصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت يهود بني نضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فنزلت، أخرجه أبو داود، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في السنن، والضياء في المختارة عن ابن عباس. وقد وردت هذه القصة من وجوه، حاصلها ما ذكره ابن عباس مع زيادات تتضمن أن الأنصار: قالوا إنما جعلناهم على دينهم أي: دين اليهود، ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا، وأن الله جاء بالإسلام، فلنكرهم؛ فلما نزلت خير الأبناء رسول الله، ولم يكرهم على الإسلام، وهذا يقتضي أن أهل الكتاب لا يكرهون على الإسلام إذا اختاروا البقاء على دينهم، وأدوا الجزية.

وأما أهل الحرب، فالآية وإن كانت تعميم؛ لأن النكرة في سياق النفي، وتعريف الدين ببيان ذلك، والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لكن قد خص هذا العموم بما ورد من آيات في إكراه أهل الحرب من الكفار على الإسلام.

قوله: قد تبين الرشد من الغي الرشد هنا: الإيمان، والغي: الكفر أي: قد تميز أحدهما من الآخر. وهذا استئناف يتضمن التعليل لما قبله. والطاغوت: فعلوت من طغي يطغي، ويطغو: إذا جاوز الحد.

1 <https://goo.gl/ak3scK>

2 <http://goo.gl/ZqVFn6>

قال سيبويه: هو اسم مذكر مفرد أي: اسم جنس يشمل القليل، والكثير، وقال أبو علي الفارسي: إنه مصدر كرهبوت، وجبروت يوصف به الواحد، والجمع، وقلبت لأمه إلى موضع العين، وعينه إلى موضع اللام كجذب، وجذب، ثم تقلب الواو ألفاً لتحركها، وتحرك ما قبلها، فقيل: طاغوت، واختار هذا القول النحاس، وقيل: أصل الطاغوت في اللغة مأخوذ من الطغيان يؤدي معناه من غير اشتقاق، كما قيل: لآلئ من اللؤلؤ. وقال المبرد: هو جمع. قال ابن عطية: وذلك مردود. قال الجوهري: والطاغوت: الكاهن، والشيطان، وكل رأس في الضلال، وقد يكون واحداً. قال الله تعالى: يُرِيدُونَ أَنْ يَتَخَاكُمُوا إِلَى الْطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ النِّسَاء: 60 وقد يكون جمعاً. قال الله تعالى: أُولَئِكَ هُمُ الْطَّاغُوتُ والجمع الطواغيت أي: فمن يكفر بالشيطان، أو الأصنام، أو أهل الكهانة، ورؤوس الضلالة، أو بالجميع ويؤمن بالله عز وجل بعد ما تميز له الرشد من الغي، فقد فاز، وتمسك بالحبل الوثيق أي: المحكم. والوثقى: فعلى من الوثاقفة، وجمعها وثق مثل الفضلى، والفضل. وقد اختلف المفسرون في تفسير العروة الوثقى بعد اتفاهم على أن ذلك من باب التشبيه، والتمثيل لما هو معلوم بالدليل بما هو مدرك بالحاسة، فقيل: المراد بالعروة الإيمان. وقيل: الإسلام. وقيل: لا إله إلا الله، ولا مانع من الحمل على الجميع. والانقسام: الانكسار من غير بينونة. قال الجوهري: قسم الشيء: كسره من غير أن يبين. وأما القصم بالقاف، فهو الكسر مع البينونة، وفسر صاحب الكشاف الانقسام بالانقطاع.

قوله: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا الولي: فعيل بمعنى فاعل، وهو الناصر. وقوله: يُخْرِجُهُمْ تفسير للولاية، أو حال من الضمير في ولي، وهذا يدل على أن المراد بقوله: الَّذِينَ كَفَرُوا الذين أرادوا الإيمان؛ لأن من قد وقع منه الإيمان قد خرج من الظلمات إلى النور إلا أن يراد بالإخراج إخراجهم من الشبه التي تعرض للإيمان، فلا يحتاج إلى تقدير الإرادة، والمراد بالنور في قوله: يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ما جاء به أنبياء الله من الدعوة إلى الدين، فإن ذلك نور للكفار أخرجهم أولياؤهم عنه إلى ظلمة الكفر، أي: قررهم أولياؤهم على ما هم عليه من الكفر بسبب صرفهم عن إجابة الداعي إلى الله من الأنبياء.

وقيل: المراد: بالذين كفروا هنا: الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم يخرجهم أولياؤهم من الشياطين، ورؤوس الضلال من النور الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها إلى ظلمات الكفر التي وقعوا فيها بسبب ذلك الإخراج.

وقد أخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، عن سعيد بن جبيرة نحو ما تقدم، عن ابن عباس من ذكر سبب نزول قوله تعالى: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ وزاد: أن النبي خَيْرُ الأبناء. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن الشعبي نحوه أيضاً، وقال: فلحق بهم أي: ببني النضير من لم يسلم، وبقي من أسلم. وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد قال: كان ناس من الأنصار مسترضعين في بني قريظة، فثبتوا على دينهم، فلما جاء الإسلام أراد أهلهم أن يكرهوهم على الإسلام، فنزلت. وأخرج ابن جرير عن الحسن نحوه.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، عن ابن عباس في قوله: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً، فقال للنبي: ألا أستكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فنزلت. وأخرج عبد بن حميد، عن عبد الله بن عبيدة نحوه. وكذلك أخرج أبو داود في ناسخه، وابن جرير، وابن المنذر، عن السدي نحوه. وأخرج عبد بن حميد، وأبو داود في ناسخه، وابن جرير عن قتادة قال: كانت العرب ليس لها دين، فأكرهوا على الدين بالسيف. قال: ولا تكرهوا اليهود، ولا النصراني، والمجوس إذا أعطوا الجزية. وأخرج سعيد بن منصور عن الحسن نحوه. وأخرج البخاري عن أسلم: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي تسلمي، فأبت، فقال: اللهم اشهد، ثم تلا: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ وروى عنه سعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم أنه قال لزينب الرومي

غلامه: لو أسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين فأبى، فقال: لا إكراه في الدين. وأخرج ابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سليمان بن موسى في قوله: لا إكراه في الدين قال: نسختها جَلْهَدَ الْكُفْرَ وَالْمُنْفِقِينَ التوبة: 73.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: الطاغوت: الشيطان.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: الطاغوت الكاهن، وأخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: الطاغوت: الساحر. وأخرج ابن أبي حاتم عن مالك بن أنس قال: الطاغوت ما يعبد من دون الله. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: العروة الوثقى لا إله إلا الله. وأخرج ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك: أنها القرآن. وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد: أنها الإيمان، وعن سفيان: أنها كلمة الإخلاص. وقد ثبت في الصحيحين تفسير العروة الوثقى في غير هذه الآية بالإسلام مرفوعاً في تعبيره لرؤيا عبد الله بن سلام. وأخرج ابن عساکر عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، فإنهما حبل الله الممدود، فمن تمسك بهما، فقد تمسك بعروة الله الوثقى التي لا انفصام لها وأخرج ابن المنذر، عن ابن عباس قال: إذا وحد الله وآمن بالقدر فهي العروة الوثقى.

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن معاذ أنه سئل عن قوله: لا انفصام لها قال: لا انقطاع لها دون دخول الجنة. وأخرج ابن المنذر، والطبراني عن ابن عباس في قوله اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا الآية، قال: هم قوم كانوا كفروا بعبسى فأمنوا بمحمد والَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّغُوتُ الآية، قال: هم قوم آمنوا بعبسى، فلما بعث محمد كفروا به. وأخرج ابن جرير عن الضحاك قال: الظلمات الكفر والنور: الإيمان. وأخرج أبو الشيخ عن السدي مثله.

### فقرات من التفسير

لا إكْرَاةَ فِي أَدْبِينِ قِيلَ: إن هذه إلى قوله سبحانه: خَلِدُونَ البقرة: 257 من بقية آية الكرسي، والحق أنها ليست منها بل هي جملة مستأنفة جيء بها إثر بيان دلالات التوحيد للإيدان بأنه لا يتصور الإكراه في الدين لأنه في الحقيقة إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً يحمله عليه والدين خير كله، والجملة على هذا خبر باعتبار/ الحقيقة ونفس الأمر وأما ما يظهر بخلافه فليس إكراهاً حقيقياً، وجوز أن تكون إخباراً في معنى النهي أي لا تكرر هو في الدين وتجبروا عليه وهو حينئذ إما عام منسوخ بقوله تعالى: جَلِّدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ التوبة: 73 وهو المحكي عن ابن مسعود وابن زيد وسليمان بن موسى، أو مخصوص بأهل الكتاب الذين قبلوا الجزية - وهو المحكي عن الحسن وقتادة والضحاك - وفي سبب النزول ما يؤيده فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله تعالى فيه ذلك. وأل في (الدين) للعهد، وقيل: بدل من الإضافة أي دين الله وهو ملة الإسلام، وفاعل الإكراه على كل تقدير غيره تعالى، ومن الناس من قال: إن المراد ليس في الدين إكراه من الله تعالى وقسر بل مبنى الأمر على التمكين والاختيار ولولا ذلك لما حصل الابتلاء ولبطل الامتحان فالآية نظير قوله تعالى: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ الكهف: 29 وإلى ذلك ذهب القفال.

قَدْ تَبَيَّنَ أَلْرُّشْدُ مِنَ الْعَلْيِ تعليل صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه أي قد تميز بما ذكر من نعوته تعالى التي يمتنع توهم اشتراك الغير في شيء منها الإيمان من الكفر والصواب من الخطأ والرشد - بضم الراء وسكون الشين على المشهور مصدر - رشد - بفتح الشين يرشد بضمها، ويقراً بفتح الراء والشين، وفعله رشد يرشد مثل علم يعلم وهو نقيض - الغي - وأصله سلوك طريق الهلاك، وقال الراغب، هو كالجهل إلا أن الجهل يقال اعتباراً بالاقتقاد، والغي اعتباراً بالأفعال، ولهذا قيل: زوال الجهل بالعلم، وزوال الغي بالرشد، ويقال لمن أصاب: رشد، ولمن أخطأ غوى، ويقال لمن خاب: غوى أيضاً، ومنه قوله:

ومن يلق خيراً يحمد الناس أمره  
ومن يغو لم يعدم على الغي (لائماً)

فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّغُوتِ أي الشيطان وهو المروي عن عمر بن الخطاب والحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم وبه قال مجاهد وقتادة وعن سعيد بن جبير وعكرمة أنه الكاهن، وعن أبي العالية أنه الساحر، وعن مالك بن أنس كل ما عبد من دون الله تعالى، وعن بعضهم الأصنام، والأولى أن يقال بعمومه سائر ما يطغى، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الأقوال من باب التمثيل وهو بناء مبالغة كالجبروت والملوك، واختلف فيه فقيل: هو مصدر في الأصل ولذلك يوحد ويذكر كسائر المصادر الواقعة على الأعيان - وإلى ذلك ذهب الفارسي - وقيل: هو اسم جنس مفرد فلذلك لزم الأفراد والتذكير - وإليه ذهب سيبويه - وقيل: هو جمع - وهو مذهب المبرد - وقد يؤنث ضميره كما في قوله تعالى: وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا الزمر: 17 وهو تأنيث اعتباري واشتقاقه من طغى يطغى أو طغى يطغو ومصدر الأول: الطغيان. والثاني: الطغوان، وأصله على الأول: طغيوت، وعلى الثاني: طغوت فقدمت اللام وأخرت العين فتحرك حرف العلة وانفتح ما قبله فقبل

1 <https://goo.gl/Q5ITFF>

2 <http://goo.gl/inPtiI>

ألفاً فوزنه من قبل فعلوت والآن فلعلوت، وقدم ذكر الكفر بالطاغوت على ذكر الإيمان بالله تعالى اهتماماً بوجود التخلية أو مراعاة للترتيب الواقعي أو للاتصال بلفظ الغي.

وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَي يصدق به طبق ما جاءت به رسله عليهم الصلاة والسلام فَقَدِ اسْتَمْسَكَ أَي بالغ في التمسك حتى كأنه وهو متلبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وهي الإيمان - قاله مجاهد - أو القرآن - قاله أنس بن مالك - أو كلمة/ الإخلاص - قاله ابن عباس - أو الاعتقاد الحق أو السبب الموصل إلى رضا الله تعالى أو العهد، وعلى كل تقدير يجوز أن يكون في (العروة) استعارة تصريحية و(استمسك) ترشيح لها أو استعارة أخرى تبعية، ويجوز أن يجعل الكلام تمثيلاً مبنياً على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الحق الذي لا يحتمل النقيض بوجه أصلاً لثبوتها بالبراهين النبيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه من غير تعرض للمفردات، واختار ذلك بعض المحققين ولا يخلو عن حسن، وجعل العروة مستعارة للنظر الصحيح المؤدي للاعتقاد الحق - كما قيل - ليس بالحسن لأن ذلك غير مذكور في حيز الشرط أصلاً لَأَنْفِصَامَ لَهَا أَي لا انقطاع لها؛ والانقسام والانقسام لغتان وبالفاء أفصح - كما قال الفراء - وفرق بعضهم بينهما بأن الأول: انكسار بغير بينونة، والثاني: انكسار بها وحينئذ يكون انتفاء الثاني معلوماً من نفي الأول بالأولوية، والجملة إما مستأنفة لتقرير ما قبلها من وثاقة العروة وإما حال من (العروة)، والعامل (استمسك) أو من الضمير المستكن في (الوثقى) لأنها للتفضيل تأنيث الأوثق، ولها في موضع الخبر.

وَاللَّهُ سَمِيحٌ بِالْأَقْوَالِ عَلِيمٌ بِالْعَزَائِمِ وَالْعَقَائِدِ، والجملة تذييل حامل على الإيمان رادع عن الكفر والنفاق لما فيها من الوعد والوعيد، قيل: وفيها أيضاً إشارة إلى أنه لا بد في الإيمان من الاعتقاد والإقرار.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ اسْتِنْفَانِ مَنْقَطَعٍ عَنْ سَابِقِهِ وَالدِّينُ الْجَزَاءُ وَالْإِسْلَامُ وَالْعَادَةُ وَالْعِبَادَةُ وَالطَّاعَةُ وَالغَلْبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْمَلِكُ وَالْحَكْمُ وَالسَّيْرَةُ وَالتَّوْحِيدُ وَاسْمٌ لِجَمِيعِ مَا يَتَعَبَّدُ اللَّهُ بِهِ وَالْمَلَّةُ وَالْعَزَّةُ وَالذَّلَّةُ وَالْمَرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْإِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ طَرِيقُ الْآخِرَةِ، أَوْ الْمَرَادُ الْإِيمَانُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي هُوَ الْبَيْعَةُ الْخَاصَّةُ الْوَلَايَةُ الَّتِي يُعَبِّرُ عَنْهَا بِالْوَلَايَةِ، أَوْ الْمَرَادُ السَّلْوَكُ إِلَى الْآخِرَةِ بِالْإِيمَانِ، وَلِذَلِكَ نَفَى الْإِكْرَاهَ عَنْهُ وَالْأَفَالِدِينَ بِمَعْنَى مُطْلَقِ الْإِسْلَامِ أَوْ الْعِبَادَةِ أَوْ الطَّاعَةِ أَوْ السَّيْرَةِ أَوْ الْمَلَّةِ كَثِيرًا مَا كَانَ يَحْصُلُ بِالسَّيْفِ كَمَا قَالَ (ص): أَنَا نَبِيُّ السَّيْفِ، وَأَمَّا الْإِسْلَامُ الْحَقِيقِيُّ وَالْإِيمَانُ الْحَقِيقِيُّ وَالسَّلْوَكُ إِلَى الْآخِرَةِ فَلَا يُمْكِنُ الْإِكْرَاهُ فِيهَا لِأَنَّهَا أَمْرٌ مَعْنَوِي لَا يَتَصَوَّرُ الْإِكْرَاهَ الْجِسْمَانِي فِيهَا، أَوْ نَقُولُ: لَيْسَ الدِّينُ إِلَّا الْوَلَايَةُ الَّتِي هِيَ الْبَيْعَةُ الْخَاصَّةُ الْوَلَايَةُ وَقَبُولُ الدَّعْوَةِ الْبَاطِنَةِ، وَمَا سِوَاهَا يُسَمَّى بِالذِّينِ لِكُونِهِ مَقْدَمَةً لَهَا، أَوْ مُسَبَّبًا عَنْهَا، أَوْ مُشَاكَلًا لَهَا، وَلَا إِكْرَاهَ فِي الْوَلَايَةِ، أَوْ الْمَعْنَى لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ بَعْدَ تَمَامِيَةِ الْحُجَّةِ بِقَبُولِ الرِّسَالَةِ وَتَنْصِيصِ الرِّسُولِ (ص) عَلَى صَاحِبِ الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ أَي تَمَيَّزَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَيِّ اسْتِنْفَانِ فِي مَقَامِ التَّعْلِيلِ أَوْ حَالِ الْمَعْنَى لَا يَكْرَهُ أَحَدٌ فِي الدِّينِ بِالنَّفْيِ أَوْ لَا يَكْرَهُ بِالنَّهْيِ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْإِخْبَارُ فِي مَعْنَى النَّهْيِ لَتَمَيَّزَ الرَّشْدُ أَوْ حَالَهُ تَمَيَّزَ الرَّشْدُ مِنَ الْعَيِّ وَفِي الْإِخْبَارِ إِشَارَاتٌ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ لَا إِكْرَاهَ فِي الْوَلَايَةِ عَلَى (ع) فَمَنْ يَكْفُرُ عَطْفَ عَلَى سَابِقِهِ وَالْفَاءُ لِلتَّرْتِيبِ فِي الْإِخْبَارِ أَي فَنَقُولُ: مَنْ يَكْفُرُ أَوْ جَزَاءً لَشَرِّهِ مَقْدَرٌ وَالتَّقْدِيرُ إِذَا تَبَيَّنَ الرَّشْدُ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاعُوتِ فَقَدْ تَوَسَّلَ بِالرَّشْدِ الْمَعْلُومِ لَهُ فَلَا يَزُولُ وَلَا يَنْفَصِمُ تَوَسَّلَهُ لِعِلْمِهِ التَّحْقِيقِيِّ الَّذِي لَا زَوَالَ لَهُ، وَالطَّاعُوتُ فِي الْأَصْلِ طَغْيُوتٌ مِنَ الطَّغْيَانِ فَلَقَبَ فَصَارَ فَلَعُوتٌ وَالتَّاءُ زَائِدَةٌ لِغَيْرِ التَّأْنِيثِ فِيهِ وَفِي نَظَائِرِهِ وَلِذَا تَكْتَبُ بِالتَّاءِ وَتَثْبِتُ فِي الْجَمْعِ فَيَقَالُ طَوَاغِيتٌ وَطَوَاغَتْ وَقَدْ تَكْتَبُ بِالِهَاءِ مِثْلَ جَبْرُوتٍ وَطَاغُوتٍ وَتَسْقُطُ مِنَ الْجَمْعِ مِثْلُ طَوَاغٍ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ لِلتَّأْنِيثِ وَيَجْرِي عَلَى الْفَاضِلِ أَحْكَامُ التَّأْنِيثِ وَهَذِهِ الْهَيْئَةُ لِلْمَبَالِغَةِ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ سِوَاءِ جَعَلْتُ مَصْدَرًا مِثْلَ رَحْمُوتٍ وَرَهْبُوتٍ وَرَغْبُوتٍ وَجَبْرُوتٍ أَوْ اسْمِ الْمَصْدَرِ، وَسِوَاءِ اسْتَعْمَلْتُ فِي مَعْنَى الْحَدِثِ أَوْ فِي مَعْنَى الْوَصْفِ مِثْلَ الطَّاعُوتِ، وَفَسَّرَ الطَّاعُوتُ بِالشَّيْطَانِ وَالكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ وَالْمَارِدِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالصَّنَمِ وَكُلِّ مَا عِبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَقُّ أَنَّ الطَّاعُوتِ يَشْمَلُ النَّفْسَ الْإِمَارَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ وَكُلَّمَا يَتَّبِعُهُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالْإِنْسَانِ وَالْجِنَّةِ وَالْكُهْنَةِ وَالسَّحَرَةِ وَرُؤَسَاءِ الضَّلَالَةِ جَمِيعًا وَالْآيَةُ فِي شَأْنِ الْوَلَايَةِ عَلَى (ع) وَالْمَقْصُودُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى وَيُؤْمِنُ بِاللهِ الْإِيمَانُ الْخَاصُّ الَّذِي لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْبَيْعَةِ عَلَى يَدِ عَلِيِّ (ع) فَإِنَّ الْإِيمَانَ الْعَامَّ الَّذِي يَحْصُلُ بِالْبَيْعَةِ الْعَامَّةِ النَّبَوِيَّةِ لَا يَدْخُلُ بِهِ شَيْءٌ فِي الْقَلْبِ فَلَا يَتَوَسَّلُ بِشَيْءٍ حَتَّى يَصِحَّ أَنْ يَتَرْتَّبَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفَصَامَ لَهَا جَمْلَةٌ حَالِيَةً أَوْ جَوَابَ لِسُؤَالٍ مَقْدَرٍ.

تحقيق الاستمسك بالعروة الوثقى وبيان العروة الوثقى

اعلم أنّ امر الولاية التي هي عبارة عن البيعة الخاصة بالولاية والاتصال بولي الامر بعقد اليمين اجل وارفع من ان يوصف لان صورتها وان كانت من الاعمال الجسمانية المحسوسة لكن الاتصال الروحاني الحاصل بها امر غيبي لا يدرك بالابصار ولا يتوهم بالامثال ولا يتعقل بالعقول لأنه لا حد له ولا رسم ولا كيف له ولا كم بل هو كما قال المولوي قدس سره:

1 <http://goo.gl/3qcFwS>

2 <http://goo.gl/2iS628>



اتصالي بي تكيف بي قياس هست رب الناس رابا جان ناس  
وللاشارة الى ان هذا الاتصال ليس الا لمن قبل الولاية بالبيعة الخاصة الاولى قال المولوي:

ليك كفتم ناس من نسانس ني ناس غير جان جان اشناس ني  
فلا بد من التمثيل والتشبيه اذا اريد التنبيه عليه فنقول: ان الانسان يزداد في جوهر ذاته من اول تولده وليس استكمالها بمحض الازدياد في كفيته كما قيل وكلما ازداد في ذاته وحصل له فعلية من فعليات طريقه المؤدى الى فعليات انسانيته صار اسم الانسانية واسم شخصه اسماً لتلك الفعلية وصارت الفعليات السابقة فانية ومغلوبة لتلك الفعلية فاذا بلغ الى مقام عقله الذي هو مناط التكليف والتدبير صار قابلاً لتصرف الشيطان وتصرف الملك والرحمن ولا ينعقد قلبه على شيء منهما بمعنى انه لا يتمكن الشيطان من التصرف فيه ولا الملك ما لم يرد الولاية فتتعقد فعلياته بتصرف الشيطان او لم يقبلها فتتعقد فعلياته بولي امره فهو حينئذ كالنحلة التي لا تثمر الا بالتأبير وكشجرة الفستق الذي لا يصير فستقه ذا لب الا بالتلقيح، او كاللبن الذي لا ينعقد الا بالإنفحة فاذا انعقد قلبه على الولاية صار كل فعل وفعلية له منعقداً بالولاية وجميع فعلياته مغلوباً ومحكوماً بحكم فعلية الولاية وصار اسم الانسانية واسم شخصه اسماً لفعلية الولاية وفعلية الولاية كما سبق تحقيقها عند قوله: وبألو الدين إحساناً الإسراء: 23؛ نازلة ولي الامر، وبذلك النازلة يتحقق نسبة الابوة والبنوة بين التابع والمتبوع، ونسبة الاخوة بين الاتباع، وبهذه النسبة قال عيسى (ع): انا ابن الله، وقال: كل من حصل له تعبد التوبة على يدى او ايدي خلفائي فهو ابن الله، ولذلك قالت النصارى: نحن ابناء الله ولولا تنزل ولي الامر في وجود المولى عليه لم يتحقق شيء لتصحیح تلك النسبة وقد اشار المولوي الى حصول تلك وتصحيحها بقوله:

هست اشارات محمد المراد كل كشاد اندر كضشاد اندر كشاد  
صد هزاران آفرين برجان او بر قدوم ودور فرزندان او  
آن خليفه زاد كان مقبلش زاده اند از عنصر جان دلش  
كرز بغداد وهري يا از ريند بي مزاج آب وكل نسل ويند  
عيب جويان را از اين دم كوردار هم بستارى خود أي كرد كار

ولكون الفعليات والافعال بدون الولاية قشوراً خالية من الالباب ورد لو ان عبداً عبد الله تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية ولي امره او ولاية على بن ابي طالب (ع) لأكتبه الله على منخره في النار وغير ذلك من الاخبار المفيدة لهذا المضمون، ولكون تلك الولاية عبارة عن الاعمال البدنية جعلت قرين الصلاة والزكاة والحج والصوم في الاخبار الدالة على ان الاسلام بني على خمس، ولكونها اصل الكل واصل جميع الخيرات كما عرفت ورد في بعض الاخبار انها افضل وانها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن، وفي بعضها: لم يناد بشيء ما نودي بالولاية؛ فاخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعنى الولاية، وفي بعضها: من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية، وأحوج ما يكون الى معرفته اذا بلغت نفسه هاهنا؛ وأهوى بيده الى صدره، وفي بعضها: ان الله فرض على خلقه خمساً فرخص في اربع ولم يرخص في واحدة، وفي بعضها: حب على حسنة لا يضرب معها سيئة، وفي بعضها: اذا عرفت فاعمل ما شئت من قليل الخير وكثيره، وغير ذلك من الاخبار الدالة على فضائل الولاية، ونقل عن ابن ابي يعفور في بيان آخر الآية انه قال: قلت لأبي - عبد الله (ع) اني اخاطب الناس فيكثر عجبني من اقوام لا يتولونكم ويتولون فلاناً وفلاناً لهم امانة وصدق ووفاء، واقوام يتولونكم ليست لهم تلك الامانة ولا الوفاء ولا الصدق قال: فاستوى ابو عبد الله جالساً فأقبل على كالعضباني ثم قال: لا دين لمن دان الله بولاية امام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان الله بولاية امام عادل من الله، قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟ - قال: نعم، ثم قال (ع): الا تسمع لقول الله: عز وجل لله ولي الذين آمنوا يخروا لهم من الظلمات إلى النور يعنى من ظلمات الذنوب الى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله

عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاعُوتُ يُخْرَجُونَهُمْ مِّنَ الثُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ البقرة: 257  
أثما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الاسلام فلما ان تولوا كل امام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم  
من نور الاسلام الى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار وفي خبر: فأعداء عليّ (ع) امير  
المؤمنين هم الخالدون في النار وان كانوا في ادبياتهم على غاية الورع والزهد والعبادة، والحاصل  
ان وليّ عليّ لا يأكل الا الحلال وعدوّ عليّ (ع) لا يأكل الا الحرام، ومن لم يكن ذا ولاية وعداوة  
لا يحكم عليه بحليّة ولا حرمة؛ وكان مرجي لأمر الله، وقوله تعالى: أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُجِلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةٌ  
الأنعام المائدة: 1 بتعليق احلال البهيمه على الوفاء بالعقود اشارة الى البيعة مع عليّ بالخلافة في  
غدير خمّ وجمع العقود لانهم عقدوا البيعة في ذلك اليوم في ثلاثة مواطن وورد في عشرة مواطن  
للتأكيد المطلوب في هذا الامر وقوله تعالى: الْيَوْمَ يَبَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمُ المائدة: 3، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ  
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا المائدة: 3، الْيَوْمَ أَجَلٌ لَّكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ  
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ جَلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ جَلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ  
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمُ المائدة: 5 بتعليق بأس الكفار واكمال الدين واتمام النعمة والرّضا بالاسلام  
ديناً واحلال الطيبات والمحصنات من النساء على يوم البيعة مع عليّ (ع) في غدير خمّ بدلّ على  
ان لا حليّة لشيء بدون الولاية، وقد مرّ مراراً انه كلما ذكر عهد وعقد وميثاق ويمين فالتنظر أولاً  
الى عقد البيعة وخصوصاً البيعة الخاصة بالولاية، وكلّما ذكر نقض عقد وعهد وميثاق فالمقصود  
عقد البيعة ولا سيّما الولاية؛ والحاصل انّ الانسان بمنزلة المادّة للولاية، والولاية صورته وفعليته  
فما لم ينعقد بالولاية لم يكن له فعلية الانسانية، واذا انعقد بالولاية حصل له الانسانية وتمّ له الفعلية  
فكأنه قبل الولاية لم ينفخ فيه روح الحياة وكان ميتاً (افمن كان ميتاً فأحييناه) يعنى بالولاية اشارة  
الى ما ذكر، وقوله (ع): الناس موتى واهل العلم أحياء؛ اشارة اليه فان اهلية العلم منحصرة بهم  
وبشيعتهم كما قالوا: شيعتنا العلماء بطريق الحصر فكلّ نعمة وخير وصلاح نعمة وخير وصلاح  
بالولاية، والا كان نعمة وشرّاً وفساداً كائناً ما كان، وبالولاية احياء النسل والحرث واصلاح الارض  
وعمارتها، وبردّها اهلاك النسل والحرث وفساد الارض وخرابها، وهي ذروة الامر وسنانه  
ومفتاح الاشياء وباب الابواب ورضى الرّحمن وجنة الرضوان واصل الخيرات واساس الحسنات،  
وهي الحكمة التي من اوتيتها فقد اوتى خيراً كثيراً، وهي رحمة الله وبها يكون فضل الله وقوام النبوّة  
والرّسالة، ومن عرف من امة محمّد (ص) واجب حقّ ولايته وجد طعم حلاوة ايمانه وعلم فضل  
طلاوة اسلامه، بها دين العباد وبنورها استهلال البلاد، وبركرتها نموّ التلاد، وهي حياة الانام،  
ومصباح الظلام، ومفتاح الكلام، ودعامة الاسلام، وبالجملة الانسان غاية خلق العالم والولاية غاية  
خلق الانسان والله سميعٌ جملة حالية للنّزغيب في الايمان بالله كأنه قال: فقد استمسك بالعروة الوثقى  
مع انّ الله الذي آمن به سميعٌ لأقواله عليّمٌ بأفعاله فيجزيه بها.

### فقرات من التفسير

لا إكراه في الدين: أي لا يؤخذ أحد فيحبس لبسلم أو يضيق عليه بمنعه من ماله ويترك هو حتى يسلم، وذلك إذا كان ابتداءً عليه، وأما إن دخل الكتابي الذمي أمراً يؤذن بالإيمان فلا يترك حتى يسلم مثل أن يؤذن أو تقيم حتى يقول محمد رسول الله، أو يدخل المسجد على ما بسطة في شرح النيل ولا تشمل الآية لأنه لما دخل في ذلك الأمر أشعر بالإيمان، وإنما أمر بإتمامه إزالة للاشتباه، إذ لا سبيل لقتله، وأما غيره من أهل الكتاب والمجوس فسبيله أن يسلم أن يعطى الجزية والإقتل، وأما غير أهل الكتاب والمجوس، فإن لم يسلموا قتلوا فلا يحبس كتابي في ذلك إكراه على الدين، وكذا لا يكره مخالف أن يدين بديانتنا. قال ابن عباس: كانت المرأة من الأنصار إذا كان الولد لا يعيش لها نذرت إن عاش جعلته في اليهود في دينهم، وزوجها أيضاً من الأنصار، وقيل: إن الأنصار تزوجوا يهوديات، فكن ينذرن أن يجعلن أولادهن في دينهن، فجاء الإسلام، وفي اليهود جماعة فمن نذر به وجعل فيهم، فلما أجليت النظير أردت الأنصار استردادهم، وقالوا هم، وقالو هم أبناءنا وإخواننا، فنزل: لا إكراه في الدين الآية فقال: قد خيركم أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فأجلوهم معهم، وعن سعيد بن جبير: كان قوم من أصحاب النبي استرضعوا أولادهم في اليهود زمان الجاهلية، فلما أسلم الأباء وقد كبر أبناءهم على اليهودية، أرادوا أن يكرهوا أبناءهم على الإسلام، فنزلت الآية. قال مجاهد: أرضعت نظير رجالاتنا من الأوس، فلما مر النبي بإجلانهم قالوا لنذهبن معهم ولنديننن بدينهم فمنعهم أهلهم وأكرهوهم للإسلام، فنزلت، وقيل: كان لابن الحصين من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنان تنصرا، قدم المدينة نفر من الأنصار يحملون الزيت من الشام بعد قدوم النبي المدينة، فقال أبو همالا أدعكما حتى تسلما فاختموا إلى النبي وقال: يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ فنزلت. فجلاهما، وقال ابن مسعود والزهرى وزيد بن أسلم: إن معنى الإكراه في الدين نهى عن القتال، فعليه فهي منسوخة بأية السيف، وقال قتادة والضحاك: المعنى لا يكره أهل الكتاب والمجوس على الإسلام بالسيف، بل تقبل عنهم الجزية إلا إن أبوا منها قتلوا كتب النبي إلى عامله المنذر بن فلان أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية وهي على أصلها، أي لا إكراه في الأحكام الشرعية من التوحيد وما دونه، أي ليس فيها شيء يكره عليه، أو المراد بالدين التوحيد، ويجوز كونها بمعنى على، أي لا إكراه ثابت على الدين، أي على الدخول فيه واللفظ خبر، ومعناه نهى، أي لا تكرر في الدين أو معناه أيضاً خبر أي ليس من الحكمة أو من دين الله أن يكره كافر على الدين.

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ: ظهر بالآيات أن الإيمان هو الرشد، وأن الكفر ضلال في الدين، والرشد يوصل إلى سعادة الدارين، والضلال إلى شقاوتهما، فمن أدرك عقله بادر إلى الإسلام واجتنب الكفر بلا إكراه. والغى: مصدر غوى يغوى إذا ضل في اعتقاد أو رأى، وأما في غير ذلك كضلال في الأرض أو غيرها كالحساب فلا يقال فيه غي.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ: أي جحد استحقاقه العبادة وهو الشيطان، وهو جنس الشياطين، وهو قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومجاهد وقتادة، وقيل الصنم، والمراد جنس الأصنام، وقيل الساحر وهو جنس السحرة، وقيل الكاهن، والمراد جنس الكهنة، ويطلق على الواحد والجمع، فلا حاجة إلى

<sup>1</sup> <http://goo.gl/xAuX38>

<sup>2</sup> <http://goo.gl/ldUKra>

تأويل الجنس، وقيل كل ما عبد من دون الله ونسب لأهل اللغة كلهم، والمراد غير العاقل، والعاقل الداعي إلى عبادة نفسه كالشيطان ونمرود وفرعون، وأما من عبد من دون الله بلا رضا منه كالملائكة وعيسى فلا يشمل هذا الاسم، ثم رأيت من تعرض لذلك، فزعم أنه يشمل فيسمى طاغوتا في حق العبد، كما أن الصنم وما ليس عاقلا وعبد من دون الله ليس فيه طغيان، وإنما الطاعي عابده كالشمس والقمر، وقيل كلما يطغى الإنسان فهو طاغوت، وقيل كلما عبد من دون الله أوصد عن عبادة الله كالهوى فهو طاغوت، ولفظ طاغوت مصدر سمي به وزنه فعلوت بتقديم اللام على العين، وأصل هذا يغبوت وطوغوت قلبت الياء أو الواو قيل الغين ألفا لتحركها بعد فتحة، وأصل هذا طغوت أو طغيوت تقدمت الواو أو الياء على الغين فقلبت ألفا كما ترى.

ويؤمن بالله: بأن وحده وصدق رسله فيعبد الله وحده مخلصاً، وأما كافر آمن بالله وبغيره من الطواغيت فليس بمؤمن.

فَقَدِ اسْتَمْسَكَ: أي تمسك تمسكا قويا، فالاستفعال للمبالغة ويجوز إبقاءه على أصله وهو الطلب، إما باعتبار ما تقدم تمسكه من القصد والإرادة، وإما باعتبار أنه ليس على وثوق من السعادة، لإمكان انقلابه إلى الكفر أو المعاصي وهو ما دام حيا يطلب أن يكون قد مسك بها.

بِالْعَزْوَةِ الْوُثْقَى: دين الله، شبهه بالعروة الوثيقة من حبل صحيح أو حديد قوى لا يسقط من تمسك بها، وقال مجاهد: العروة الوثقى الإيمان وهو التصديق بالله ورسله وكتبه، وقال السدي: الإسلام أي العمل الصالح مع الإيمان، وقال ابن جبير وغيره: لا إله إلا الله، وذلك يرجع بعضه لبعض، لأن الإيمان الكامل وقوله لا إله إلا الله يستلزمان العمل الصالح وقيل العروة الوثقى الإيمان النظر الصحيح، وقيل الدلائل الدالة على هذا الدين القويم، والوثقى مؤنث اسم التفضيل وهو الأوثق ففيه تفضيل.

لا انْفِصَامَ لَهَا: أي لا انقطاع لها، يقال فصمته فانفصم مطاوع الفصم، كما انفصم مطاوع فصم، ومعناه الانكسار من غير تفرق، وأما الانفصام بالقاف فانكسار بتفرق، فإذا لم يكن لها انفصام بالفاء فأحرى ألا يكون لها انفصام بالقاف، وقد يطلق بالقاف على الانكسار بالتفرق وقوله في حديث الوحي: فينقصم عنى محتمل له ومحتمل للاتصال باعتبار بقاء الموحى معه بعد ذهاب جبريل، قال الحسن: لا انفصام لها دون أن تهجم بأهلها على الجنة. وَاللَّهُ سَمِيعٌ: بالأقوال، ومنها دعاءك يا محمد إياهم للإسلام. عَلِيمٌ: للأفعال والنبات، فهو معاقب للمنافق ومثيب لناوى الخير.

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ قَالَ ابْن كثير: أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلالة وبراهينه. لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه. بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة. ومن عمى قلبه فإنه لا يفيد الدخول فيه مكرهاً مقسوراً: فالنفي بمعنى النهي. وهو ما ذهب إليه في تأويل الآية كثير. وذهب آخرون إلى أنه خبر محض. أي أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإيجاب والقسر وإنما بناه على التمكين والاختيار.

قال القفال - موضحاً له - لما بين تعالى دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعدر، أخبر بعد ذلك أنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر، إلا أن يُقسر على الإيمان ويجبر عليه. وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان. ونظير هذه الآية قوله تعالى: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ الكهف: 29. وقوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يونس: 99. وقوله تعالى: لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* إِنْ تَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ الشعراء. 4-3 :

### تنبيه

عُلم من هذه الآية أن سيف الجهاد المشروع في الإسلام والذي لا يبطله عدل عادل ولا جور جانر لم يستعمل للإكراه على الدخول في الدين. ولكن لحماية الدعوة إلى الدين والإذعان لسلطانه وحكمه العدل.

فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ أَي: بالشيطان. أي بما يدعو إليه من عبادة الأوثان وَوَيْؤْمِنَ بِاللهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا أَنْفِصَامَ لَهَا أَي: فقد تمسك من الدين بأقوى سبب. وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم. هي في نفسها محكمة مبرمة قوية. وربطها قوي شديد. وجملة لَا أَنْفِصَامَ لَهَا إما استئناف مقرر لما قبلها، وإما حال من (العروة) والعامل اسْتَمْسَكَ أو من الضمير المستتر في الْوُثْقَى وإما صلة لموصول محذوف أي التي. نقله الرازي.

وقد روى الشيخان عن عبد الله بن سلام قال: رأيت رؤيا على عهد رسول الله. رأيت كأنني في روضة خضراء وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء. في أعلاه عروة. فقيل لي: اصعد عليه. فقلت: لا أستطيع. فجاءني منصف - أي وصيف - فرفع ثيابي من خلفي فقال: اصعد فصعدت حتى أخذت بالعروة. فقال: استمسك بالعروة، فاستيقظت وإنها لفي يدي. فأتيت رسول الله فقصصتها عليه. فقال: أما الروضة: فروضة الإسلام. وأما العمود: فعمود الإسلام. وأما العروة: فهي العروة الوثقى. أنت على الإسلام حتى تموت وَأَللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ اعتراض تذييلي حامل على الإيمان، رادع عن الكفر والنفاق، بما فيه من الوعد والوعد.

<http://goo.gl/0y80lr>

1

<http://goo.gl/TjVTFU>

2

## فقرات من التفسير

المفردات: الرشد بالضمّ والتحرك إصابة وجه الأمر ومحجّة الطريق والهدى إصابة الثاني فهو أخصّ من الرشد ومثله الرشاد ويستعمل في كلّ خير وضده الغي. والطاغوت مصدر الطغيان ومبعثه، وهو مجاوزة الحد في الشيء وهو صيغة مبالغة كالملكوت من الملك أو مصدر. ويصحّ فيه التذكير والتأنيث والإفراد والجمع بحسب المعنى. والعروة من الدلو والكوز المقبض ومن الثوب مدخل الزر ومن الشجر الملتف الذي تشتمو فيه الإبل فتأكل منه حيث لا كلاً ولا نبات أو هو ما لا يسقط ورقه كالأراك والسدر أو ما له أصل باق في الأرض. أقوال يدل مجموعها على أنّ العروة هي ما يمكن الانتفاع به من الشجر في كلّ فصل لثباته وبقائه وقالوا إذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية يعنون ما له أصل باق كالنصي والعرفج وأجناس الخلّة والحمض. والوثقى: مؤنث الأوثق، وهو الأشدّ الأحكم والموثق من الشجر ما يعول عليه الناس إذا انقطع الكلاً والشجر وأرض وثيقة كثيرة العشب يوثق بها. والانفصام الانكسار والانتقاع، مطاوع فصمه أي كسره أو قطعه ولم يبينه. (سبب النزول) روى أبو داود والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة (أي لا يعيش لها ولد) فتجعل على نفسها إن عاش لها أن تهوّده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله لا إكراه في الدين وأخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال نزلت لا إكراه في الدين في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له إبنان نصرانيان وكان هو مسلماً فقال للنبي: ألا أستكرههما فأتتهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية.

وفي بعض التفاسير أنّه حاول إكراههما فاختصموا إلى النبي فقال يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر؟ ولابن جرير عدّة روايات في نذر النساء في الجاهلية تهويد أولادهن ليعيشوا وأنّ المسلمين بعد الإسلام أرادوا إكراه من لهم من الأولاد على دين أهل الكتاب على الإسلام فنزلت الآية فكانت فصل ما بينهم. وفي رواية له عن سعيد بن جببر أن النبي قال عندما أنزلت: قد خير الله أصحابكم فإن اختاروكم فهم منكم وإن اختاروهم فهم منهم.

التفسير: أقول هذا هو حكم الدين الذي يزعم الكثيرون من أعدائه - وفيهم من يظنّ أنّه من أوليائه - أنّه قام بالسيف والقوة فكان يعرض على الناس والقوة عن يمينه فمن قبله نجا ومن رفضه حكم السيف فيه حكمه.

فهل كان السيف يعمل عمله في إكراه الناس على الإسلام في مكّة أيام كان النبي يصلي مستخفياً وأيام كان المشركون يفتنون المسلم بأنواع من التعذيب ولا يجدون رادعاً حتى اضطرّ النبي وأصحابه إلى الهجرة؟ أم يقولون إن ذلك الإكراه وقع في المدينة بعد أن اعتزّ الإسلام وهذه الآية قد نزلت في غرة هذا الاعتزاز فإنّ غزوة بني النضير كانت في ربيع الأول من السنة الرابعة وقال البخاري: إنّها كانت قبل غزوة أحد التي لا خلاف في أنّها كانت في شوال سنة ثلاث وكان كفار مكّة لا يزالون يقصدون المسلمين بالحرب. نقض بنو النضير عهد النبي فكادوا له وهموا باغتياله مرتين وهم بجواره في ضواحي المدينة فلم يكن له بد من إجلائهم عن المدينة، فحاصرهم حتى

1 <https://goo.gl/lxagUJ>2 <http://goo.gl/qSuJ6F>3 <https://goo.gl/bo1Jpb>

أجلاهم، فخرجوا مغلوبين على أمرهم ولم يأذن لمن استأذنه من أصحابه بإكراه أولادهم المتهودين على الإسلام ومنعهم من الخروج مع اليهود. فذلك أول يوم خطر فيه على بال بعض المسلمين الإكراه على الإسلام. وهو اليوم الذي نزل فيه لا إكراه في الدين.

قال الأستاذ الإمام: رحمه الله تعالى كان معهوداً عند بعض الملل - لا سيما النصارى - حمل الناس على الدخول في دينهم بالإكراه. وهذه المسألة ألصق بالسياسة منها بالدين لأن الإيمان هو أصل الدين وجوهره عبارة عن إذعان النفس ويستحيل أن يكون الإذعان بالإلزام والإكراه. وإنما يكون بالبيان والبرهان ولذلك قال تعالى بعد نفي الإكراه: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أَي قَدْ ظَهَرَ أَنَّ فِي هَذَا الدِّينِ الرُّشْدَ وَالْهُدَى وَالْفَلَاحَ وَالسَّبِيلَ فِي الْجَادَةِ عَلَى نُورٍ، وَأَنَّ مَا خَالَفَهُ مِنَ الْمَلْلِ وَالنَّحْلِ عَلَى غِيٍّ وَضَلَالٍ. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَهُوَ كُلُّ مَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ سَبَباً لِلطَّغْيَانِ وَالخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ مَخْلُوقٍ يَعْبُدُ، وَرئيس يَفْقَدُ، وَهُوَ يَتَّبِعُ، وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَلَا يَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، وَلَا يَرْجُو غَيْرَهُ وَلَا يَخْشَى سِوَاهُ، يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ لِدَانَتِهِ، وَبِمَا سَنَى مِنَ الْأَسْبَابِ وَالسَّنَنِ فِي عِبَادَتِهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا. أَقُولُ: أَي فَقَدْ طَلَبَ أَوْ تَحَرَّى بِاعْتِقَادِهِ وَعَمَلِهِ أَنْ يَكُونَ مَمْسُكاً بِأَوْثَقِ عَرَى النِّجَاةِ، وَأُثْبِتُ سَبَابَ الْحَيَاةِ، أَوْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِأَوْثَقِ الْعَرَى، وَبَالَغَ فِي التَّمَسُّكِ بِهَا، وَقَالَ الْأُسْتَاذُ الْإِمَامُ: الْاسْتِمْسَاكُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى هُوَ الْاسْتِقَامَةُ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ الْقَوِيمِ الَّذِي لَا يَضِلُّ سَالِكُهُ، كَمَا أَنَّ الْمُتَعَلِّقَ بِعُرْوَةٍ هِيَ أَوْثَقُ الْعَرَى وَأَحْكَمُهَا فَتَلَا لَا يَقَعُ وَلَا يَتَقَلَّتْ. وَقَدْ حَذَفَ لَفْظَ الَّذِي وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ عَنِ الْعَرَبِ فِي مَثَلِ هَذَا الْكَلَامِ، وَأَقُولُ: أَفَادَ كَلَامُهُ أَنَّ الْعُرْوَةَ فِي الْآيَةِ مُسْتَعَارَةٌ مِنْ عُرْوَةِ الثُّوبِ وَيُنَاسِبُهُ الْانْفِصَامُ، وَلَعَلَّ الْأَقْرَبَ أَنْ يَرَادَ بِهَا عُرْوَةُ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ فَهِيَ الَّتِي لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهَا بِالْقَطْحِ وَالْجَدْبِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْمَبَالِغَ بِالتَّمَسُّكِ بِهَذَا الْحَقِّ وَالرُّشْدِ كَمَنْ يَأْوِي بِنِعْمَةِ إِلَى ذَلِكَ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُهُ وَلَا يَفْنَى عِلْفُهُ.

فإذا نزل الجذب والقحط بمن يعتمدون على الشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، كان هو معتصماً بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أي إن صاحب هذه العروة يجد فيها السعادة الدائمة دون غيره. ومما خطر لي عند الكتابة الآن: أن عروة الإيمان إذا كانت لا تنقطع بالمستمسك بها فهو لا يخشى عليه الهلكة إلا إذا كان هو الذي تركها. فإذا كان الإيمان بالله وما يتبعه من الآثار في صفات صاحبه وأعماله من أسباب الثبات والاستقرار في الوجود لأنه هو الحق والخير الموافق لمصالح العالم، فلا شك أن شدة التمسك به هي العصمة من الهلاك والسبب الأقوى للثبات والاستقرار في الملك والسيادة والسعة في هذه الحياة الدنيا وللبقاء الأبدي في الحياة الأخرى. والتعبير بالاستمسك يدل على أن من لم يكفر بجميع مناشيء الطغيان، ويعتصم بالحق اليقين من أصول الإيمان، فهو لا يعد مستمسكاً بالعروة الوثقى وإن انتمى في الظاهر إلى أهلها، أو الم بها إمام الممسك بها، فالعبرة بالاعتصام والاستمسك الحقيقي، لا بمجرد الأخذ الضعيف الصوري، والانتماء القولي والتقليدي، والله سميع لأقوال مدعي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله بالسنتهم، عليهم بما تكفهم مما يصدق ذلك أو يكذبهم فهو يجزيهم وصفهم فمن شهد بقوة إيمانه جميع الأسباب والسنن الكونية مسخرة بحكمة الله تعالى مسيرة بقدرته وأنه لا تأثير لسواها إلا لوضعها والفاعل بها فهو المؤمن حقاً وله جزء المستمسك بالعروة الوثقى، ومن كان منظوياً على شيء من نزغات الوثنية، ناحلاً ما جهل سره من عجائب الخلق قوة غير طبيعية، يتقرب إليها أو يتقرب بها إلى الله زلفي، فهو غير معتصم بالعروة الوثقى، وله جزء الكافرين، الذين يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين.

وقال الأستاذ الإمام: إن هذه الجملة والله سميع عليهم تذكر للترغيب والتهديد أي فهي تفسر بحسب المقام كما قلنا. فهي جامعة هنا بين الأمرين.

ورد بمعنى هذه الآية قوله -تعالى-: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يونس: 99 ويؤيدهما الآيات الكثيرة الناطقة بأن الدين هداية اختيارية للناس تعرض عليهم مؤيدة بالآيات والبيّنات وأن الرسل لم يبعثوا جبارين ولا مسيطرين، وإنما

بعثوا مبشرين ومنذرين، ولكن يرد علينا أننا قد أمرنا بالقتال وقد تقدّم بيان حكمة ذلك بل أقول: أنّ الآية التي نفسرها نزلت في غزوة بني النضير إذ أراد بعض الصحابة إجبار أولادهم المشركين أن يسلموا ولا يكونوا مع بني النضير في جلائهم كما مرّ، فبيّن الله لهم أنّ الإكراه ممنوع وأنّ العمدة في دعوة الدين بيانه حتّى يتبيّن الرشد من الغي وأنّ الناس مخيرون بعد ذلك في قبوله وتركه.

شرح القتال لتأمين الدعوة ولكفّ شرّ الكافرين عن المؤمنين، لكيلا يزعزعو ضعيفهم قبل أن تتمكّن الهداية من قلبه. ويقهروا قوئهم بفتنته عن دينه كما كانوا يفعلون في مكّة جهراً ولذلك قال تعالى: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ البقرة: 193 أي حتّى يكون الإيمان في قلب المؤمن أمناً من زلزلة المعاندين له بإيذاء صاحبه فيكون دينه خالصاً لله غير مزعزع ولا مضطرب. فالدين لا يكون خالصاً لله إلا إذا كفت الفتن عنه وقوي سلطانه حتّى لا يجرؤ على أهله أحد. قال الأستاذ الإمام: وإنّما تكفّ الفتن بأحد أمرين: الأول: إظهار المعاندين الإسلام ولو باللسان لأنّ من فعل ذلك لا يكون من خصومنا ولا يبارزنا بالعداء وبذلك تكون كلمتنا بالنسبة إليه هي العليا ويكون الدين لله ولا يفتن صاحبه فيه ولا يمنع من الدعوة إليه والثاني: وهو أدلّ على عدم الإكراه قبول الجزية وهي شيء من المال يعطوننا إياه جزاء حمايتنا لهم بعد خضوعهم لنا بهذا الخضوع نكتفي شرّهم وتكون كلمة الله هي العليا فقله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قاعدة كبرى من قواعد دين الإسلام وركن عظيم من أركان سياسته فهو لا يجبر إكراه أحد على الدخول فيه ولا يسمح لأحد أن يكره أحداً من أهله على الخروج منه. وإنّما نكون متمكّنين من إقامة هذا الركن وحفظ هذه القاعدة إذا كنّا أصحاب قوّة ومنعة نحمي بها ديننا وأنفسنا ممّن يحاول فتنتنا في ديننا اعتداء علينا بما هو أمن أن نعتدي بمثله عليه إذ أمرنا أن ندعو إلى سبيل ربّنا بالحكمة والموعظة الحسنة وأن نجادل المخالفين بالتّي هي أحسن معتمدين على أن تبيّن الرشد من الغي بالبرهان: هو الصراط المستقيم إلى الإيمان، مع حرية الدعوة، وأمن الفتنة، فالجهاد من الدين بهذا الاعتبار أي أنّه ليس من جوهره ومقاصده وإنّما هو سياج له وجنّة فهو أمر سياسي لازم له للضرورة. ولا التفات لما يهذي به العوام، ومعلّموهم الطغام، إذ يزعمون إنّ الدين قام بالسيف وأنّ الجهاد مطلوب لذاته، فالقرآن في جملته وتفصيله حجة عليهم.



### فقرات من التفسير

يخير تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة أثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفوس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طرقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه أثره واختاره، وأما من كان سيئ القصد فاسد الإرادة، خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس لله حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكروه ليس إيمانه صحيحًا، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصده اتباع الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص آخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما هو قول كثير من العلماء، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيمانًا تامًا أوجب له عبادة ربه وطاعته فقد استمسك بالعروة الوثقى أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وأما من عكس القضية فكفر بالله وأمن بالطاغوت، فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة، واستمسك بكل باطل ماله إلى الجحيم والله سميع عليم فيجازي كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى ولمن لم يستمسك بها.

<https://goo.gl/Tq7HWu>

1

<http://goo.gl/ZmjyxU>

2

### فقرات من التفسير

إن قضية العقيدة - كما جاء بها هذا الدين - قضية اقتناع بعد البيان والإدراك؛ وليست قضية إكراه وغصب وإجبار. ولقد جاء هذا الدين يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة. يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه؛ في غير قهر حتى بالخارقة المادية التي قد تلجئ مشاهدتها الجاء إلى الإذعان، ولكن وعيه لا يتدبرها وإدراكه لا يتعقلها لأنها فوق الوعي والإدراك. وإذا كان هذا الدين لا يواجه الحس البشري بالخارقة المادية القاهرة، فهو من باب أولى لا يواجهه بالقوة والإكراه ليعتق هذا الدين تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع.

وكانت المسيحية - آخر الديانات قبل الإسلام - قد فرضت فرضاً بالحديد والنار ووسائل التعذيب والقمع التي زاولتها الدولة الرومانية بمجرد دخول الإمبراطور قسطنطين في المسيحية. بنفس الوحشية والقسوة التي زاولتها الدولة الرومانية من قبل ضد المسيحيين القلائل من رعاياها الذين اعتنقوا المسيحية اقتناعاً وحباً! ولم تقتصر وسائل القمع والقهر على الذين لم يدخلوا في المسيحية؛ بل إنها ظلت تتناول في ضراوة المسيحيين أنفسهم الذين لم يدخلوا في مذهب الدولة؛ وخالفوها في بعض الاعتقاد بطبيعة المسيح!

فلما جاء الإسلام عقب ذلك جاء يعلن - في أول ما يعلن - هذا المبدأ العظيم الكبير: لا إكراه في الدين. قد تبين الرشد من الغي.

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره؛ وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعه عمله وحساب نفسه. وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني. التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب متعسفة ونظم مذلة؛ لا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله - باختياره لعقيدته - أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها؛ فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا - وهو يحرمه من الإيمان بالله للكون يصرف هذا الكون - وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب!

إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق الإنسان التي يثبت له بها وصف إنسان. فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداءً. ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة. وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة.

والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراة - هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين؛ وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين. فكيف بالمذاهب والنظم الأرضية القاصرة المتعسفة وهي تفرض فرضاً بسلطان الدولة؛ ولا يسمح لمن يخالفها بالحياة؟!!

1 <https://goo.gl/jYkWAM>

2 <http://goo.gl/G8yn1j>

والتعبير هنا يرد في صورة النفي المطلق: لا إكراه في الدين. نفي الجنس كما يقول النحويون. أي نفي جنس الإكراه. نفي كونه ابتداءً. فهو يستبعده من عالم الوجود والوقوع. وليس مجرد نهي عن مزاولته. والنهي في صورة النفي - والنفي للجنس - أعمق إيقاعاً وأكد دلالة.

ولا يزيد السياق على أن يلمس الضمير البشري لمسة توقظه، وتشوقه إلى الهدى، وتهديه إلى الطريق، وتبين حقيقة الإيمان التي أعلن أنها أصبحت واضحة وهو يقول:

قد تبين الرشد من الغي. فالإيمان هو الرشد الذي ينبغي للإنسان أن يتوخاه ويحرص عليه. والكفر هو الغي الذي ينبغي للإنسان أن ينفّر منه ويتقي أن يوصم به.

والأمر كذلك فعلاً. فما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان، وما تمنحه للإدراك البشري من تصور ناصح واضح، وما تمنحه للقلب البشري من طمأنينة وسلام، وما تثبته في النفس البشرية من اهتمامات رفيعة ومشاعر نظيفة، وما تحفقه في المجتمع الإنساني من نظام سليم قويم دافع إلى تنمية الحياة وترقية الحياة. ما يتدبر الإنسان نعمة الإيمان على هذا النحو حتى يجد فيها الرشد الذي لا يرفضه إلا سفيه، يترك الرشد إلى الغي، ويدع الهدى إلى الضلال، ويؤثر التخبط والقلق والهبوط والضالة على الطمأنينة والسلام والرفعة والاستعلاء! ثم يزيد حقيقة الإيمان إيضاحاً وتحديداً وبياناً: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

إن الكفر ينبغي أن يوجه إلى ما يستحق الكفر، وهو الطاغوت. وإن الإيمان يجب أن يتجه إلى من يجدر الإيمان به وهو الله.

والطاغوت صيغة من الطغيان، تفيد كل ما يطغى على الوعي، ويجور على الحق، ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد، ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله، ومن الشريعة التي يسنها الله، ومنه كل منهج غير مستمد من الله، وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله. فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صورته ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا. وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وهنا نجدنا أمام صورة حسية لحقيقة شعورية، ولحقيقة معنوية. إن الإيمان بالله عروة وثيقة لا تنفصم أبداً. إنها متينة لا تنقطع. ولا يضل الممسك بها طريق النجاة. إنها موصولة بمالك الهلاك والنجاة. والإيمان في حقيقته اهتداء إلى الحقيقة الأولى التي تقوم بها سائر الحقائق في هذا الوجود. حقيقة الله. واهتداء إلى حقيقة الناموس الذي سنه الله لهذا الوجود، وقام به هذا الوجود.

والذي يمسك بعروته يمضي على هدى إلى ربه؛ فلا يرتطم ولا يتخلف ولا تتفرق به السبل ولا يذهب به الشرود والضلال.

والله سميع عليم. يسمع منطلق الألسنة، ويعلم مكنون القلوب. فالمؤمن الموصول به لا يُخس ولا يظلم ولا يخيب.

ثم يمضي السياق يصور في مشهد حسي حي متحرك طريق الهدى وطريق الضلال؛ وكيف يكون الهدى وكيف يكون الضلال. يصور كيف يأخذ الله - ولي الذين آمنوا - بأيديهم، فيخرجهم من الظلمات إلى النور. بينما الطواغيت - أولياء الذين كفروا - تأخذ بأيديهم فتخرجهم من النور إلى الظلمات! إنه مشهد عجيب حي موح. والخيال يتبع هؤلاء وهؤلاء، جينة من هنا وذهاباً من هناك. بدلاً من التعبير الذهني المجرد، الذي لا يحرك خيالاً ولا يلمس حساً ولا يستجيش وجداناً ولا يخاطب إلا الذهن بالمعاني والألفاظ.

فإذا أردنا أن ندرك فضل طريقة التصوير القرآنية، فلنحاول أن نضع في مكان هذا المشهد الحي تعبيراً ذهنياً أياً كان. لنقل مثلاً: الله ولي الذين آمنوا يهديهم إلى الإيمان. والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يقودونهم إلى الكفران. إن التعبير يموت بين أيدينا، ويفقد ما فيه من حرارة وحركة وإيقاع!

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ  
الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

استئناف بياني ناشئ عن الأمر بالقتال في سبيل الله في قوله: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله  
سميع عليم البقرة: 244 إذ يبدو للسامع أن القتال لأجل دخول العدو في الإسلام فبين في هذه الآية  
أنه لا إكراه على الدخول في الإسلام وسيأتي الكلام على أنها محكمة أو منسوخة.

وتعقيب آية الكرسي بهاته الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلالات الوحدانية وعظمة  
الخالق وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين  
الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم  
على الشرك بمحل السؤال: أين تكون عليه أم يُكْرَهُونَ على الإسلام، فكانت الجملة استئنافاً بيانياً.

والإكراه الحمل على فعل مكروه، فالهمزة فيه للجعل، أي جعله ذا كراهية، ولا يكون ذلك إلا  
بتخويف وقوع ما هو أشد كراهية من الفعل المدعو إليه.

والدين تقدم بيانه عند قوله: مالك يوم الدين الفاتحة: 3، وهو هنا مراد به الشرع.

والتعريف في الدين للعهد، أي دين الإسلام.

ونفي الإكراه خير في معنى النهي، والمراد نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام، أي لا تكرر هو أحداً  
على أتباع الإسلام فسراً، وحيء بنفي الجنس لقصد العموم نصاً. وهي دليل واضح على إبطال  
الإكراه على الذين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر،  
وبالاختيار. وقد تقرر في صدر الإسلام قتال المشركين على الإسلام، وفي الحديث: أمرت أن أقاتل  
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. ولا جانز أن  
تكون هذه الآية قد نزلت قبل ابتداء القتال كله، فالظاهر أن هذه الآية نزلت بعد فتح مكة واستخلاص  
بلاد العرب، إذ يمكن أن يوم نزول السورة سنين كما قدمناه في صدر تفسير سورة الفاتحة لا سيما  
وقد قيل بأن آخر آية نزلت هي في سورة النساء (176) يبين الله لكم أن تضلوا الآية، فنسخت حكم  
القتال على قبول الكافرين الإسلام ودلت على الاقتناع منهم بالدخول تحت سلطان الإسلام وهو  
المعبر عنه بالذمة، ووضعه عمل النبي وذلك حين خلصت بلاد العرب من الشرك بعد فتح مكة  
وبعد دخول الناس في الدين أفواجا حين جاءت وفود العرب بعد الفتح، فلما تم مراد الله من إنقاذ  
العرب من الشرك والرجوع بهم إلى ملة إبراهيم، ومن تخليص الكعبة من أرجاس المشركين، ومن  
تهيئة طائفة عظيمة لحمل هذا الدين وحماية بيضته، وتبين هدى الإسلام وزال ما كان يحول دون  
اتباعه من المكابرة، وحقق الله سلامه بلاد العرب من الشرك كما وقع في خطبة حجة الوداع إن  
الشیطان قد يبس من أن يُعبد في بلدكم هذا لما تم ذلك كله أبطل الله القتال على الدين وأبقى القتال  
على توسيع سلطانه، ولذلك قال (سورة التوبة 29) قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا  
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن  
يد وهم صاغرون.

1 <https://goo.gl/gcDQB2>

2 <http://goo.gl/G7P0Oj>

وعلى هذا تكون الآية ناسخة لما تقدّم من آيات القتال مثل قوله قبلها يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم التوبة: 73 على أن الآيات النازلة قبلها أو بعدها أنواع ثلاثة: أحدها: آيات أمرت بقتال الدفاع كقوله تعالى: وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة التوبة: 36، وقوله: الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله البقرة: 194، وهذا قتال ليس للإكراه على الإسلام بل هو لدفع غائلة المشركين.

النوع الثاني: آيات أمرت بقتال المشركين والكفار ولم تغيّ بغاية، فيجوز أن يكون إطلاقها مقيداً بغاية آية حتى يعطوا الجزية التوبة: 29 وحينئذ فلا تعارضه آيتنا هذه لا إكراه في الدين. النوع الثالث: ما غيّي بغاية كقوله تعالى:

وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله البقرة: 193، فيتعين أن يكون منسوخاً بهاته الآية وآية حتى يعطوا الجزية التوبة: 29 كما نُسخ حديثُ أمرتُ أن أقاتل الناس هذا ما يظهر لنا في معنى الآية، والله أعلم.

ولأهل العلم قبلنا فيها قولان: الأول قال ابن مسعود وسليمان بن موسى: هي منسوخة بقوله بأيتها النبي جاهد الكفار والمنافقين التوبة: 73، فإن النبي أكره العرب على الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا به. ولعلهما يريدان من النسخ معنى التخصيص. والاستدلال على نسخها بقتال النبي العرب على الإسلام، يعارضه أنه أخذ الجزية من جميع الكفار، فوجه الجمع هو التخصيص. القول الثاني أنها محكمة ولكنها خاصة، فقال الشعبي وقتادة والحسن والضحاك هي خاصة بأهل الكتاب فإنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية وإنما يجبر على الإسلام أهل الأوثان، وإلى هذا مال الشافعي فقال: إن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب والمجوس. قال ابن العربي في الأحكام وعلى هذا فكل من رأى قبول الجزية من جنس يحمل الآية عليه، يعني مع بقاء طائفة يتحقق فيها الإكراه. وقال ابن عباس وسعيد بن جببر ومجاهد: نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا في الجاهلية إذا كانت المرأة منهم مقلتاً — أي لا يعيش لها ولد — تنذر إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما جاء الإسلام وأسلموا كان كثير من أبناء الأنصار يهودا فقالوا: لا ندع أبناءنا بل نكرهم على الإسلام، فأنزل الله تعالى: لا إكراه في الدين.

وقال السدي: نزلت في قصة رجل من الأنصار يقال له أبو حصين من بني سلمة بن عوف وله ابنان جاء تجار من نصارى الشام إلى المدينة فدعوهما إلى النصرانية، فتنصرا وخرجا معهم، فجاء أبوهما فشكا للنبي وطلب أن يبعث من يردهما مكرهين فنزلت لا إكراه في الدين، ولم يؤمر يومئذ بالقتال ثم نسخ ذلك بآيات القتال.

وقيل: إن المراد بنفي الإكراه نفي تأثيره في إسلام من أسلم كرهاً فراراً من السيف، على معنى قوله تعالى: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا النساء: 94. وهذا القول تأويل في معنى الإكراه وحمل للنفي على الإخبار دون الأمر.

وقيل: إن المراد بالدين التوحيد ودين له كتاب سماوي وإن نفي الإكراه نهي، والمعنى لا تكرهوا السبائيا من أهل الكتاب لأنهن أهل دين وأكرهوا المجوس منهم والمشركات.

وقوله: قد تبين الرشد من الغي واقع موقع العلة لقوله: لا إكراه في الدين ولذلك فصلت الجملة.

والرشد — بضم فسكون، وبفتح ففتح — الهدى وسداد الرأي، ويقابله الغي والسفه، والغي الضلال، وأصله مصدرٌ غوى المتعدى فأصله غوي قلبت الواو ياء ثم ادغمتا. وضمن تبين معنى تميز فلذلك عدي بمن، وإنما تبين ذلك بدعوة الإسلام وظهوره في بلد مستقل بعد الهجرة.

وقوله: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى تفرغ على قوله: قد تبين الرشد من الغي إذ لم يبق بعد التبيين إلا الكفر بالطاغوت، وفيه بيان لنفي الإكراه في الدين؛ إذ قد تفرغ عن تميز الرشد من الغي ظهور أن متبع الإسلام مستمسك بالعروة الوثقى فهو ينساق إليه اختياراً.

والطاغوت الأوثان والأصنام، والمسلمون يسمّون الصنم الطاغية، وفي الحديث: كانوا يهلون لمناة الطاغية ويجمعون الطاغوت على طواغيت، ولا أحسبه إلا من مصطلحات القرآن وهو مشتق من الطغيان وهو الارتفاع والغلو في الكبر وهو مذموم ومكروه. ووزن طاغوت على التحقيق طَغَيْتُ — فَعَلْتُ — من أوزان المصادر مثل مَلَكْتُ ورَهَبْتُ ورَحِمْتُ فوقع فيه قلب مكاني — بين عينه ولامه — فصيّرُ إلى فَعَلْتُ طَغَيْتُ لِيَتَأْتِيَ قلب اللام ألفاً فصارت طاغوت، ثم أُزِيل عنه معنى المصدر وصار اسماً لطائفة مما فيه هذا المصدر فصارت مَلَكْتُ في أنه اسم طائفة مما فيه معنى المصدر — لا مثل رَحِمْتُ ورَهَبْتُ في أنهما مصدران — فتأوّه زائدة، وجعل علماً على الكفر وعلى الأصنام، وأصله صفة بالمصدر ويطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كشأن المصادر.

وعطف ويؤمن بالله على الشرط لأنّ نبذ عبادة الأصنام لا مزية فيه إن لم يكن عَوْضها بعبادة الله تعالى.

ومعنى استمسك تمسك، فالسببُ والتاء للتأكيد كقوله: فاستمسك بالذي أوحى إليك الزخرف: 43 وقوله: فاستجاب لهم ربهم آل عمران: 195 وقول النابغة: فاستكحوا أم جابر إذ لا معنى لطلب التمسك بالعروة الوثقى بعد الإيمان، بل الإيمان التمسك نفسه.

والعروة — بضم العين — ما يُجْعَل كالحلقة في طرف شيء ليقبض على الشيء منه، فللدلو عروة وللحوز عروة، وقد تكون العروة في حبل بأن يشدّ طرفه إلى بعضه ويعقد فيصير مثل الحلقة فيه، فلذلك قال في الكشف: العروة الوثقى من الحبل الوثيق.

والوثقى المحكمة الشدّ. ولا انفصام لها أي لا انقطاع، والفصم القطع بتفريق الاتصال دون تجزئة بخلاف الفصم بالقاف فهو قطع مع إبانة وتجزئة.

والاستمسك بالعروة الوثقى تمثيلي، شبهت حياة المؤمن في ثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وتقى من حبل وهو راكب على صعب أو في سفينة في هول البحر، وهي هيأة معقولة شبهت بهيأة محسوسة، ولذلك قال في الكشف وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، بالمشاهد وقد أفصح عنه في تفسير سورة لقمان إذ قال مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهر فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه، فالمعنى أنّ المؤمن ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب في الدنيا وهو ناج من مهاوي السقوط في الآخرة كحال من تمسك بعروة حبل متين لا ينفصم. وقد أشارت الآية إلى أنّ هذه فائدة المؤمن تنفعه في دنياه بأن يكون على الحق والبصيرة وذلك ممّا تطلبه النفوس، وأشارت إلى فائدة ذلك في الآخرة بقوله: والله سميع عليم الذي هو تعريض بالوعد والثواب.

## فقرات من التفسير

هذه الآية تدل بظاهرها على أنه لا يكره أحد على الدخول في الدين، ونظيرها قوله تعالى: أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين 10 99. وقوله تعالى: فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ 42 48، وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على إكراه الكفار على الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالى: تقاتلونهم أو يسلمون 48 16، وقوله: وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة 2 193، أي شرك. ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله الحديث، والجواب عن هذا بأمرين:

الأول: وهو الأصح، أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب، والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقا وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله: لا إكراه في الدين. المقلاة: التي لا يعيش لها ولد، وفي المثل: أحر من دمع المقلاة. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال نزلت: لا إكراه في الدين في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له: الحصين، كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلما، فقال للنبي: ألا أستكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية. وروى ابن جرير أن سعيد بن جبير سأله أبو بشر عن هذه الآية، فقال: نزلت في الأنصار، فقال: خاصة؟ قال: خاصة. وأخرج ابن جرير عن قتادة بإسنادين في قوله: لا إكراه في الدين قال: أكره عليه هذا الحي من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه، فلم يقبل منهم غير الإسلام، ولا يكره عليه أهل الكتاب إذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى سبيلهم. وأخرج ابن جرير أيضا عن الضحاك في قوله: لا إكراه في الدين أو قال: أمر رسول الله أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الأوثان فلم يقبل منهم إلا: لا إله إلا الله أو السيف، ثم أمر فيمن سواهم أن يقبل منهم الجزية، فقال: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس أيضا في قوله: لا إكراه في الدين قال: وذلك لما دخل الناس في الإسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية، فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية ومن في حكمهم، ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لأن التخصيص فيها عرف بالنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب، ومما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح: عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل.

الأمر الثاني: أنها منسوخة بآيات القتال كقوله: فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين الآية 9 5، ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة، وسورة براءة من آخر ما نزل بها، والقول بالنسخ مروى عن ابن مسعود وزيد بن أسلم، وعلى كل حال فأيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها: لا إكراه الآية، والمتأخر أولى من المتقدم، والعلم عند الله تعالى.

1 <https://goo.gl/HXIJN1>2 <http://goo.gl/oIZTJh>

### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ: لأن الدين من حيث هو مبني على الحرية والاختيار، ولا فرق بين قولك: يدين فلان بالإسلام، وقولك يقرأ القرآن، هذا إلى أنه قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ: الإسلام مِنَ الْعِي: الكفر فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ: الشيطان والأصنام وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ: وحده لا شريك له فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى: موضع الإمساك القوي المحكم لَا انْفِصَامَ لَهَا: لا تنكسر ولا تنقطع وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

---

1 <http://goo.gl/rvBWcI>  
2 <http://goo.gl/7XnWzR>



## فقرات من التفسير

قوله تعالى: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، الإكراه هو الإكراه والحمل على الفعل من غير رضى، والرشد بالضم والضممتين: إصابة وجه الأمر ومحجة الطريق ويقابله الغي، فهما أعم من الهدى والضلال، فإنهما إصابة الطريق الموصل وعدمها على ما قيل، والظاهر أن استعمال الرشد في إصابة محجة الطريق من باب الانطباق على المصادق، فإن إصابة وجه الأمر من سالك الطريق أن يركب المحجة وسواء السبيل، فلزومه الطريق من مصاديق إصابة وجه الأمر، فالحق إن معنى الرشد والهدى معنيان مختلفان ينطبق أحدهما بعناية خاصة على مصاديق الآخر وهو ظاهر، قال تعالى: فإن أنستم منهم رشداً النساء: 6، وقال تعالى: ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل الأنبياء: 51، وكذلك القول في الغي والضلال، ولذلك ذكرنا سابقاً أن الضلال هو العدول عن الطريق مع ذكر الغاية والمقصد، والغى هو العدول مع نسيان الغاية فلا يدري الإنسان الغوي ماذا يريد وماذا يقصد.

وفي قوله تعالى: لا إكراه في الدين، نفي الدين الإجباري، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإجبار، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من سنخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علماً، أو تولد المقدمات غير العلمية تصديقاً علمياً، فقوله: لا إكراه في الدين، إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين أنتج حكماً دينياً بنفي الإكراه على الدين والاعتقاد، وإن كان حكماً إنشائياً تشريعياً كما يشهد به ما عقبه تعالى من قوله: قد تبين الرشد من الغي، كان نهياً عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كرهاً، وهو نهى منك على حقيقة تكوينية، وهي التي مرّ بيانها أن الإكراه إنما يعمل ويؤثر في مرحلة الأفعال البدنية دون الاعتقادات القلبية.

وقد بين تعالى هذا الحكم بقوله: قد تبين الرشد من الغي، وهو في مقام التعليل، فإن الإكراه والإجبار إنما يركن إليه الأمر الحكيم والمربي العاقل في الأمور المهمة التي لا سبيل إلى بيان وجه الحق فيها لبساطة فهم المأمور ورداءة ذهن المحكوم، أو لأسباب وجهات أخرى، فيتسبب الحاكم في حكمه بالإكراه أو الأمر بالتقليد ونحوه، وأما الأمور المهمة التي تبين وجه الخير والشر فيها، وقرر وجه الجزاء الذي يلحق فعلها وتركها فلا حاجة فيها إلى الإكراه، بل للإنسان أن يختار لنفسه ما شاء من طرفي الفعل وعاقبتي الثواب والعقاب، والدين لما انكشفت حقائقه واتضح طريقه بالبيانات الإلهية الموضحة بالسنة النبوية فقد تبين أن الدين رشد والرشد في اتباعه، والغى في تركه والرغبة عنه، وعلى هذا لا موجب لأن يكره أحد أحداً على الدين.

وهذه إحدى الآيات الدالة على أن الإسلام لم يبتن على السيف والدم، ولم يفت بالإكراه والعنوة على خلاف ما زعمه عدة من الباحثين من المنتحلين وغيرهم أن الإسلام دين السيف واستدلوا عليه بالجهاد الذي هو أحد أركان هذا الدين.

وقد تقدم الجواب عنه في ضمن البحث عن آيات القتال وذكرنا هناك أن القتال الذي ندب إليه الإسلام ليس لغاية إحراز التقدم وبسط الدين بالقوة والإكراه، بل لإحياء الحق والدفاع عن أنفس متاع للفترة

1 <https://goo.gl/gvJsqr>2 <http://goo.gl/u3IJwM>

وهو التوحيد، وأما بعد انبساط التوحيد بين الناس وخضوعهم لدين النبوة ولو بالتهود والتتصر فلا نزاع لمسلم مع موحد ولا جدال، فالإشكال ناشئ عن عدم التدبر.

ويظهر مما تقدم أن الآية أعني قوله: لا إكراه في الدين غير منسوخة بآية السيف كما ذكره بعضهم. ومن الشواهد على أن الآية غير منسوخة التعليل الذي فيها، أعني قوله: قد تبين الرشد من الغي، فإن الناسخ ما لم ينسخ علة الحكم لم ينسخ نفس الحكم، فإن الحكم باق ببقاء سببه، ومعلوم أن تبين الرشد من الغي في أمر الإسلام أمر غير قابل للارتفاع بمثل آية السيف، فإن قوله: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم مثلاً، أو قوله: وقاتلوا في سبيل الله الآية، لا يؤثران في ظهور حقيقة الدين شيئاً حتى ينسخا حكماً معلولاً لهذا الظهور.

وبعبارة أخرى الآية تعلل قوله: لا إكراه في الدين بظهور الحق، هو معنى لا يختلف حاله قبل نزول حكم القتال وبعد نزوله، فهو ثابت على كل حال، فهو غير منسوخ.

قوله تعالى: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى الخ، الطاغوت هو الطغيان والتجاوز عن الحد ولا يخلو عن مبالغة في المعنى كالملكوت والجبروت، ويستعمل فيما يحصل به الطغيان كأقسام المعبودات من دون الله كالأصنام والشياطين والجن وأئمة الضلال من الإنسان وكل متبوع لا يرضى الله سبحانه باتباعه، ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والتثنية والجمع.

وإنما قدم الكفر على الإيمان في قوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله، ليوافق الترتيب الذي يناسبه الفعل الواقع في الجزاء، أعني الاستمسك بالعروة الوثقى، لأن الاستمسك بشيء إنما يكون بترك كل شيء والأخذ بالعروة، فهناك ترك ثم أخذ، فقدم الكفر وهو ترك على الإيمان وهو أخذ ليوافق ذلك، والاستمسك هو الأخذ والإمسك بشدة، والعروة: ما يؤخذ به من الشيء كعروة الدلو وعروة الإناء، والعروة هي كل ما له أصل من النبات وما لا يسقط ورقه، وأصل الباب التعلق يقال: عراه واعتراه أي تعلق به.

والكلام أعني قوله: فقد استمسك بالعروة الوثقى، موضوع على الاستعارة للدلالة على أن الإيمان بالنسبة إلى السعادة بمنزلة عروة الإناء بالنسبة إلى الإناء وما فيه، فكما لا يكون الأخذ أخذاً مطمئناً حتى يقبض على العروة كذلك السعادة الحقيقية لا يستقر أمرها ولا يرجى نيلها إلا أن يؤمن الإنسان بالله ويكفر بالطاغوت.

قوله تعالى: لا انفصام لها والله سميع عليم، الانفصام: الانقطاع والانكسار، والجملة في موضع الحال من العروة تؤكد معنى العروة الوثقى، ثم عقبه بقوله: والله سميع عليم، لكون الإيمان والكفر متعلقاً بالقلب واللسان.

قوله تعالى: الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم إلى آخر الآية، قد مرَّ شطر من الكلام في معنى إخراجهم من النور إلى الظلمات، وقد بيَّنا هناك أن هذا الإخراج وما يشاكله من المعاني أمور حقيقية غير مجازية خلافاً لما توهمه كثير من المفسرين وسائر الباحثين أنها معانٍ مجازية يراد بها الأعمال الظاهرية من الحركات والسكنات البدنية، وما يترتب عليها من الغايات الحسنة والسينة، فالنور مثلاً هو الاعتقاد الحق بما يرتفع به ظلمة الجهل وحيره الشك واضطراب القلب، والنور هو صالح العمل من حيث أن رشده بين، وأثره في السعادة جلي، كما أن النور الحقيقي على هذه الصفات. والظلمة هو الجهل في الاعتقاد والشبهة والريبة وطالح العمل، كل ذلك بالاستعارة. والإخراج من الظلمة إلى النور الذي ينسب إلى الله تعالى كالإخراج من النور إلى الظلمات الذي ينسب إلى الطاغوت نفس هذه الأعمال والعقائد، فليس وراء هذه الأعمال والعقائد، لا فعل من الله تعالى وغيره كالإخراج مثلاً ولا أثر لفعل الله تعالى وغيره كالنور والظلمة وغيرهما، هذا ما ذكره قوم من المفسرين والباحثين.

وذكر آخرون: ان الله يفعل فعلاً كالإخراج من الظلمات إلى النور وإعطاء الحياة والسعة والرحمة وما يشاكلها ويترتب على فعله تعالى آثار كالنور والظلمة والروح والرحمة ونزول الملائكة، لا

ينالها أفهامنا ولا يسعها مشاعرنا، غير أنا نؤمن بحسب ما أخبر به الله - وهو يقول الحق - بأن هذه الأمور موجودة وأنها أفعال له تعالى وإن لم نحط بها خبراً، ولأزم هذا القول أيضاً كقول السابق أن يكون هذه الألفاظ أعني أمثال: النور، والظلمة، والإخراج ونحوها مستعملة على المجاز بالاستعارة، وإنما الفرق بين القولين أن مصاديق النور والظلمة ونحوهما على القول الأول نفس أعمالنا وعقائدنا، وعلى القول الثاني أمور خارجة عن أعمالنا وعقائدنا لا سبيل لنا إلى فهمها، ولا طريق إلى نبيلها والوقوف عليها.

والقولان جميعاً خارجان عن صراط الاستقامة كالمفرط والمفرط، والحق في ذلك أن هذه الأمور التي أخبر الله سبحانه بإيجادها وفعلها عند الطاعة والمعصية إنما هي أمور حقيقية واقعية من غير تجوز، غير أنها لا تفارق أعمالنا وعقائدنا بل هي لوازمها التي في باطنها، وقد مرّ الكلام في ذلك، وهذا لا ينافي كون قوله تعالى: يخرجهم من الظلمات إلى النور، وقوله تعالى: يخرجونهم من النور إلى الظلمات، كناية عن هداية الله سبحانه وإضلال الطاغوت، لما تقدم في بحث الكلام أن النزاع في مقامين: أحدهما كون النور والظلمة وما شابههما ذا حقيقة في هذه النشأة أو مجرد تشبيه لا حقيقة له، وثانيهما: أنه على تقدير تسليم أن لها حقائق وواقعات هل استعمال اللفظ كالنور مثلاً في الحقيقة التي هي حقيقة الهداية حقيقة أو مجاز؟ وعلى أي حال فالجملتان أعني: قوله تعالى: يخرجهم من الظلمات إلى النور، وقوله تعالى: يخرجونهم من النور إلى الظلمات، كناية عن الهداية والإضلال، وإلّا لزم أن يكون لكل من المؤمن والكافر نور وظلمة معاً، فإن لازم إخراج المؤمن من الظلمة إلى النور أن يكون قبل الإيمان في ظلمة وبالعكس في الكافر، فعمامة المؤمنين والكفار - وهم الذين عاشوا مؤمنين فقط أو عاشوا كفراً فقط - إذا بلغوا مقام التكليف فإن آمنوا خرجوا من الظلمات إلى النور، وإن كفروا خرجوا من النور إلى الظلمات، فهم قبل ذلك في نور وظلمة معاً وهذا كما ترى. لكن يمكن أن يقال: إن الإنسان بحسب خلقته على نور الفطرة، هو نور إجمالي يقبل التفصيل، وأما بالنسبة إلى المعارف الحقّة والأعمال الصالحة تفصيلاً فهو في ظلمة بعد لعدم تبين أمره، والنور والظلمة بهذا المعنى لا يتنافيان ولا يمتنع اجتماعهما، والمؤمن بإيمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات تفصيلاً، والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصي التفصيلية، والإتيان بالنور مفرداً وبالظلمات جمعاً في قوله تعالى: يخرجهم من الظلمات إلى النور، وقوله تعالى: يخرجونهم من النور إلى الظلمات، للإشارة إلى أن الحق واحد لا اختلاف فيه كما أن الباطل متشتت مختلف لا وحدة فيه، قال تعالى: وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم الأنعام: 153

( بحث روائي )

في الدر المنثور: أخرج أبو داود والنسائي وابن المنذر وابن أبي حاتم، والنحاس في ناسخه وابن منده في غرائب شعبه وابن حبان، وابن مردويه، والبيهقي في سننه والضياء في المختارة عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار تكون مقلاة لا يكاد يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا فأنزل الله لا إكراه في الدين.

أقول: وروي أيضاً هذا المعنى بطرق أخرى عن سعيد بن جبير وعن الشعبي.

وفيه: أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد قال: كانت النضير أرضت رجلاً من الأوس، فلما أمر النبي بإجلانهم، قال أبناءهم من الأوس: لنذهبن معهم ولندينن دينهم، فمنعهم أهلوهم وأكروههم على الإسلام، ففيهم نزلت هذه الآية: لا إكراه في الدين.

أقول: وهذا المعنى أيضاً مروى بغير هذا الطريق، وهو لا ينافي ما تقدم من نذر النساء اللاتي ما كان يعيش أولادهما أن يهودنهم.

وفيه أيضاً: أخرج ابن إسحاق، وابن جرير، عن ابن عباس في قوله: لا إكراه في الدين، قال: نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان، وكان هو رجلاً مسلماً فقال للنبي ألا استكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله فيه ذلك. وفي الكافي عن الصادق: قال: النور آل محمد والظلمات أعدائهم. أقول: وهو من قبيل الجري أو من باب الباطن أو التأويل.

### فقرات من التفسير

تبين: ظهر ووضح. الرشد: بالضم والرشد، والرشد: الهدى وكل خير. الغي: الجهل. الطاغوت: الشيطان، وكل ما يُعبد من دون الله. العروة، من الدلو أو الكوز، مقبضه. الوثقى: الوثيقة المتينة. والمراد بها هنا الايمان بالله. الانفصام: الانقطاع، والانكسار.

لا يُكره أحد على الدخول في الاسلام، فقد وضح طريق الحق والهدى من طريق الغي والضلال. فمن هداه الله لأن يدخل في الدين ويكفر بالأوثان وكل ما سوى الله، فقد استمسك بأمتن وسائل الحق، التي لا تنقطع، كما اعتصم بطاعة الله فلا يخشى خذلانه إياه عند حاجته اليه في الآخرة.

وهذه الآية من أكبر الحجج التي تبين عظمة الإسلام، فهي نص صريح على ان مبدأه هو حرية الاعتقاد. وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان واحترام ارادته ومشاعره. لقد ترك أمره لنفسه فيما يختص في الاعتقاد. وحرية الاعتقاد هي أو حقوق الانسان. ومع حرية الاعتقاد هذه تتمشى الدعوة للعقيدة. ان الإسلام هو الدين الوحيد الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين، والذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه غيرهم على اعتناقه.

روى الطبري عن ابن عباس ان رجلاً من الأنصار يقال له الحصيني كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً، فقال للنبي: ألا أكرههما على الاسلام؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

اما الذين يقولون ان الاسلام قد انتشر بالسيف، فإنهم من المغرضين المفترين على الله. ذلك أن الجهاد في الإسلام انما فُرض لرد الاعتداء ولحماية العقيدة، لا ليكره أحداً على الإسلام.

1 <http://goo.gl/TW6xN1>

2 <http://goo.gl/qjVsX9>

## فقرات من التفسير

لا إيجاب لأحد على الدخول في الدين، وقد وضح بالآيات الباهرة طريق الحق، وطريق الضلال، فمن اهتدى إلى الإيمان وكفر بكل ما يطغى على العقل، ويصرفه عن الحق، فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردّي في الضلال كمن تمسك بعروة متينة محكمة الرباط تمنعه من التردّي في هوة، والله سميع لما تقولون، عليم بما تفعلون ومجازيك على أفعالكم وتضيف الطبعة الورقية

سبق التعليق عليها من ناحية القانون الدولي عند التعليق على آيات القتال من 190-195 من هذه السورة.

190- وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين التفسير: ومن تقوى الله تحمل المشاق في طاعته، وأشد المشاق على النفس هو قتال أعداء الله ولكن إذا اعتدى عليكم فقاتلوا المعتدين، وقد أذن لكم برد اعتداءاتهم، ولكن لا تعتدوا بمبادأتهم أو بقتل من لا يقاتل ولا رأى له في القتال فإن الله لا يحب المعتدين.

هامش:

أُتهم الإسلام بأنه قام بحد السيف وهذه الآية واحدة من الآيات القرآنية الكثيرة التي تدحض هذا الزعم، وهي تتضمن أمرًا صريحًا للمسلمين بأن لا يبدأوا بقتال حتى يقاتلهم الغير، وسلوك هذا السبيل اعتداء مكروه من الله لأنه لا يحب المعتدين، وهذه الآية ثاني آية نزل بها الوحي من آيات القتال: الأولى آية 39 من سورة الحج وهي أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. وموجز الدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى رسم لرسوله طريق الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن. ثم أمره أن يدعو الناس إلى الإيمان عن طريق العقل بالنظر إلى بديع صنعه في خلقه، وظل الرسول يدعو بالحسنى ثلاثة عشر عامًا قضاها في مكة لم يشرع فيها سيفًا ولم يرق دمًا ولم يرد على ما ألحقه الكفار به وبأتباعه من أذى بل أمرهم بالهجرة إلى الحبشة فرارًا بدينهم، ثم نابذت قريش بنى هاشم وبنى عبد المطلب وهم خاصة أهل رسول الله وأنذروهم بالخروج من مكة أو يسلمون محمدًا إليهم ليقتلوه، فلما أبوا ذلك قاموا بأهم أعمال الحرب إذ حاصروهم في شعب بنى هاشم بمكة وكتبوا بذلك معاهدة علقوها في جوف الكعبة تعاهدوا فيها بالألّا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم ولا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم. وامتد الحصار ثلاث سنوات اشتد فيها الكرب على المسلمين حتى أكلوا الحشائش الجافة وكادوا يهلكون جوعًا. وهناك أذن الرسول لهم لأن يتسللوا ليلاً فيهاجروا فرادى إلى الحبشة مرة ثانية، ولما سمعوا أن الرسول اعترزم الهجرة إلى المدينة تأمروا على قتله بواسطة جماعة تمثل مختلف القبائل بحيث يتفرق دمه في القبائل. ولما أفلت من المؤامرة تتبعوه فنصره الله وأعمى أعينهم عن مكان الغار فازدادوا حنقًا واشتدوا بالأذى على أتباعه فتبعوه ارسالًا إلى المدينة تاركين خلفهم أموالهم وديارهم وذرايعهم. فلما استقر المسلمون بالمدينة كانت حالة الحرب التي أعلنتها قريش منذ الحصار قائمة وظل كل فريق بعد الهجرة يترصد طريق الآخر ويستمع أخباره. فترصد المسلمون قافلة أبي سفيان فأصرت قريش رغم عدم المساس بالقافلة على أن تخرج بقضها وقضيضها لتقضى على الإسلام

<https://goo.gl/yT8EVV>

1

<http://goo.gl/e1NZGT>

2

والمسلمين بالمدينة. فكان لابد للمسلمين من رد الاعتداء، وهناك أذن الله لهم بالقتال فنزلت أولى آيات القتال أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الآيات 39، 40، 41 من سورة الحج وهي صريحة في أن الترخيص بالقتال جاء معللاً بأن الكفار يقاتلونهم ظلماً وبغيًا. ثم وصف الله المسلمين بأنهم الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله. وقبل أن يبرح المشركون ميدان القتال بعد هزيمتهم ببدر نادى كبيرهم (الحرب يا محمد سجال وموعدا العام القابل في أحد) فكان ذلك استمراراً لحالة الحرب المعلنة من جانب قريش ودفاعاً من جانب المسلمين. وجاءوا بجيش جرار إلى أحد وهي على بعد ستة أميال من المدينة وبهذا كانت غزوة أحد اعتداء من قريش ودفاعاً من جانب المسلمين. وكذلك الشأن في موقعة الخندق حيث أشرف جيش الكفار وبقية الأحزاب على مساكن المدينة فاضطر المسلمون إلى حفر خندق حولها واستمرت الحروب بين طرفيها اعتداء من قريش ودفاعاً من المسلمين. ولما استتب الأمر للإسلام في الجزيرة العربية أرسل الرسول رسله إلى الملوك والأمراء في أنحاء المعمورة يدعوهم إلى الإسلام فمزق كسرى كتاب الرسول وأرسل من يأتي برأس محمد، وبذلك أعلنت الفرس الحرب ضد المسلمين فحاضوها حرباً دفاعية فتح الله بها ملك كسرى وأتباعه من ملوك العرب المناذرة. أما شرحبيل بن عمرو الغساني أمير الغساسنة في الشام الذين كانوا يتبعون دولة الروم فقد قتل حامل كتاب رسول الله وهو في طريقه إلى هرقل، ثم قتل المسلمين الذين أسلموا من رعاياه وعياً جيشاً لقتال دولة الإسلام في الجزيرة العربية فدافع المسلمون عن أنفسهم وأورثهم الله ملك دولة الروم الشرقية. وهكذا لم يشرع الإسلام سيفاً إلا رداً على اعتداء أو تأميناً للدعوة الإسلامية، وصدق الله إذ يقول: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي سورة البقرة آية 256.

191 - واقتلوهم حيث تقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين التفسير: واقتلوا أولئك الذين بدأوكم بالقتال حيث وجدتموهم، وأخرجوكم من مكة وطنكم الذي حملوكم على الخروج منه، ولا تخرجوا من ذلك فقد فعلوا ما هو أشد من القتل في المسجد الحرام إذ حاولوا فتنه المؤمنين عن دينهم بالتعذيب في مكة حتى فروا بدينهم من وطنهم، ولكن للمسجد الحرام حرمة فلا تنتهكوها إلا إذا انتهكها هم بقتالكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم وأنتم الغالبون بفضل الله، وكذلك جزاء الكافرين يفعل بهم ما يفعلونه بغيرهم.

192 - فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم التفسير: فإن رجعوا عن الكفر ودخلوا في طاعة الإسلام، فإن الإسلام يجب ما قبله، والله يغفر لهم ما سلف من كفرهم بفضل منه ورحمة.

193 - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين التفسير: 193 - وقاتلوا هؤلاء الذين حاولوا قتلكم وصدكم عن دينكم بالإيذاء والتعذيب، حتى تستأصل جذور الفتنة ويخلص الدين لله. فإن انتهوا عن كفرهم فقد نجوا أنفسهم وخلصوا من العقاب، فلا ينبغي الاعتداء عليهم حينئذ وإنما العدوان على من ظلم نفسه وأوبقها (أي: أهلكها) بالمعاصي وتجاوز العدل في القول والفعل.

194 - الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين التفسير: فإذا اعتدوا عليكم في الشهر الحرام فلا تقعدوا عن قتالهم فيه فإنه حرام عليهم، كما هو حرام عليكم، وإذا انتهكوا حرمة عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه، وفي الحرمان والمقدسات شرع القصاص والمعاملة بالمثل فمن اعتدى عليكم في مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان بمثله واتقوا الله فلا تسرفوا في المجازاة والقصاص، واعلموا أن الله ناصر المتقين.

195 - وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين

التفسير: جهاد الكفار يكون ببذل النفس كما يكون ببذل المال، فأنفقوا في الإعداد للقتال، واعلموا أن قتال هؤلاء قتال في سبيل الله، فلا تقعدوا عنه، وابدلوا الأموال فيه فإنكم إن تقاعدتم وبخلتم ركبكم العدو وأذلكم فكانما ألقيتم أنفسكم بأيديكم إلى الهلاك، فافعلوا ما يجب عليكم بإحسان وإتقان، فإن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يحسنه.



### فقرات من التفسير

إن الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا نحن العباد المؤمنين ولسائر البشرية أنه: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ البقرة: 256. والإكراه هو أن تحمل الغير على فعل لا يرى هو خيراً في أن يفعله. أي لا يرى الشخص المكره فيه خيراً حتى يفعله.

ولكن هناك أشياء قد نفعلها مع من حولنا لصالحهم، كأن نرغم الأبناء على المذاكرة، وهذا أمر لصالح الأبناء، وكان نجبر الأطفال المرضى على تناول الدواء. ومثل هذه الأمور ليست إكراهاً، إنما هي أمور نقوم بها لصالح من حولنا؛ لأن أحداً لا يسره أن يظل مريضاً.

إن الإكراه هو أن تحمل الغير على فعل من الأفعال لا يرى فيه هو الخير بمنطق العقل السليم. ولذلك يقول الحق سبحانه: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ البقرة: 256. ومعنى هذه الآية أن الله لم يُكره خلقه - وهو خالقهم - على دين، وكان من الممكن أن الله يقهر الإنسان المختار، كما قهر السماوات والأرض والحيوان والنبات والجماد، ولا أحد يستطيع أن يعصي أمره. فيقول سبحانه: لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً. الرعد: 31.

لكن الحق يريد أن يعلم من يأتيه محباً مختاراً وليس مقهوراً، أن المجيء قهراً يثبت له القدرة، ولا يثبت له المحبوبة، لكن من يذهب له طواعية وهو قادر ألا يذهب فهذا دليل على الحب، فيقول تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ البقرة: 256 أي أنا لم أضع مبدأ الإكراه، وأنا لو شئت لأمن من في الأرض كلهم جميعاً. فهل الرسل الذين أرسلهم سبحانه يتطوعون بإكراه الناس؟ لا، إن الرسل جاء لينقل عن الله لا ليُكره الناس، وهو سبحانه قد جعل خلقه مختارين، وإلا لو أكرههم لما أرسل الرسل، ولذلك يقول المولى عز وجل: وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ يونس: 99.

إن الرسول له مهمة البلاغ عن الله؛ لأن الله لم يرد خلقه مكرهين على التدين، إذن فالمبلغ عنه لا يُكره خلقه على التدين، إلا أن هنا لبساً. فهناك فرق بين القهر على الدين، والقهر على مطلوب الدين، هذا هو ما يحدث فيه الخلاف.

تقول لمسلم: لماذا لا تصلي؟ يقول لك: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ البقرة: 256، ويدعي أنه متقف، ويأتيك بهذه الآية ليلجئك بها، فتقول له: لا. لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ البقرة: 256 عقيدة وإيماناً، إنما إن أمنت وأعلنت أنك أمنت بالله وصرت معنا مسلماً فلا بد أن تعرف أنك إن كسرت حكماً من أحكام الإسلام نطلب منك أن تؤديه، أنت حر أن تؤمن أو لا تؤمن، لكن حين التزمت بالإيمان، فعليك مسئولية تنفيذ مطلوب الإيمان، وإلا حسب تصرفك أنه من تصرفات الإسلام، فإذا كنت تشرب خمرأ فإنيك حر؛ لأنك كافر مثلاً، لكن أتؤمن ثم تشرب خمرأ؟! لا.

أنت بذلك تكسر حداً من حدود الله، وعليك العقاب.

ولأنك ما دمت قد علمت كعاقل رشيد مطلوب الإسلام، فعليك أن تنفذ مطلوب الإسلام، ولذلك لم يكلف الله الإنسان قبل أن ينضج عقله بالبلوغ؛ حتى لا يقال: إن الله قد أخذ أحداً بالإيمان وألزمه به

<sup>1</sup> <https://goo.gl/8iOpKP>

<sup>2</sup> <http://goo.gl/I8GUwM>

قبل أن يكتمل عقله. بل ترك التكليف حتى ينضج الإنسان ويكتمل، حتى إذا دخل إلى دائرة التكليف عرف مطلوباته، وهو حر أن يدخل إلى الإيمان أو لا يدخل، لكن إن دخل سيحاسب.

إذن فلا يقل أحد عندما يسمع حكماً من أحكام الدين: لا إكراه في الدين البقرة: 256؛ لأن هذه الآية نزلت بشأن العقيدة الأساسية، فإن اتبعت هذه العقيدة صار لزاماً عليك أن توفي بمطلوباتها. وقد أراد خصوم الإسلام أن يصعدوا هذه العملية فقالوا كذباً وافتراء: إن الإسلام انتشر بحد السيف.

ونقول لهم: لقد شاء الله أن ينشأ الإسلام ضعيفاً ويُضطهد السابقون إليه بكل أنواع الاضطهاد، ويُعذبون، ويُخرجون من ديارهم ومن أموالهم ومن أهلهم، ولا يستطيعون عمل شيء. إذن ففترة الضعف التي مرت بالإسلام أولاً فترة مقصودة.

ونقول لهم أيضاً: من الذي قهر وأجبر أول حامل للسيف أن يحمل السيف؟! والمسلمون ضعاف ومغلوبون على أمرهم، لا يقدرّون على أن يحموا أنفسهم، إنكم تقعون في المتناقضات عندما تقولون: إن الإسلام نُشِرَ بالسيف. ويتحدثون عن الجزية رفضاً لها، فنقول: وما هي الجزية التي يأخذها الإسلام من غير المسلمين كضريبة للدفاع عنهم؟ لقد كان المسلمون يأخذون الجزية من البلاد التي دخلها الفتح الإسلامي، أي أن هناك أناساً بقوا على دينهم. وما دام هناك أناس باقون على دينهم فهذا دليل على أن الإسلام لم يكره أحداً.

وقول الله: لا إكراه في الدين البقرة: 256 علته أن الرشد واضح والغَيّ واضح، وما دام الأمر واضحاً فلا يأتي الإكراه. لأن الإكراه يأتي في وقت اللبس، وليس هناك لبس، لذلك يقول الحق: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ البقرة: 256. وما دام الرشد باننا من الغي فلا إكراه. لكن الله يعطيك الأدلة، وأنت أيها الإنسان بعقلك يمكنك أن تختار، كي تعرف أنك لو دخلت الدين لالتزمت، وحوسبت على دخولك في الدين، فلا تدخل إلا وأنت مؤمن واثق بأن ذلك هو الحق؛ لأنه سينترب عليه أن تقبل أحكام الدين عليك.

لا إكراه في الدين قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ البقرة: 256 والرشد: هو طريق النجاة، والغَيّ: هو طريق الهلاك ويقول الحق أيضاً للرشد والغَيّ في آية أخرى من آيات القرآن الكريم: سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبِيلاً الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلاً الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ الأعراف: 146.

إن الحق يعلمنا أن المتكبرين في الأرض بغير حق لن يستطيعوا الفوز بروية آيات الله ودلائل قدرته، وحتى إن رأوا السبيل الصحيح فلن يسيروا فيه، وإن شاهدوا طريق الضلال سلكوا فيه لأنهم يكذبون بآيات الرحمن ويغفلون عنها. والغَيّ - أيضاً - هو ضلال الطريق، فعندما يسير إنسان في الصحراء ويضل الطريق يقال عنه: فلان قد غوى أي فقد الاتجاه الصحيح في السير، وقد يتعرض لمخاطر جمة كلقاء الوحوش وغير ذلك. ويوضح لنا الحق طريق الرشد بمنطوق آخر في قوله الحق: وَأَنَا لَا نَذْرِي أَشْرًا أَرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا الجن: 10.

إن الجن قد ظنوا كما ظن بعض من معشر الإنس أن الله لن يبعث أحداً بعد الموت أو لن يرسل رسولاً من البشر لهداية الكون. وقد طلب الجن بلوغ السماء فوجدوها قد مُلئت حرساً من الملائكة وشهباً محرقة. وإن الجن لا يعلمون السر في حراسة السماء وهل في ذلك شرٌّ بالبشر أو أراد الله بهم خيراً وهدى. إذن فالرُّشْدُ - بضم الراء وتسكين الشين - والرُّشْدُ بفتح الراء وفتح الشين - كلاهما يوضح الطريق الموصل للنجاة. ويقابل الرشد الغي.

ويتابع الحق: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى البقرة: 256 أولاً: نلاحظ أن الحق هنا قد قدم الكفران بالطاغوت، ثم جاء بالإيمان بالله؛ لأن الأمر يتطلب التخلية أولاً والتخلية ثانياً، لا بد أن يتخلى الإنسان من الطاغوت فلا يدخل على أنه يؤمن بالله وفي قلبه الطاغوت، فنحن قبل أن نكوي الثوب نغسله وننظفه، التخلية قبل التخلية.

وما هو الطاغوت؟ إنه من مادة طغى، وكلمة طاغوت مبالغة في الطغيان. لم يقل: طاع، بل طاغوت، مثل جبروت، والطاغوت إما أن يُطلق على الشيطان، وإما أن يُطلق على من يعطون أنفسهم حق التشريع فيكفرون وينسبون من يشاءون إلى الإيمان حسب أهوائهم، ويعطون أشياء بسطة زمنية من عندهم، ويُطلق أيضاً على السحرة والدجالين، ويُطلق على كل من طغى وتجاوز الحد في أي شيء، فكلمة طاغوت مبالغة، وقد تكون هذه المبالغة متعددة الألوان، فمرة يكون الطاعي شيطانياً، ومرة يكون الطاعي كاهناً، ومرة يكون ساحراً أو دجالاً، ومرة يكون حاكماً.

ومادة الطاغوت تدل على أن الموصوف بها هو من تزيده الطاعة له طغياناً، فعندما يجربك في حاجة صغيرة، فطغيه فيها فيزداد بتلك الطاعة طغياناً عليك. والحق سبحانه يقول: فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ الزخرف: 54.

ويزيد في الأمر حتى يصير طاغية، ولا يوجد أحد استهل عمله بالطغيان العالي، إنما يبدأ الأمر خطوة خطوة، كأي نظام ديكتاتوري قهري، إنه يبدأ بـ (جس نبض) فإن صبر الناس، ازداد هذا النظام في القسوة حتى يصير طاغوتاً، إذن فالطاغوت هو الذي تستزيده الطاعة طغياناً، وتُطلق على الشيطان؛ لأنه هو الأساس، وعلى الذين يتكلمون باسم الدين للسلطة الزمنية (سواء كانوا كهاناً أو غيرهم)، وتُطلق على الذين يسحرون ويدجلون، لأنهم طغوا بما علموه؛ إنهم يستعملون أشياء يتعجبون بها الناس، وقد جاءت الكلمة هنا بصيغة المبالغة لاشتمالها على كل هذه المعاني، وإذا استعرضنا الكلمة في القرآن نجد أن الطاغوت ترد مذكورة في بعض الأحيان، وقد وردت مؤنثة في آية واحدة في القرآن: وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبَشْرَىٰ قَبْشِرٌ عِبَادِ الزمر: 17.

لقد أوضحت هذه الآية أنهم تركوا كل أنواع الطغيان وأصنافه، أي إن الذين اجتنبوا الألوان المتعددة من الطغيان هم الذين يتجهون بالعبادة الخالصة لله، ولهم البشري. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الْبَقْرَةِ: 256 وكلمة استمسك غير كلمة مَسَكَ. لأن استمسك تدل على أن فيه مجاهدة في المسك، والذي يتدين يحتاج إلى مجاهدة في التدين؛ لأن الشيطان لن يتركه، فلا يكفي أن تمسك، بل عليك أن تستمسك، كلما وسوس الشيطان لك بأمر فعليك أن تستمسك بالتدين، هذا يدل على أن هناك مجاهدة وأخذاً ورداً.

فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْبَقْرَةِ: 256 والعروة هي العلاقة، مثلما نقول: عروة الدلو، التي تمسكها منه، وهذه عادة ما تكون مصنوعة من الحبل الملفوف المتين، والوثقى هي تأنيث (الأوثق) أي أمر موثوق به، وقوله: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الْبَقْرَةِ: 256، قد يكون تشبيهاً بعروة الدلو لأن الإنسان يستخدم الدلو ليأتي بالماء، وبالماء حياة البدن، وبالدين حياة القيم.

فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الْبَقْرَةِ: 256 كأنه ساعة جاء بكلمة عروة يأتي بالدلو في بال الإنسان، والدلو تأتي بالماء، والماء به حياة البدن، إذن فهذه تعطينا إيحاءات التصور واضحة، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الْبَقْرَةِ: 256، وما دامت عروة وثقى التي هي الدين والإيمان بالله، وما دامت هي الدين وحبل الله فهذه وثقى، وما دامت وثقى فلا انفصام لها، وعلينا أن نعرف أن فيه انفصاماً. وفيه انفصام الأول بالفاء والثاني بالقاف.

الانفصام: يمنع الاتصال الداخلي؛ مثلما تنكسر اليد لكنها تظل معلقة، والانفصام: أن يذهب كل جزء بعيداً عن الآخر أي فيه بينونة، والحق يقول: لَا انفصامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ الْبَقْرَةِ: 256 توحى بأن عملية الطاغوت ستكون دائماً وسوسة، وهذه الوسوسة هي: الصوت الذي يغرى بالكلام المعسول، ولذلك أخذت كلمة وسوسة الشيطان من وسوسة الخلي، ووسوسة الذهب هي رنين الذهب، أي وسوسة مغرية مثل وسوسة الشيطان، والله عليم بكل أمر. ويقول الحق بعد ذلك: اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.

### فقرات من التفسير

256 قوله تعالى: لا إكراه في الدين؛ هذه الجملة نفي؛ لكن هل هي بمعنى النهي؛ أي لا تكرر هو أحداً على الدين؛ أو بمعنى النفي؛ أي أنه لن يدخل أحد دين الإسلام مكرهاً؛ بل عن اختيار؛ لقوله تعالى بعد ذلك: قد تبين الرشد من الغي؟ الجواب: تحتل وجهين؛ والإكراه الإرغام على الشيء.

وقوله تعالى: في الدين؛ الدين يطلق على العمل؛ ويطلق على الجزاء؛ أما إطلاقه على العمل ففي مثل قوله تعالى: ورضيت لكم الإسلام ديناً المائدة: 3، وقوله تعالى: إن الدين عند الله الإسلام آل عمران: 19؛ وأما إطلاقه على الجزاء فمثل قوله تعالى: وما أدراك ما يوم الدين \* ثم ما أدراك ما يوم الدين الانفطار: 17، 18 أي يوم الجزاء؛ وقد قيل: كما تدين تدان؛ أي كما تعمل تجازى؛ والمراد بـ الدين هنا العمل؛ والمراد به دين الإسلام بلا شك؛ فـ آل هنا للعهد الذهني؛ يعني الدين المفهوم عنكم أيها المؤمنون؛ وهو دين الإسلام.

قوله تعالى: قد تبين الرشد من الغي؛ تبين هنا ضمنت معنى تميّز؛ وكلما جاءت من بعد تبين فإنها مضمّنة معنى التمييز؛ أي تميز هذا من هذا.

وقوله تعالى: الرشد من الغي: هناك رشد، وغيّ؛ وهدى، وضلال؛ فـ؛ الرشد معناه حسن المسلك، وحسن التصرف: بأن يتصرف الإنسان تصرفاً يحمده عليه؛ وذلك بأن يسلك الطريق الذي به النجاة؛ ويقابل بـ الغي كما هنا؛ والمراد بـ الرشد هنا الإسلام؛ وأما الغي فهو سوء المسلك: بأن يسلك الإنسان ما لا يحمده عليه لا في الدنيا، ولا في الآخرة؛ والمراد به هنا الكفر.

وتبيّن الرشد من الغي بعدة طرق:

أولاً: بالكتاب؛ فإن الله سبحانه وتعالى فرّق في هذا الكتاب العظيم بين الحق، والباطل؛ والصالح، والفساد؛ والرشد، والغّي، كما قال تعالى: ونزلنا عليك الكتاب تبيّناً لكل شيء النحل: 89؛ فهذا من أقوى طرق البيان.

ثانياً: بسنة النبي؛ فإنها بينت القرآن، ووضحته؛ ففسرت ألفاظه التي تشكل، ولا تعرف إلا بنص؛ وكذلك وضحت مجملاته، ومبهماتة؛ وكذلك بينت ما فيه من تكميلات يكون القرآن أشار إليها، وتكملها السنة، كما قال تعالى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون النحل: 44. الطريق الثالث: هدي النبي، وسلوكه في عبادته، ومعاملته، ودعوته؛ فإنه بهذه الطريقة العظيمة تبين للكفار، وغير الكفار حسن الإسلام؛ وتبين الرشد من الغي.

الطريق الرابع: سلوك الخلفاء الراشدين؛ وفي مقدمتهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ؛ فإن بطريقتهم بان الإسلام، واتضح؛ وكذلك من كان في عصرهم من الصحابة على سبيل الجملة لا التفصيل؛ فإنه قد تبين بسلوكلهم الرشد من الغي.

هذه الطرق الأربع تبين فيها الرشد من الغي؛ فمن دخل في الدين في ذلك الوقت فقد دخل من هذا الباب؛ ولم يصب من قال: إن الدين انتشر بالسيف، والرمح.

قوله تعالى: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى؛ الكفر في اللغة مأخوذ من الستر؛ ومنه سمي الكُفْرَى لوعاء طلع النخل؛ لأن الإنسان الكافر ستر نعمة الله عليه، وستر ما

1 <https://goo.gl/deFJns>

2 <http://goo.gl/hXxq5P>

تقتضيه الفطرة من توحيد الله عز وجل؛ فمن يكفر بالطاغوت أي من ينكره، ويبتعد عنه؛ والطاغوت فسرره ابن القيم بأنه كل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع؛ مشتق من الطغيان؛ وهو تجاوز الحد: قال تعالى: إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية الحاقة: 11؛ لأن الماء الذي أغرق الله به الكفار بنوح تجاوز الحد حتى وصل إلى ما فوق قمم الجبال؛ فالمعبود كالأصنام طاغوت؛ لأن الإنسان تجاوز بها حده في العبادة؛ والمتبوع كالأحبار، والرهبان الضالين طاغوت؛ لأن الإنسان تجاوز بهم الحد في تحليل ما حرم الله عز وجل، أو تحريم ما أحل الله عز وجل؛ والمطاع كالأمرء ذوي الجور والضلال الذين يأمرون بسلطتهم التنفيذية - لا التشريعية - طاغوت؛ إذ فمن يكفر بالطاغوت من كفر بالأصنام؛ ومن كفر بأحبار، ورهبان السوء؛ ومن كفر بأمرء السوء الذين يأمرون بمعصية الله، ويلزمون بخلاف شرع الله عز وجل.

ولا يكفي الكفر بالطاغوت؛ لأن الكفر تخلّ، وعدم؛ ولا بد من إيجاب؛ الإيجاد: قوله تعالى: ويؤمن بالله بالجزم عطفاً على يكفر؛ والإيمان بالله متضمن أربعة أمور: الإيمان بوجوده؛ والإيمان بربوبيته؛ والإيمان بألوهيته؛ والإيمان بأسمائه، وصفاته

إيماناً يستلزم القبول، والإذعان - القبول للخبر، والإذعان للطلب سواء كان أمراً، أو نهياً؛ فصار الإيمان بالله مركباً من أربعة أمور مستلزمة لأمرين؛ ثم اعلم أن معنى قولنا: الإيمان بوجود الله، وربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته المراد الإيمان بانفراده بهذه الأشياء: بالألوهية؛ والربوبية؛ والأسماء، والصفات؛ وبالوجود الواجب - فهو سبحانه وتعالى منفرد بهذا بأنه واجب الوجود.

قوله تعالى: فقد استمسك بالعروة الوثقى جواب من الشرطية؛ استمسك أي تمسك تمسكاً بالغاً بالعروة الوثقى أي المقبض القوي الذي ينجو به؛ والمراد به هنا الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله؛ لأن به النجاة من النار.

قوله تعالى: لا انفصام لها أي لا انقطاع، ولا انفكاك لها؛ لأنها محكمة قوية.

قوله تعالى: والله سميع عليم: سبق الكلام عليها مفصلاً.

الفوائد:

(1) من فوائد الآية: أنه لا يكره أحد على الدين لوضوح الرشد من الغي؛ لقوله تعالى: لا إكراه في الدين؛ هذا على القول بأنها خبرية؛ أما على القول بأنها إنشائية فإنه يستفاد منها أنه لا يجوز أن يكره أحد على الدين؛ وبيئت السنة كيف نعامل الكفار؛ وذلك بأن ندعوهم إلى الإسلام؛ فإن أبوا فإلى بذل الجزية؛ فإن أبوا قاتلناهم.

(2) ومنها: أنه ليس هناك إلا رشد، أو غي؛ لأنه لو كان هناك ثالث لذكر؛ لأن المقام مقام حصر؛ ويدل لهذا قوله تعالى: فمأذا بعد الحق إلا الضلال يونس: 32، وقوله تعالى: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين سبأ: 24.

(3) ومنها: أنه لا يتم الإخلاص لله إلا بنفي جميع الشرك؛ لقوله تعالى: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله؛ فمن آمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت فليس بمؤمن.

(4) ومنها: أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت؛ لقوله تعالى: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله؛ وجه هذا أنه سبحانه وتعالى جعل الكفر بالطاغوت قسيماً للإيمان بالله؛ وقسيم الشيء غير الشيء؛ بل هو منفصل عنه.

(5) ومنها: أنه لا نجاة إلا بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله؛ لقوله تعالى: فقد استمسك بالعروة الوثقى.

(6) ومنها: أن الأعمال تتفاضل؛ يؤخذ ذلك من اسم التفضيل: الوثقى؛ لأن التفضيل يقتضي مفضلاً، ومفضلاً عليه؛ ولا شك أن الأعمال تتفاضل بنص القرآن، والسنة؛ قال تعالى: ليلوكم أيكم أحسن عملاً؛ الملك: 2 وأحسن اسم تفضيل؛ وهذا دليل على أن الأعمال تتفاضل بالحسن؛ وسئل النبي: أي العمل أحب إلى الله قال: الصلاة على وقتها وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: ما تقرب إلي

عبدى بشيء أحب إالى مما افترضت عليه؛ ويلزم من تفاضل الأعمال تفاضل العامل: كلما كان العمل أفضل كان العامل أفضل؛ وتفاضل الأعمال يكون بعدة أمور: بحسب العامل؛ بحسب العمل جنسه، أو نوعه؛ بحسب الزمان؛ بحسب المكان؛ بحسب الكيفية، والمتابعة؛ بحسب الإخلاص لله؛ بحسب الحال.

(7) ومن فوائد الآية: إثبات اسمين من أسماء الله - هما السميع العليم، وما تضمناه من صفة.

### فقرات من التفسير

الإكراه معناه: حمل الغير على قول أو فعل لا يريده عن طريق التخويف أو التعذيب أو ما يشبه ذلك. والمراد بالدين دين الإسلام والألف واللام فيه للعهد.

والرشد: الاستقامة على طريق الحق مع تصلبه فيه، مصدر رشد يرشد ويرشد أي اهتدى. والمراد هنا: الحق والهدى.

والغي ضد الرشد. مصدر من غوى يغوى إذا ضل في معتقد أو رأى، ويرى بعض العلماء أن نفي الإكراه هنا خبر في معنى النهى، أي: لا تكررهما أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح في دلالة وبراهينه، فمن هداه الله له ونور بصيرته دخل فيه على بصيرة، ومن أضله وأعمى قلبه لا يفيد الإكراه على الدخول فيه.

وقال بعض العلماء إن الجملة هنا على حالها من الخبرة والمعنى: ليس في الدين - الذي هو تصديق بالقلب، وإذعان في النفس - إكراه وإجبار من الله - تعالى - لأحد، لأن مبنى هذا الدين على التمكين والاختيار، وهو مناط الثواب والعقاب، لولا ذلك لما حصل الابتلاء والاختبار، ولبطل الامتحان.

أو المعنى: كما يرى بعضهم - إن من الواجب على العاقل بعد ظهور الآيات البينات على أن الإيمان بدين الإسلام حق ورشد. وعلى أن الكفر به غي وضلال، أن يدخل عن طوعية واختيار في دين الإسلام الذي ارتضاه الله وألا يكره على ذلك بل يختاره بدون قسر أو تردد.

فالجملة الأولى وهي قوله - تعالى -: لا إكراه في الدين: تنفي الإكراه على الدخول في الدين، لأن هذا الإكراه لا فائدة من ورائه، إذ التدين إذعان قلبي، واتجاه بالنفس والجوارح إلى الله رب العالمين بإرادة حرة مختارة فإذا أكره عليه الإنسان ازداد كرهاً له ونفوراً منه. فالإكراه والتدين نقيضان لا يجتمعان، ولا يمكن أن يكون أحدهما ثمرة للآخر.

والجملة الثانية وهي قوله - تعالى -: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ بِمَثَابَةِ الْعَلَّةِ لِنَفْيِ هَذَا الْإِكْرَاهِ عَلَى الدخول في الدين، أي قد ظهر الصبح لذي عينين، وانكشف الحق من الباطل، والهدى من الضلال وقامت الأدلة الساطعة على دين الإسلام هو الدين الحق وغيره من الأديان ضلال وكفران وما دام الأمر كذلك فقد توافرت الأسباب التي تدعو إلى الدخول في دين الإسلام، ومن كفر به بعد ذلك فليحتمل نتيجة كفره، وسوء عاقبة أمره.

ثم قال - تعالى -: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصام لها. الطاغوت: اسم لكل ما يطغى الإنسان، كالأصنام والأوثان والشيطان وكل رأس في الضلال وكل ما عبد من دون الله. وهو مأخوذ من طغا يطغى - كسعى يسعى - طغياً وطغياناً، أو من يطغو طغوا طغواناً، إذا جاوز الحد وغلا في الكفر وأسرف في المعاصي والفجور.

والعروة: في أصل معناها تطلق على ما يتعلق بالشيء من عراه أي من الجهة التي يجب تعليقه منها، وتجمع على عرى. والعروة من الدلو والكوز مقبضه. ومن الثوب مدخل زره.

والوثقى: مؤنث الأوثق، وهو الشيء المحكم الموثق. يقال وثق - بالضم - وثاقه أي: قوى وثبت فهو وثيق أي ثابت محكم.

1 <https://goo.gl/45N7XS>

2 <http://goo.gl/6fRsbG>

والانفصام. الانكسار، والفصم كسر الشيء وقطعة.

والمعنى: فمن خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة غير الله، وأمن بالله - تعالى - إيماناً خالصاً صادقاً فقد ثبت أمره واستقام على الطريقة المثلى التي لا انقطاع لها وأمسك من الدين بأقوى سبب وأحكم رباط.

والفاء في قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ للتفريع. والسين والتاء في استمسك للتأكيد والطلب، وقوله: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فيه - كما يقول الزمخشري - تمثيل للمعلوم بالمنظور والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى بتصوره السامع كأنما ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به، وجملة لا أَنْفِصَامَ لَهَا استئناف مقرر لما قبله أو حال من العروة والعامل استمسك.

ثم ختم - سبحانه الآية بقوله: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أي سميع الأقوال، وهمسات القلوب، وخلجات النفوس، عليم بما يسره الناس وما يعلنونه، وسيجازيهم بما يستحقون من ثواب أو عقاب.

قال القرطبي ما ملخصه: قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله - تعالى -: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

لأن النبي قد أكره العرب على دين الإسلام وقتلهم ولم يرض منهم إلا الإسلام. وقيل إنها ليست بمنسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية. والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق. قالت أنا عجوز كبيرة والموت إلى قريب. فقال عمر: اللهم اشهد وتلا: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ.

والذي تسكن إليه النفس أن هذه الآية محكمة غير منسوخة، لأن التدين لا يكون مع الإكراه - كما أشرنا من قبل - ولأن الجهاد ما شرع في الإسلام لإجبار الناس على الدخول في الإسلام إذ لا إسلام مع إجبار، وإنما شرع الجهاد لدفع الظلم ورد العدوان وإعلاء كلمة الله، والرسول ما قاتل العرب ليكرههم على الدخول في الإسلام وإنما قاتلهم لأنهم بدأوه بالعداوة.

ولأن الروايات في سبب نزول هذه الآية تؤيد أنه لا إكراه في الدين، ومن هذه الروايات ما جاء عن ابن عباس أنه قال: نزلت في رجل من الأنجز من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو مسلماً، فقال للنبي ألا استكرههما فإنهما قد أبيا إلا النصرانية فأنزل الله هذه الآية وفي رواية أخرى أنه حاول إكراههما على الدخول في الإسلام فاختصموا إلى النبي فقال الأنصاري: يا رسول الله أيدخل بعض النار وأنا أنظر إليه فنزلة هذه الآية.

ولأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا لم يمكن التوفيق بين الآيتين وهنا يمكن التوفيق بأن نقول: إن الآية التي معنا تنفي إكراه الناس على اعتقاد ما لا يريدون وآية يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ جاءت لحض النبي وحض أصحابه على قتال الكفار الذين وقفوا في طريق دعوته، حتى يكفوا عن عدوانهم وتكون كلمة الله هي العليا.



### فقرات من التفسير

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أَي لَا إِجْبَارَ وَلَا إِكْرَاهَ لِأحد على الدخول في دين الإسلام، فقد بان ووضح الحق من الباطل والهدى من الضلال فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى أَي من كفر بما يعبد من غير الله كالشيطان والأوثان وأمن بالله فقد تمسك من الدين بأقوى سبب لا انفصام لها أي لا انقطاع لها ولا زوال والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ أي سميع لأقوال عباده عليم بأفعالهم الله وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أي الله ناصر المؤمنين وحافظهم ومتولي أمورهم، يخرجهم من ظلمات الكفر والضلالة إلى نور الإيمان والهداية وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَي وأما الكافرون فأولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور الإيمان إلى ظلمات الشك والضلال أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ أَي ماكثون في نار جهنم لا يخرجون منها أبداً.

البلاغة: 1- في آية الكرسي أنواع من الفصاحة وعلم البيان منها حسن الافتتاح لأنها افتتحت بأجل أسماء الله تعالى، وتكرار اسمه ظاهراً ومضمراً في ثمانية عشر موضعاً، والإطناب بتكرير الصفات، وقطع الجمل حيث لم يصلها بحرف العطف، والطباق في مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ أفاده صاحب البحر المحيط.

2- اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى استعارة تمثيلية حيث شبه المستمسك بدين الإسلام بالمستمسك بالحبيل المحكم، وعدم الانفصام ترشيحاً.

1 <https://goo.gl/PnbLwU>

2 <http://goo.gl/RwPDC3>

### فقرات من التفسير

شرح الكلمات:

لا إكراه في الدين: لا يكره المرء على الدخول في الدين، وإنما يعتنقه بإرادته واختياره.

الرشد: الهدى الموصول إلى الإسعاد والإكمال.

الغي: الضلال المفضي بالعبد إلى الشقاء والخسران.

الطاغوت: كل ما صرف عن عبادة الله تعالى من إنسان أو شيطان أو غيرهما.

العروة الوثقى: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

لا انفصام لها: لا تتفك ولا تتحل بحال من الأحوال.

الله وليّ الذين آمنوا: مُتولّيهم بحفظه ونصره وتوفيقيه.

الظلمات: ظلمات الجهل والكفر.

النور: نور الإيمان والعلم.

أولياؤهم الطاغوت: المتولون لهم الشياطين الذين زينوا لهم عبادة الأوثان فأخرجوهم من الإيمان

إلى الكفر ومن العلم إلى الجهل.

معنى الآيتين:

يخبر الله تعالى بعد ذكر صفات جلاله وكماله في آية الكرسي أنه لا إكراه في دينه، وذلك حين أراد بعض الأنصار إكراه من تهوّد أو تنصّر من أولادهم على الدخول في دين الإسلام، ولذا فإن أهل الكتابين ومن شابههم تؤخذ منهم الجزية ويقرون على دينهم فلا يخرجون منه إلا باختيارهم وإرادتهم الحرة، أما الوثنيون والذين لا دين لهم سوى الشرك والكفر فيقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام إنقاذاً لهم من الجهل والكفر وما لا زمهم من الضلال والشقاء.

ثم أخبر تعالى أنه بإنزال كتابه وبعثه رسوله ونصر أوليائه قد تبين الهدى من الضلال والحق من الباطل، وعليه فمن يكفر بالطاغوت وهو الشيطان الذي زين عبادة الأصنام ويؤمن بالله فيشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد استمسك من الدين بأمتن عروة وأوثقها، ومن يصرّ على الكفر بالله والإيمان بالطاغوت فقد تمسك بأوهى من خيط العنكبوت، والله سميع لأقوال عباده عليم بنياتهم وخفيات أعمالهم وسيجزي كلاً بكسبه. ثم أخبر تعالى أنه ولي عباده المؤمنين فهو يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان فيكْمَلُون وَيَسْعُدُونَ، وأن الكافرين أولياؤهم الطاغوت من شياطين الجن والإنس الذين حسنوا لهم الباطل والشور، وزينوا لهم الكفر والفسوق والعصيان، فأخرجوهم بذلك من النور إلى الظلمات فأهلّوهم لدخول النار فكانوا أصحابها الخالدين فيها.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

1 <http://goo.gl/ga0l5Z>

2 <http://goo.gl/KFqiny>

- 1- لا يُكره أهل الكتابين ومن في حكمهم كالمجوس والصابئة على الدخول في الإسلام إلا باختيارهم وتقبل منهم الجزية فَيَقْرُونَ على دينهم.
- 2- الإسلام كله رشد، وما عداه ضلال وباطل.
- 3- التخلي عن الرذائل مقدّم على التحلي بالفضائل.
- 4- معنى لا إله إلا الله، وهي الإيمان بالله والكفر بالطاغوت.
- 5- ولاية الله تعالى تُنال بالإيمان والتقوى.
- 6- نُصْرَةُ الله تعالى ورعايته لأوليائه دون أعدائه.

### فقرات من التفسير

يَأْمُرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَلْبَسِ بِأَلْبَسِهِمْ وَأَنْ يَأْتُوا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ بَيِّنٌ وَاضِحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ. وَالْإِيمَانُ إِذْعَانٌ وَخُضُوعٌ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالْإِلْزَامِ وَالْإِكْرَاهِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ بِالْحُجَّةِ وَالِدَلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، وَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ فِي هَذَا الدِّينِ الرُّشْدَ وَالصَّلَاحَ، وَأَنَّ مَا خَالَفَهُ مِنَ الْمَلِكِ الْأُخْرَى غَيٌّ وَضَلَالٌ.

فَمَنْ كَفَرَ بِالْأَنْدَادِ وَالْأَوْثَانِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ مِنْ عِبَادَةِ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ (أَيِّ وَمَنْ كَفَرَ بِمَا تَكُونُ عِبَادَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِهِ سَبَباً فِي الطُّغْيَانِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ عِبَادَةِ مَخْلُوقٍ) فَقَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهُ، وَاسْتَنَقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُنْتَلَى، وَأَمْسَكَ بِأَوْثَقِ عُرَى النِّجَاةِ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنَ التَّرْدِي فِي مَهَاوِي الضَّلَالَاتِ.

وَاللهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِ مَنْ يَدْعِي بِالطَّاغُوتِ، وَالْإِيمَانَ بِاللهِ. عَلِيمٌ بِمَا يُكْتَبُ قَلْبُهُ مِمَّا يُصَدِّقُ هَذَا أَوْ يُكَذِّبُهُ.

الطَّاغُوتُ - هُوَ كُلُّ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهَا، وَالْإِسْتِنْسَارِ بِهَا، وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ الطَّاغُوتَ هُوَ الشَّيْطَانُ.

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ - تَمَيَّزَ الْهُدَى وَالْإِيمَانُ.

مِنَ الْغَيِّ - مِنَ الضَّلَالِ وَالْكُفْرِ.

بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى - بِالْعَقِيدَةِ الْوُثْقَى الْمُحْكَمَةِ.

لَا أَنْفِصَامَ لَهَا - لَا انْقِطَاعَ وَلَا زَوَالَ.

## فقرات من التفسير

### المجلد 8

قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

مناسبة الآية لما قبلها

قال البقاعي:

ولما اتضحت الدلائل لكل عالم وجاهل صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه إلى إكراه فيه فقال: لا إكراه في الدين وقال الحرالي: لما نقل سبحانه وتعالى رتبة الخطاب من حد خطاب الأمر والنهي والحدود وما يبني عليه المقام به دين القيمة الذي أخفي لهم أمر العظمة والجبروت الجابر لأهل الملكوت والملك فيما هم فيه مصرفون إلى علو رتبة دين الله المرضي الذي لا لبس فيه ولا حجاب عليه ولا عوج له، وهو اطلاعه سبحانه وتعالى عبده على قيموته الظاهرة بكل باد وفي كل باد وعلى كل باد وأظهر من كل بادٍ وعظمته الخفية التي لا يشير إليها اسم ولا يجوزها رسم وهي مداد كل مداد بين سبحانه وتعالى وأعلن بوضع الإكراه الخفي موقعه في دين القيمة من حيث ما فيه من حمل الأنفس على كرهها فيما كتب عليها مما هو علم عقابها وآية عذابها، فذهب بالاطلاع على أمر الله في قيموته وعظمته كره النفس بشهودها جميع ما تجري فيه لها ما عليها. فأولئك يبذل الله سيئاتهم حسنات بما استشعرته قلوبهم من ماء التوحيد الجاري تحت مختلفات أثمار أعمالهم فعاد حلوه ومره بذلك التوحيد حلواً، كما يقال في الكبريت الأحمر الذي يقلب أعيان الأشياء الدنية إلى حال أرفعها - انتهى.

ثم علل سبحانه وتعالى انتفاء الإكراه عنه بقوله: قد تبين الرشد قال الحرالي: وهو حسن التصرف في الأمر والإقامة عليه بحسب ما يثبت ويدوم من الغي وهو سوء التصرف في الشيء وإجراؤه على ما تسوء عاقبته - انتهى.

أي فصار كل ذي لب يعرف أن الإسلام خير كله وغيره شر كله، لما تبين من الدلائل وصار بحيث يبادر كل من أراد نفع نفسه إليه ويخضع أجبر الجبارة لديه فكانه لقوة ظهوره وغلبة نوره قد انتفي عنه الإكراه بحذافيره، لأن الإكراه الحمل على ما لم يظهر فيه وجه المصلحة فلم يبق منه مانع إلا حظ النفس الخبيث في شهواتها الدهيمية والشيطانية فمن أي فكان ذلك سبباً لأنه من يكفر بالطاغوت وهو نفسه وما دعت إليه ومالت بطبعها الرديء إليه.

وقال الحرالي: وهو ما أفضح في الإخراج عن الحد الموقف عن الهلكة صيغة مبالغة وزيادة انتهاء مما منه الطغيان - انتهى.

ويؤمن بالله أي الملك الأعلى ميلاً مع العقل الذي هو خير كله لما رأى بنوره من الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ودوام على ذلك بما أفادته صيغة المضارع من يكفر ويؤمن فقد استمسك على بصيرة منه بالعروة الوثقى أي التي لا يقع شك في أنها أوثق الأسباب في نجاته بما ألقى بيده واستسلم لربه ومن يسلم وجهه إلى الله الحج: 31، والعروة ما تشد به العياب ونحوها بتداخلها بعضها في

1 <http://goo.gl/DMFssg>

2 <http://goo.gl/Zmy0yY>

بعض دخولاً لا ينفصم بعضه من بعض إلا بفصم طرفه فإذا انفصمت منه عروة انفصم جميعه، والوقتى صيغة فعلى للمبالغة من الثقة بشدة ما شأنه أن يخاف وهنه، ثم بين وثافتها بقوله: لا انفصام لها أي لا مطاوعة في حل ولا صدع ولا ذهاب.

قال ابن القطاع: فصمت الشيء صدعته، والعقدة حللتها، والشيء عنه ذهب.

وقال الحرالي: من الفصم وهو خروج العرى بعضها من بعض، أي فهذه العروة لا انحلال لها أصلاً، وهو تمثيل للمعلوم بالنظر والاحتجاج بالمشاهد المحسوس ليتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه فيحكم اعتقاده فيه ويجل اغتباطه به، فعلم من هذا أنه لم يبق عائق عن الدخول في هذا الدين إلا القضاء والقدر، فمن سبقت له السعادة قبيض الله سبحانه وتعالى له من الأسباب ما يخرج به من الظلمات إلى النور، ومن غلبت عليه الشقاوة سلط عليه الشياطين فأخرجته من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والحيرة.

ولما كان كل من الإيمان والكفر المتقدمين قولاً وفعلاً واعتقاداً قال مرغباً فيهما ومرهباً من تركهما: والله الذي له صفات الكمال سمیع أي لما يقال مما يدل على الإيمان عليم أي بما يفعل أو يضم من الكفر والطغيان ومجاز عليه، ولعل في الآية التفاتاً إلى ما ذكر أول السورة في الكفار من أنه سواء عليهم الإنذار وتركه وإلى المنافقين وتقبیح ما هم عليه مما هو في غاية المخالفة لما صارت أدلته أوضح من الشمس وهي مشعرة بالإذن في الإعراض عن المنافقين. أ ه نظم الدرر ح 1 ص 500 - 501

قال ابن عاشور:

قوله تعالى: لا إكراه في الدين

استئناف بياني ناشئ عن الأمر بالقتال في سبيل الله في قوله: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سمیع عليم البقرة: 244 إذ يبدو للسامع أن القتال لأجل دخول العدو في الإسلام فبين في هذه الآية أنه لا إكراه على الدخول في الإسلام وسيأتي الكلام على أنها محكمة أو منسوخة.

وتعقيب آية الكرسي بهاته الآية بمناسبة أن ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلالات الوجدانية وعظمة الخالق وتنزيهه عن شوائب ما كفرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبر ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتزكون عليه أم يكرهون على الإسلام، فكانت الجملة استئنافاً بيانياً. أ ه التحرير والتنوير ح 3 ص 25

قال الفخر:

اللام في الدين فيه قولان أحدهما: أنه لام العهد والثاني: أنه بدل من الإضافة، كقوله فإن الجنة هي المأوى النازعات: 41 أي مأواه، والمراد في دين الله.

أ ه مفاتيح الغيب ح 7 ص 13

فصل

قال ابن عاشور:

ونفي الإكراه خبر في معنى النهي، والمراد نفي أسباب الإكراه في حكم الإسلام، أي لا تكرهوا أحداً على اتباع الإسلام قسراً، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصاً.

وهي دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر، وبالاختيار.

وقد تقرر في صدر الإسلام قتال المشركين على الإسلام، وفي الحديث: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها.

ولا جائز أن تكون هذه الآية قد نزلت قبل ابتداء القتال كله، فالظاهر أن هذه الآية نزلت بعد فتح مكة واستخلاص بلاد العرب، إذ يمكن أن يدوم نزول السورة سنين كما قدمناه في صدر تفسير سورة الفاتحة لا سيما وقد قيل بأن آخر آية نزلت هي في سورة النساء ( 176 ) يبين الله لكم أن تضلوا الآية (1)، فنسخت حكم القتال على قبول الكافرين الإسلام ودلت على الاقتناع منهم بالدخول تحت سلطان الإسلام وهو المعبر عنه بالذمة، ووضعه عمل النبي وذلك حين خلصت بلاد العرب من الشرك بعد فتح مكة وبعد دخول الناس في الدين أفواجاً حين جاءت وفود العرب بعد الفتح، فلما تم مراد الله من إنقاذ العرب من الشرك والرجوع بهم إلى ملة إبراهيم، ومن تخليص الكعبة من أرجاس المشركين، ومن تهيئة طائفة عظيمة لحمل هذا الدين وحماية بيضته، وتبيين هدى الإسلام وزال ما كان يحول دون أتباعه من المكابرة، وحقق الله سلامه بلاد العرب من الشرك كما وقع في خطبة حجة الوداع إن الشيطان قد ينس من أن يُعبد في بلدكم هذا لما تم ذلك كله أبطل الله القتال على الدين وأبقى القتال على توسيع سلطانه، ولذلك قال (سورة التوبة 29)

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وعلى هذا تكون الآية ناسخة لما تقدم من آيات القتال مثل قوله قبلها يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم التوبة: 73 على أن الآيات النازلة قبلها أو بعدها أنواع ثلاثة:

(1) الراجح عند العلماء المحققين أن آخر آية نزلت هي قوله تعالى في سورة البقرة واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله

ولا يخلو بعض كلامه - رحمه الله - من نظر. والله أعلم.

أحدها: آيات أمرت بقتال الدفاع كقوله تعالى: وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة التوبة: 36، وقوله: الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله البقرة: 194، وهذا قتال ليس للإكراه على الإسلام بل هو لدفع غائلة المشركين.

النوع الثاني: آيات أمرت بقتال المشركين والكفار ولم تغي بغاية، فيجوز أن يكون إطلاقها مقيداً بغاية آية حتى يعطوا الجزية التوبة: 29 وحينئذ فلا تعارضه آيتنا هذه لا إكراه في الدين.

النوع الثالث: ما غي بغاية كقوله تعالى: وقاتلوا حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله البقرة: 193، فيتعين أن يكون منسوخاً بهاته الآية وآية حتى يعطوا الجزية التوبة: 29 كما نسخ حديثاً أمرت أن أقاتل الناس هذا ما يظهر لنا في معنى الآية، والله أعلم.

ولأهل العلم قبلنا فيها قولان: الأول قال ابن مسعود وسليمان بن موسى: هي منسوخة بقوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين التوبة: 73، فإن النبي أكره العرب على الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا به.

ولعلمها يريدان من النسخ معنى التخصيص.

والاستدلال على نسخها بقتال النبي العرب على الإسلام، يعارضه أنه أخذ الجزية من جميع الكفار، فوجه الجمع هو التخصيص.

القول الثاني أنها محكمة ولكنها خاصة، فقال الشعبي وقتادة والحسن والضحاك هي خاصة بأهل الكتاب فإنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية وإنما يجبر على الإسلام أهل الأوثان، وإلى هذا مال الشافعي فقال: إن الجزية لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب والمجوس.

قال ابن العربي في الأحكام وعلى هذا فكل من رأى قبول الجزية من جنس يحمل الآية عليه، يعني مع بقاء طائفة يتحقق فيها الإكراه.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد: نزلت هذه الآية في الأنصار كانوا في الجاهلية إذا كانت المرأة منهم مقلتاً أي لا يعيش لها ولد تنذر إن عاش لها ولد أن تهوّد، فلما جاء الإسلام وأسلموا كان كثير من أبناء الأنصار يهوداً فقالوا: لا ندع أبناءنا بل نكرهم على الإسلام، فأنزل الله تعالى: لا إكراه في الدين. أ هـ التحرير والتنوير ح 3 ص 26 - 27

فصل

قال الفخر:

في تأويل الآية وجوه أحدها: وهو قول أبي مسلم والقفال وهو الأليق بأصول المعتزلة: معناه أنه تعالى ما بنى أمر الإيمان على الإجبار والقسر، وإنما بناه على التمكن والاختيار، ثم احتج القفال على أن هذا هو المراد بأنه تعالى لما بيّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للعدر، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل للكافر عذر في الإقامة على الكفر إلا أن يقسر على الإيمان ويجبر عليه، وذلك مما لا يجوز في دار الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان، ونظير هذا قوله تعالى: فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ الكهف: 29 وقال في سورة أخرى وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ الشعراء: 3، 4 وقال في سورة الشعراء لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ومما يؤكد هذا القول أنه تعالى قال بعد هذه الآية قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ يعني ظهرت الدلائل، ووضحت البيّنات، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز لأنه ينافي التكليف فهذا تقرير هذا التأويل.

القول الثاني: في التأويل هو أن الإكراه أن يقول المسلم للكافر: إن أمنت وإلا قتلناك فقال تعالى: لا إكراه في الدين أما في حق أهل الكتاب وفي حق المجوس، فلأنهم إذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم، وأما سائر الكفار فإذا تهودوا أو تنصروا فقد اختلف الفقهاء فيهم، فقال بعضهم: إنه يقر عليه؛ وعلى هذا التقدير يسقط عنه القتل إذا قبل الجزية، وعلى مذهب هؤلاء كان قوله لا إكراه في الدين عاماً في كل الكفار، أما من يقول من الفقهاء بأن سائر الكفار إذا تهودوا أو تنصروا فإنهم لا يقرون عليه، فعلى قوله يصح الإكراه في حقهم، وكان قوله لا إكراه مخصوصاً بأهل الكتاب.

والقول الثالث: لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب إنه دخل مكرهاً، لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره، ومعناه لا تنسبهم إلى الإكراه، ونظيره قوله تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا النساء: 94. أ هـ مفاتيح الغيب ح 7 ص 13 - 14

فصل

قال القرطبي:

اختلف العلماء في (معنى) هذه الآية على ستة أقوال:

(الأول) قيل إنها منسوخة؛ لأن النبي قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام؛ قاله سليمان بن موسى، قال: نسختها بإيها النبي جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ التوبة: 73.

وروي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين.

(الثاني) ليست بمنسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وأنهم لا يُكْرَهُونَ عَلَى الْإِسْلَامِ إِذَا أَدَّوْا الْجِزْيَةَ، والذين يُكْرَهُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ فَلَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ إِلَّا الْإِسْلَامَ فَمَنْ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ التوبة: 73.

هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك.

والحجة لهذا القول ما رواه زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية: أسلمي أيها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً بالحق.

قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلي قريب! فقال عمر: اللهم اشهد، وتلا لا إكراه في الدين.



(الثالث) ما رواه أبو داود عن ابن عباس قال: نزلت هذه في الأنصار، كانت تكون المرأة مقلاتاً فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده؛ فلما أجلبت بنو النضير كان فيهم كثير من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا! فأنزل الله تعالى: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي. قال أبو داود: والمقلات التي لا يعيش لها ولد.

في رواية: إنما فعلنا ما فعلنا ونحن نرى أن دينهم أفضل مما نحن عليه، وأما إذا جاء الله بالإسلام فكأنهم عليه فنزلت: لا إكراه في الدين من شاء التحق بهم ومن شاء دخل في الإسلام. وهذا قول سعيد بن جبيرة والشعبي ومجاهد إلا أنه قال: كان سبب كونهم في بني النضير الاسترضاع. قال النحاس: قول ابن عباس في هذه الآية أولى الأقوال لصحة إسناده، وأن مثله لا يؤخذ بالرأي.

(الرابع) قال السدي: نزلت الآية في رجل من الأنصار يقال له أبو حصين كان له ابنان، فقدم تجاراً من الشام إلى المدينة يحملون الزيت، فلما أرادوا الخروج أتاهم ابنا الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام، فأتى أبوهما رسول الله مشتكياً أمرهما، ورجب في أن يبعث رسول الله من يردهما فنزلت: لا إكراه في الدين ولم يؤمر يومئذ بقتال أهل الكتاب، وقال: أبعدهما الله هما أول من كفر! فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي حين لم يبعث في طلبهما فأنزل الله جل ثناؤه: فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمُ النَّسَاءُ: 65، الآية ثم إنه نسخ لا إكراه في الدين فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة.

والصحيح في سبب قوله تعالى: فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حديث الزبير مع جاره الأنصاري في السقي، على ما يأتي في النساء بيانه إن شاء الله تعالى.

وقيل: معناها لا تقولوا لمن أسلم تحت السيف مُجْبَرًا مُكْرَهًا؛ وهو القول الخامس.

وقول سادس، وهو أنها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا إذا كانوا كباراً، وإن كانوا مجوساً صغاراً أو كباراً أو اثنين فإنهم يجبرون على الإسلام؛ لأن من سباهم لا ينتفع بهم مع كونهم وثنيين؛ ألا ترى أنه لا تؤكل ذبائحهم ولا توطأ نساؤهم، ويدينون بأكل الميتة والنجاسات وغيرهما، ويستفدوهم المالك لهم ويتعدر عليه الانتفاع بهم من جهة الملك فجاز له الإيجاب. ونحو هذا روى ابن القاسم عن مالك.

وأما أشهب فإنه قال: هم على دين من سباهم، فإذا امتنعوا أجبروا على الإسلام، والصغار لا دين لهم فلذلك أجبروا على الدخول في دين الإسلام لئلا يذهبوا إلى دين باطل.

فأما سائر أنواع الكفر متى بذلوا الجزية لم نكرهم على الإسلام سواء كانوا عرباً أم عجماً قریشاً أو غيرهم. أهد تفسير القرطبي ح 3 ص 280 - 281

بحث

قال في الميزان:

وفي قوله تعالى: لا إكراه في الدين، نفي الدين الإجماعي، لما أن الدين وهو سلسلة من المعارف العلمية التي تتبعها أخرى عملية يجمعها أنها اعتقادات، والاعتقاد والإيمان من الأمور القلبية التي لا يحكم فيها الإكراه والإيجاب، فإن الإكراه إنما يؤثر في الأعمال الظاهرية والأفعال والحركات البدنية المادية، وأما الاعتقاد القلبي فله علل وأسباب أخرى قلبية من نسخ الاعتقاد والإدراك، ومن المحال أن ينتج الجهل علماً، أو تولد المقدمات غير العلمية تصديقاً علمياً، فقوله: لا إكراه في الدين، إن كان قضية إخبارية حاكية عن حال التكوين أنتج حكماً دينياً بنفي الإكراه على الدين والاعتقاد، وإن كان حكماً إنشائياً تشريعياً كما يشهد به ما عقبه تعالى من قوله: قد تبين الرشد من الغي، كان نهياً عن الحمل على الاعتقاد والإيمان كرها، وهو نهى متك على حقيقة تكوينية، وهي التي مر بيانها أن الإكراه إنما يعمل ويؤثر في مرحلة الأفعال البدنية دون الاعتقادات القلبية.

وقد بين تعالى هذا الحكم بقوله: قد تبين الرشد من الغي، وهو في مقام التعليل فإن الإكراه والإجبار إنما يركن إليه الأمر الحكيم والمربي العاقل في الأمور المهمة التي لا سبيل إلى بيان وجه الحق فيها لبساطة فهم المأمور ورداءة ذهن المحكوم، أو لأسباب وجهات أخرى، فيتسبب الحاكم في حكمه بالإكراه أو الأمر بالتقليد ونحوه، وأما الأمور المهمة التي تبين وجه الخير والشر فيها، وقرر وجه الجزاء الذي يلحق فعلها وتركها فلا حاجة فيها إلى الإكراه، بل للإنسان أن يختار لنفسه ما شاء من طرفي الفعل وعاقبتي الثواب والعقاب، والدين لما انكشفت حقائقه واتضح طريقه بالبيانات الإلهية الموضحة بالسنة النبوية فقد تبين أن الدين رشد والرشد في اتباعه، والغى في تركه والرغبة عنه، وعلى هذا لا موجب لأن يكره أحد أحدًا على الدين.

وهذه إحدى الآيات الدالة على أن الإسلام لم يبتن على السيف والدم، ولم يفت بالإكراه والعنوة على خلاف ما زعمه عدة من الباحثين من المنتحلين وغيرهم أن الإسلام دين السيف واستدلوا عليه: بالجهاد الذي هو أحد أركان هذا الدين.

وقد تقدم الجواب عنه في ضمن البحث عن آيات القتال وذكرنا هناك أن القتال الذي ندب إليه الإسلام ليس لغاية إحراز التقدم وبسط الدين بالقوة والإكراه، بل لإحياء الحق والدفاع عن أنفس متاع للفترة وهو التوحيد، وأما بعد انبساط التوحيد بين الناس وخضوعهم لدين النبوة ولو بالتهود والتتصر فلا نزاع لمسلم مع موحد ولا جدال، فالإشكال ناش عن عدم التدبير.

ويظهر مما تقدم أن الآية أعني قوله: لا إكراه في الدين غير منسوخة بأية السيف كما ذكره بعضهم.

ومن الشواهد على أن الآية غير منسوخة التعليل الذي فيها أعني قوله: قد تبين الرشد من الغي، فإن الناسخ ما لم ينسخ علة الحكم لم ينسخ نفس الحكم، فإن الحكم باق ببقاء سببه، ومعلوم أن تبين الرشد من الغي في أمر الإسلام أمر غير قابل للارتفاع بمثل آية السيف، فإن قوله: فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم مثلاً، أو قوله: وقاتلوا في سبيل الله الآية لا يؤثران في ظهور حقيقة الدين شيئاً حتى ينسخا حكماً معلولاً لهذا

وبعبارة أخرى الآية تعلق قوله: لا إكراه في الدين بظهور الحق، هو معنى لا يختلف حاله قبل نزول حكم القتال وبعد نزوله، فهو ثابت على كل حال، فهو غير منسوخ. أ هـ الميزان ح 2 ص 343 -

344

قوله تعالى: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

قال الفخر:

تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ أي تميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الحجج والآيات الدالة، قال القاضي: ومعنى قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ أي أنه قد اتضح وانجلي بالأدلة لا أن كل مكلف تنبه لأن المعلوم ذلك وأقول: قد ذكرنا أن معنى تَبَيَّنَ انفصل وامتاز، فكان المراد أنه حصلت البيونة بين الرشد والغى بسبب قوة الدلائل وتأكيد البراهين، وعلى هذا كان اللفظ مُجَرَى على ظاهره. أ هـ مفاتيح الغيب ح 7 ص 14

وقال البيضاوي:

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تميز الإيمان من الكفر بالآيات الواضحة، ودلت الدلائل على أن الإيمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية، والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى الإيمان طلباً للفوز بالسعادة والنجاة، ولم يحتج إلى الإكراه والإلجاء. أ هـ تفسير البيضاوي ح 1 ص 557

وقال ابن عاشور:

وقوله: قد تبين الرشد من الغي واقع موقع العلة لقوله: لا إكراه في الدين ولذلك فصلت الجملة.

والرشد بضم فسكون، ويفتح ففتح الهدى وسداد الرأى، ويقابله الغي والسفه، والغي الضلال، وأصله مصدرٌ غَوَى المتعدي فأصله غَوَى قلبت الواو ياء ثم أدغمتا.

وضُمَّن تبيين معنى تميز فلذلك عدي بَمَن، وإنما تبيين ذلك بدعوة الإسلام وظهوره في بلد مستقل بعد الهجرة. أ هـ التحرير والتنوير ح 3 ص 28

قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بالطاغوت ويؤمن بالله فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا قال ابن عاشور:

وقوله: فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى تفريع على قوله: قد تبيين الرشد من الغي إذ لم يبق بعد التبيين إلا الكفر بالطاغوت، وفيه بيان لنفي الإكراه في الدين؛ إذ قد تفرّع عن تمييز الرشد من الغي ظهور أن متبّع الإسلام مستمسك بالعروة الوثقى فهو ينساق إليه اختياراً. والطاغوت الأوثان والأصنام، والمسلمون يسمون الصنم الطاغية، وفي الحديث: كانوا يهلون لمناة الطاغية ويجمعون الطاغوت على طواغيت، ولا أحسبه إلا من مصطلحات القرآن وهو مشتق من الطغيان وهو الارتفاع والغلو في الكبر وهو مذموم ومكروه.

ووزن طاغوت على التحقيق طَعْيُوت فَعْلُوت من أوزان المصادر مثل مَلَكُوت و رَهَبُوت و رَحْمُوت فوقع فيه قلب مكاني بين عينه ولامه فصيرُ إلى فَعْلُوت طَيَعُوت ليتأتى قلب اللام ألفاً فصار طَاغُوت، ثم أزيل عنه معنى المصدر و صار اسماً لطائفة مما فيه هذا المصدر فصار مثل مَلَكُوت في أنه اسم طائفة مما فيه معنى المصدر لا مثل رَحْمُوت و رَهَبُوت في أنهما مصدران فتاوه زائدة، وجعل علماً على الكفر وعلى الأصنام، وأصله صفة بالمصدر ويطلق على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كشأن المصادر.

وعطف ويؤمن بالله على الشرط لأن نبيذ عبادة الأصنام لا مزية فيه إن لم يكن عَوْضها بعبادة الله تعالى.

ومعنى استمسك تمسك، فالسين والتاء للتأكيد كقوله: فاستمسك بالذي أوحى إليك الزخرف: 43 وقوله: فاستجاب لهم ربهم آل عمران: 195 وقول النابغة: فاستنكحوا أم جابر إذ لا معنى لطلب التمسك بالعروة الوثقى بعد الإيمان، بل الإيمان التمسك نفسه.

والعروة بضم العين ما يُجعل كالحلقة في طرف شيء ليقبض على الشيء منه، فللدلو عروة وللكوز عروة، وقد تكون العروة في حبل بأن يشد طرفه إلى بعضه ويعقد فيصير مثل الحلقة فيه، فلذلك قال في الكشاف: العروة الوثقى من الحبل الوثيق.

والوثقى المحكمة الشد.

ولا انفصام لها أي لا انقطاع، والقسم القطع بتفريق الاتصال دون تجزئة بخلاف القسم بالقاف فهو قطع مع إبانة وتجزئة. أ هـ التحرير والتنوير ح 3 ص 28 - 29

قال أبو حيان:

قال ابن عطية وقدّم ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجود الكفر بالطاغوت. انتهى.

وناسب ذلك أيضاً اتصاله بلفظ الغي، ولأن الكفر بالطاغوت متقدّم على الإيمان بالله، لأن الكفر بها هو رفضها، ورفض عبادتها، ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية، إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله، لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية، مما كان مشتبهاً به، سابقاً له قبل الإيمان، لأن في النصية عليه مزيد تأكيد على تركه. أ هـ البحر المحيط ح 2 ص 292 - 293

فصل

قال الماوردي:

فَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ فِيهِ سَبْعَةٌ أَقْوَال:

أحدها: أنه الشيطان وهو قول عمر بن الخطاب.

والثاني: أنه الساحر، وهو قول أبي العالية.

والثالث: الكاهن، وهو قول سعيد بن جبير.

والرابع: الأصنام.

والخامس: مَرَدَّةُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

والسادس: أنه كل ذي طغيان طغي على الله، فيعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، وهذا قول أبي جعفر الطبري.

والسابع: أنها النفس لطغيانها فيما تأمر به من السوء، كما قال تعالى: إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ يوسف: 53.

واختلفوا في الطَّاغُوتِ على وجهين:

أحدهما: أنه اسم أعجمي معرَّب، يقع على الواحد والجماعة.

والثاني: أنه اسم عربي مشتق من الطاغية، قاله ابن بحر. أ هـ النكت والعيون د 1 ص 327 - 328

قال الفخر:

والتحقيق أنه لما حصل الطغيان عند الاتصال بهذه الأشياء جعلت هذه الأشياء أسباباً للطغيان كما في قوله رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ إبراهيم: 36. أ هـ مفاتيح الغيب د 7 ص 15

وقال أبو حيان:

ينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها. أ هـ البحر المحيط د 2 ص 292

قال الفخر:

أما قوله وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا بَدَ لِلْكَافِرِ مِنْ أَن يَتُوبَ أَوْ لَا عَنِ الْكُفْرِ، ثم يؤمن بعد ذلك. أما قوله فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى فاعلم أنه يقال: استمسك بالشيء إذا تمسك به والعروة جمعها عرا نحو عروة الدلو والكوز وإنما سميت بذلك، لأن العروة عبارة عن الشيء الذي يتعلق به والوثقى تأنيث الأوثق، وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول، لأن من أراد إمساك شيء يتعلق بعروته، فكذا هاهنا من أراد إمساك هذا الدين تعلق بالدلائل الدالة عليه، ولما كانت دلائل الإسلام أقوى الدلائل وأوضحها، لا جرم وصفها بأنها العروة الوثقى. أ هـ مفاتيح الغيب د 7 ص 15

فائدة

قال أبو حيان:

وجواب الشرط: فقد استمسك، وأبرز في صورة الفعل الماضي المقرون بقدر الدالة في الماضي على تحقيقه، وإن كان مستقبلاً في المعنى لأنه جواب الشرط، إشعاراً بأنه مما وقع استمساكه وثبت وذلك للمبالغة في ترتيب الجزاء على الشرط، وأنه كائن لا محالة لا يمكن أن يتخلف عنه، و: بالعروة، متعلق باستمسك، جعل ما تمسك به من الإيمان عروة، وهي في الأجرام موضع الإمساك وشد الأيدي شبه الإيمان بذلك.

قال الزمخشري: وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن.

والمشبه بالعروة الإيمان، قاله: مجاهد.

أو: الإسلام قاله السديّ أو: لا إله إلا الله، قاله ابن عباس، وابن جببر، والضحاك، أو: القرآن، قاله السديّ أيضاً، أو: السنة، أو: التوفيق.

أو: العهد الوثيق.

أو: السبب الموصل إلى رضا الله وهذه أقوال متقاربة.

لا انفصام لها لا انكسار لها ولا انقطاع، قال الفراء: الانفصام والانقصام هما لغتان، وبالفاء أفصح، وفرق بعضهم بينهما، فقال: الفصم انكسار بغير بينونة، والقصم انكسار ببينونة. أ هـ البحر المحيط

ح 2 ص 293

قال ابن كثير:

قال مجاهد: فَفَدَّ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى يعني: الإيمان. وقال السدي: هو الإسلام وقال سعيد بن جببر والضحاك: يعني لا إله إلا الله. وعن أنس بن مالك: بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى: القرآن. وعن سالم بن أبي الجعد قال: هو الحب في الله والبغض في الله.

وكل هذه الأقوال صحيحة ولا تنافي بينها.

وقال معاذ بن جبل في قوله: لا انفصامَ لها أي: لا انقطاع لها دون دخول الجنة.

وقال مجاهد وسعيد بن جببر: فَفَدَّ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفصامَ لها ثم قرأ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمُ الرعد: 11.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا ابن عون عن محمد عن قيس بن عباد قال: كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه أثر من خشوع، فدخل فصلى ركعتين أوجز فيهما فقال القوم: هذا رجل من أهل الجنة. فلما خرج اتبعته حتى دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما استأنس قلت له: إن القوم لما دخلت قبل المسجد قالوا كذا وكذا. قال: سبحان الله ما ينبغي لأحد أن يقول ما لا يعلم وسأحدثك لم: إني رأيت رؤيا على عهد رسول الله فقصصتها عليه: رأيت كأني في روضة خضراء قال ابن عون: فذكر من خضرتها وسعتها وسطها عمود حديد أسفله في الأرض وأعلاه في السماء في أعلاه عروة، فقيل لي: اصعد عليه فقلت: لا أستطيع. فجاءني منصف -قال ابن عون: هو الوصيف فرفع ثيابي من خلفي، فقال: اصعد. فصعدت حتى أخذت بالعروة فقال: استمسك بالعروة. فاستيقظت وإنها في يدي فأنتيت رسول الله فقصصتها عليه. فقال: أما الروضة فروضة الإسلام وأما العمود فعمود الإسلام وأما العروة فهي العروة الوثقى، أنت على الإسلام حتى تموت. المسند (452/5).

قال: وهو عبد الله بن سلام أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الله بن عون. صحيح البخاري برقم (3813) وصحيح مسلم برقم (2484). وأخرجه البخاري من وجه آخر، عن محمد بن سيرين به. صحيح البخاري برقم (7010).

أ هـ تفسير ابن كثير ح 1 ص 683

فائدة بلاغية

قال ابن عاشور:

والاستمسك بالعروة الوثقى تمثيلي، شبهت حياة المؤمن في ثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وتقى من حبل وهو راكب على صعب أو في سفينة في هَوَل البحر، وهي هيأة معقولة شبهت بهيأة محسوسة، ولذلك قال في الكشف وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، بالمشاهد وقد أفصح عنه في تفسير سورة لقمان إذ قال مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه، فالمعنى أنّ المؤمن ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب في الدنيا وهو ناج من مهاوي السقوط في الآخرة كحال من تمسك بعروة حبل متين لا ينقص.

أ هـ التحرير والتنوير ح 3 ص 29

قوله لا انفصام لها

فصل

قال الفخر:

قال النحويون: نظم الآية بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والعرب تضمّر (التي) و(الذي) و(مَنْ) وتكتفي بصلاتها منها، قال سلامة بن جندل:

والعاديات أسامي للدماء بها. كأن أعناقها أنصاب ترحيب

يريد العاديات التي قال الله: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ الصافات: 164 أي من له. أ ه مفاتيح الغيب

ح 7 ص 15

لطيفة

قال ابن كثير:

قال أبو القاسم البغوي: حدثنا أبو روح البلدي حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن أبي إسحاق عن حسان - هو ابن فائد العبسي - قال: قال عمر رضي الله عنه: إن الجبّ: السحر والطاغوت: الشيطان، وإن الشجاعة والجبين غرائز تكون في الرجال يقاتل الشجاع عمن لا يعرف ويفر الجبان من أمه، وإن كرم الرجل دينه، وحسبه خلقه، وإن كان فارسياً أو نبطياً. وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن حسان بن فائد العبسي عن عمر فذكره.

ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان قوي جداً فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها. أ ه تفسير ابن كثير ح 1 ص 683

قوله تعالى والله سميعٌ عَلِيمٌ

قال الفخر:

فيه قولان:

القول الأول: أنه تعالى يسمع قول من يتكلم بالشهادتين، وقول من يتكلم بالكفر، ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطاهر، وما في قلب الكافر من الاعتقاد الخبيث.

والقول الثاني: روى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله يحب إسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة، وكان يسأل الله تعالى ذلك سراً وعلانية، فمعنى قوله والله سميعٌ عَلِيمٌ يريد لدعائك يا محمد بحرصك عليه واجتهادك. ه مفاتيح الغيب ح 7 ص 15

فائدة

قال الشيخ الشنقبي:

قوله تعالى: لا إكراه في الدينِ قد تبيّن الرُّشدُ من الغيِّ هذه الآية تدل بظاها على أنه لا يكره أحد على الدخول في الدين، ونظيرها قوله تعالى: أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. قوله تعالى: فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ. وقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على إكراه الكفار على الدخول في الإسلام بالسيف كقوله تعالى: تَقَاتِلُوهُمْ أَوْ يَسْلُمُونَ. وقوله: وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ أَيْ الشَّرْكَ. ويدل لهذا التفسير الحديث الصحيح: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله الحديث، والجواب عن هذا بأمرين:

الأول - وهو الأصح -: أن هذه الآية في خصوص أهل الكتاب، والمعنى أنهم قبل نزول قتالهم لا يكرهون على الدين مطلقاً، وبعد نزول قتالهم لا يكرهون عليه إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، والدليل على خصوصها بهم ما رواه أبو داود وابن أبي حاتم والنسائي وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوّد، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله: لا إكراه في الدين. المقلاة التي لا يعيش لها ولد، وفي المثل: أحر من دمع المقلاة، وأخرج ابن جرير

عن ابن عباس رضي الله عنه قال نزلت لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ فِي رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ يُقَالُ لَهُ: (الْحَصِينُ) كَانَ لَهُ ابْنَانِ نَصْرَانِيَانِ. وَكَانَ هُوَ مُسْلِمًا فَقَالَ لِلنَّبِيِّ: أَلَا اسْتَكْرَهَمَا فَإِنَهُمَا أَبْيَا إِلَّا النَّصْرَانِيَّةُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الْآيَةَ. وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ سَأَلَهُ أَبُو بَشْرٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ فَقَالَ: نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ. قَالَ: خَاصَّةٌ؟ قَالَ: خَاصَّةٌ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ قَتَادَةَ بِإِسْنَادَيْنِ فِي قَوْلِهِ: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَالَ: أَكْرَهَ عَلَيْهِ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أُمَّةً أُمِّيَّةً لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ يَعْرِفُونَهُ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ. وَلَا يَكْرَهُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْكِتَابِ إِذَا أَقْرَأُوا بِالْجِزْيَةِ أَوْ بِالْخَرَاجِ وَلَمْ يَفْتَنُوا عَنْ دِينِهِمْ فَيُخْلِ سَبِيلَهُمْ وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ الضَّحَّاكِ فِي قَوْلِهِ: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُقَاتَلَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ الْأَوْثَانِ فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ إِلَّا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَوْ السِّيفِ. ثُمَّ أَمَرَ فِيمَنْ سَوَاهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ الْجِزْيَةَ فَقَالَ: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ. وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضًا فِي قَوْلِهِ: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ. قَالَ: وَذَلِكَ لَمَّا دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ. وَأَعْطَى أَهْلَ الْكِتَابِ الْجِزْيَةَ.

فهذه النقول تدل على خصوصها بأهل الكتاب المعطين الجزية ومن في حكمهم، ولا يرد على هذا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؛ لأن التخصيص فيها عرف بنقل عن علماء التفسير لا بمطلق خصوص السبب، ومما يدل للخصوص أنه ثبت في الصحيح: عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل.

الأمر الثاني: أنها منسوخة بآيات القتال كقوله: فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ الْآيَةَ، ومعلوم أن سورة البقرة من أول ما نزل بالمدينة، وسورة براءة من آخر ما نزل بها، والقول بالنسخ مروى عن ابن مسعود، وزيد بن أسلم، وعلى كل حال فآيات السيف نزلت بعد نزول السورة التي فيها لا إِكْرَاهَ الْآيَةَ، والمتأخر أولى من المتقدم، والعلم عند الله تعالى. أهد دفع إيهام الاضطراب ص 44 - 46

من فوائد ابن عرفة في الآية

قوله تعالى: لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

نقل ابن عرفة عن ابن عطية الخلاف في سبب نزولها ثم قال: الظاهر عندي (أنها) على ظاهرها ويكون خبرا في اللفظ والمعنى.

والمراد أنه ليس في الاعتقاد إكراه وهو أولى من قول من جعلها خبرا في معنى النهي.

وكان أبو عمر ولد الأمير أبي الحسن على المريني في (أيام) مملكته جمع كل من كان في بلده من النَّصَارَى وَأَهْلَ الذَّمَّةِ وَقَالَ لَهُمْ: إِمَّا أَنْ تَسْلَمُوا أَوْ ضَرَبْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَهَاءَ بَلَدَهُ وَمَنْعُوهُ وَكَانَ فِي عَقْلِهِ اخْتِبَالٌ.

قيل لابن عرفة: من فسّر الدين بالإسلام لا يتمّ إلا على مذهب المعتزلة القائلين بأن الاعتقاد غير كاف.

فقال: قد قال الله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَفَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.

قوله تعالى: قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

(قد) للتوقع لأن المشركين كانوا يتوقعون بعثة رسول الله.

وعارضوها بقوله تعالى: لِيَمَيِّزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ فَجَعَلَ الْخَبِيثَ مَخْرَجًا مِنَ الطَّيِّبِ، وَعَكْسَ هُنَا.

وأجيب: بأن هذا في أول الإسلام كان الكفر أكثر وتلك في آخر الإسلام كان الإيمان أكثر ودخل الناس في الدين أفواجا.

قوله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ

قدم الكفر إما لأنه من دفع المؤلم، أو لأنه مانع ولا يتم الدليل على الشيء إلا مع نفي المانع المعارض ولذلك قال في الإرشاد: النظر في الشيء يضاد العلم بالمنظور ويضاد الجهل به والشك فيه. فإذا كان الكافر مصمماً على كفره استحال إيمانه وإذا ظهر له بطلان الكفر وبقي قابلاً للإيمان ونظر في دلائله أنتجت له الإيمان.

قوله تعالى: فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى

قال الزمخشري: هذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس (ونظرٌ في دلالات أنتجت له) حتى يتصوره السامع كأنه ينظر (إليه) بعينه.

ابن عطية: هذا تشبيه واختلّفوا في المشبه بالعروة فقال مجاهد: العروة الإيمان وقال السدي: الإسلام. وقال سعيد بن جببر والضحّاك: (العروة) لا إله إلا الله.

قال ابن عرفة: إنما يريد المشبه خاصة ولو أراد المشبه به لكان تشبيهه الشيء بنفسه.

قوله تعالى: وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ.

قال ابن عطية: لما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب حسن في الصفات سميع من أجل النطق وعلیم من أجل الاعتقاد.

وقال الفخر: هذا دليل على أنّ اعتقاد القلب الإيمان غير كاف ولا بد من النطق.

قال ابن عرفة: لا يتم هذا إلا على مذهب المعتزلة الذين ينكرون الكلام النفسي ونحن نقول: كلام النفس مسموع ولذلك ننصّره في الكلام القديم الأزلي وهم ينكرونه. هـ تفسير ابن عرفة ص 334

بحث

الدين لا يُفرض:

لا يمكن للإسلام ولا للأديان الحقّة الأخرى أن تُفرض فرضاً على الناس لسببين:

1 - بعد كلّ تلك الأدلّة والبراهين الواضحة والاستدلالات المنطقية والمعجزات الجليلة لم تكن ثمة حاجة لذلك. إنّما يستخدم القوّة من أعوزه المنطق والحجّة. والدين الإلهي ذو منطق متين وحجّة قويّة.

2 - إنّ الدين القائم على أساس مجموعة من العقائد القلبية لا يمكن أن يُفرض بالإكراه. إن عوامل القوّة والسيف والقدرة العسكرية يمكنها أن تؤثر في الأجسام، لا في الأفكار والمعتقدات.

يتّضح ممّا تقدّم الرّد على الإعلام الصليبي - المسموم ضدّ الإسلام - القائل إنّ الإسلام انتشر بالسيف، إذ لا قول أبلغ ولا أفصح من (لا إكراه في الدين) الذي أعلنه القرآن.

هؤلاء الحاقدون يتناسون هذا الإعلان القرآني الصريح، ويحاولون من خلال تحريف مفهوم الجهاد وأحداث الحروب الإسلامية أن يثبتوا مقولتهم، بينما يتّضح بجلاء لكلّ منصف أنّ الحروب التي خاضها الإسلام كانت إمّا دفاعية، وإمّا تحريرية، ولم يكن هدف هذه الحروب السيطرة والتوسّع، بل الدفاع عن النفس، أو إنقاذ الفئدة المستضعفة الراحة تحت سيطرة طواغيت الأرض وتحريرها من

ربكة العبودية لتستنشق عبير الحرية وتختار بنفسها الطريق الذي ترتئيه.

والشاهد الحيّ على هذا هو ما تكرر حدوثه في التاريخ الإسلامي، فقد كان المسلمون إذا افتتحوها بلدًا تركوا أتباع الأديان الأخرى أحراراً كالمسلمين.

أمّا الضريبة الصغيرة التي كانوا يتقاضونها منهم باسم الجزية، فقد كانت ثمنًا للحفاظ على أمنهم، ولتغطية ما تتطلبه هذه المحافظة من نفقات، وبذلك كانت أرواحهم وأموالهم وأعراضهم مصنونة في حمى الإسلام.

كما أنّه كانوا أحراراً في أداء طقوسهم الدينية الخاصّة بهم.



جميع الذين يطالعون التاريخ الإسلامي يعرفون هذه الحقيقة، بل إن المسيحيين الذين كتبوا في الإسلام يعترفون بهذا أيضاً.

يقول مؤلف حضارة الإسلام أو العرب:

كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأخرى من التساهل بحيث إن رؤساء تلك الجماعات كان مسموحاً لهم بإنشاء مجالسهم الدينية الخاصة.

وقد جاء في بعض كتب التاريخ أنّ جمعاً من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول الله للتحقيق والاستفسار أقاموا قَداساً في مسجد النبي في المدينة بكلّ حرّية.

إنّ الإسلام - من حيث المبدأ - توسّل بالقوة العسكرية لثلاثة أمور:

1 - لمحو آثار الشرك وعبادة الأصنام، لأنّ الإسلام لا يعتبر عبادة الأصنام ديناً من الأديان، بل يراها انحرافاً ومرضاً وخرافة، ويعتقد أنّه لا يجوز مطلقاً أن يسمح لجمع من الناس أن يسيروا في طريق الضلال والخرافة، بل يجب إيقافهم عند حدّهم؛ لذلك دعا الإسلام عبدة الأصنام إلى التوحيد، وإذا قاوموه توسّل بالقوة وحطّم الأصنام وهدّم معابدها، وحال دون بروز أي مظهر من مظاهر عبادة الأصنام، لكي يقضي تماماً على منشأ هذا المرض الروحي والفكري.

وهذا يتبيّن من آيات القتال مع المشركين، مثل الآية 193 من سورة البقرة: (وقاتلوهم حتّى لا تكون فتنة). وليس هناك أيّ تعارض بين الآية التي نحن بصددّها وهذه الآية، ولا نسخ في هذا المجال.

2 - لمقابلة المتآمرين للقضاء على الإسلام، عندئذ كانت الأوامر تصدر بالجهاد الدفاعي وبالتوسّل بالقوة العسكرية. ولعلّ معظم الحروب الإسلامية على عهد رسول الله كانت من هذا القبيل، مثل حرب أحد والأحزاب وحنين وموته وتبوك.

3 - للحصول على حرّية الدعوة والتبليغ. حيث إنّ لكل دين الحقّ في أن يكون حرّاً في الإعلان عن نفسه بصورة منطقية، فإذا منعه أحد من ذلك فله أن ينتزع حقه هذا بقوة السلاح. أه الأمثل حـ 2

ص 261 - 263

### فقرات من التفسير

الجزء الثالث ص 456-461

س: اذكر معنى ما يلي: الرشد - الغي - لا انفصام لها؟

ج: الرشد: الإيمان - الحق

الغي: الكفر - الباطل - الضلال في المعتقد

لا انفصام لها: لا انكسار لها - لا انفصال لها، أي: أنها لا تنكسر في يد صاحبها بل تثبت في يده حتى تدخله الجنة، والله اعلم.

س: ما هو سبب نزول قول الله تعالى: لا اكراه في الدين (البقرة 256)؟

ج: سبب نزولها هو ما اخرج الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت المرأة تكون مقالاتا، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده. فلما أجلبت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا! فأنزل الله تعالى ذكره: لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي (البقرة 256).

س: ما المراد بالطاغوت؟

ج: الطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو الازدياد ومجاوزة الحد، ومنه تعالى: اذهب إلى فرعون فقد طغى (النازعات 17)، هذا أصل الطاغوت، أما ما يراد به هنا فقال فريق من أهل العلم: إنه الشيطان.

ومنهم من قال: إنه الساحر، ومنهم من قال: إنه الكاهن، ومنهم من قال إنه الظالم الذي تجاوز الحد في ظلمه.

ومنهم من قال: إنه يشتمل جميع ما ذكر.

قال الطبري رحمه الله: والصواب من القول عندي في الطاغوت، أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كانا ما كان من شيء.

س: هل هذه الآية محكمة أم منسوخة؟

ج: لأهل العلم قولان في ذلك:

أحدهما انها محكمة، وأنها تنتزل على أهل الكتاب إذا دفعوا الجزية.

الثاني: انها منسوخة بآية السيف.

والأول عندي أصح، لأن دعوى النسخ لا يصار إليها إلا عند عدم إمكان الجمع.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء، أن هذه محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية، وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، وإنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف، دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدخول فيه، ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل، وهذا معنى الإكراه، قال الله تعالى ستدعون

1 <https://goo.gl/knm3hX>

2 <http://goo.gl/yZ483h>

إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون وقال تعالى: يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغظ عليهم وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين وفي الصحيح عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون، وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يحيى عن حميد عن أنس، أن رسول الله قال لرجل أسلم، قال: إني أجدني كارهاً، قال: وإن كنت كارهاً فإنه ثلاثي صحيح، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبي على الإسلام، بل دعاه إليه، فأخبره أن نفسه ليست قابلة له، بل هي كارهة، فقال له: أسلم وإن كنت كارهاً، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص.

س: وضح معنى قوله تعالى: فقد استمسك بالعروة الوثقى (البقرة 256)؟ وما المراد بالعروة الوثقى؟  
ج: المعنى - والله اعلم - أنه قد استمسك من الدين بأقوى حبل (أي: أقوى سبب) يربطه به، أي: استمسك من الدين بالحلقة القوية التي لا تنفصم فهي في نفسها محكمة مبرمة قوية، وهذه العروة الوثقى وهذا الحبل والسبب الذي تمسك به الشخص هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت كما قال رب العزة سبحانه: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى. وبعض العلماء قال اقوالاً أخر في تفسير العروة الوثقى منها: الإيمان، ومنها الإسلام، ومنها: لا إله إلا الله، ومنها القرآن، ومنها: الحب في الله والبغض في الله....

س: ما هو وجه ختام الآية الكريمة بقوله تعالى والله سميع عليم (البقرة 256)؟

ج: قال بعض اهل العلم: لما كان الكفر بالطاغوت والإيمان بالله مما ينطق به اللسان ويعتقده القلب، حسن في الصفات سميع من اجل النطق وعليم من اجل المعتقد، والله اعلم.

عبد الله بن عبد المحسن التركي<sup>1</sup>  
ما زال حيًّا - سنِّي  
التفسير الميسر<sup>2</sup> (معمد من مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)

#### فقرات من التفسير

لكمال هذا الدين واتضاح آياته لا يُحتاج إلى الإكراه عليه لمن تُقبل منهم الجزية، فالدلائل بينة يتضح بها الحق من الباطل، والهدى من الضلال. فَمَنْ يكفر بكل ما عُبد من دون الله ويؤمن بالله، فقد ثبت واستقام على الطريقة المثلى، واستمسك من الدين بأقوى سبب لا انقطاع له. والله سميع لأقوال عباده، عليم بأفعالهم ونياتهم، وسيجازيهم على ذلك.

---

1 <https://goo.gl/Y7ed2r>

2 <http://goo.gl/J2cux8>